١٧٢ - ١٧٤

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالاً للأفراد و ١٠٠ للهيئات
والمؤسسات، يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء ٨ ريالات

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٦٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٥ و٦ س ١٥ — ذوَا القعدة والحجة ١٤٠٠ هـ ايلول، تشرين ١ (سبتمبر-أكتوبر) ١٩٨٠م

أيام في بعض بلاد الشام

— ٢ —

عندما قابلت الأستاذ إبراهيم العمار صباح يومِ الخميس (١٤٠٠/٦/٢ — ١٩٨٠/٤/١٧م) بادرني قائلاً : عرفنا الفندق الذي أنت نازل فيه، انه (فندق تايكي) وقد أخبرني الأخ عبد الحميد به فأظهرتُ التصديق فلقد ذكرني بقصة جحا التي تروى انه كان يضع في رقَبَتِهِ خَيطاً أبيض، ويضع في رقبة أخيه خيطاً أسود، لأنهما يناماان في مكان واحد، ويخشى جُحا أن لا يفرّق بين نفسه وبين أخيه، فعمدتْ أمهما في إحدى الليالي إلى نزع ما في رقبة كل واحد منهما وتعليقها في رقبة الثاني، فلما أصبح جُحا ورأى الخيط الأسود في رقبته، التفت إلى أخيه قائلاً : يا أخي أنت أنا، وأنا أنت !!. وان لم يبلغ بِيَ الأمر إلى هذا الحد من الشك بحيث أتصور أنني النازل في (فندق تايكي) ولحسن الحظ أنه لا يوجد في ذلك الفندق صباح ذلك اليوم من يدعى (حمد الجاسر) على ما أفاد موظف الاستقبال فيه، عندما اتصل به الأستاذ ابراهيم.

ولكن في المساء اتصل الأستاذ ركس بن زائد العُزَيْزي بالفندق الذي أسكنه، وقد أخبرته به، وعرف رقم الغرفة، فعرَّف عامل الهاتف باسمي وذكر له البلد ورقم الغرفة، ولكنه وَصله بإنسان آخر حادثه محادثة طويلة، وأخبره بأنه في انتظاره، وذكر له رقم غرفته، فظن أنني انتقلت من غرفتي التي عرفها، وتوهم تغير صوتي من أثر الزكام،

ولكنه فوجيء عندما طرق باب الغرفة بشابٍ يفتح له ثم يرحب به ويقدم له نفسه الدكتور حميدان عبدالله الحميدان موفداً من جامعة الرياض للاشتراك في (ندوة اقتصادية) تقام هذه الأيام في عمّان ! وقابلني الأستاذ العُزيزي بعد ذلك ضاحكاً : لقد غيَّرْت كُلَّ شيء . الغرفة والاسم واللقب وأصبحت في ريعان الشباب : فأجبته : ومَنْ ذا الذي يا عزُّ لا يتغير؟!

وكلمة موجزة عن الأستاذ العُزيزي — بضم العين — فهو عربي من قبيلة العُزيزات ، التي تنتمي إلى شيبان ، ولا أريد التوسع في الحديث عن شيبان هاؤلاء وعن صلة القبيلة بسدانة العُزَّى ، فقد بلغت في دراسة أصول الانساب العربية القديمة إلى نهاية ارتضيتها لنفسي ولا يرضى بها كل من يعنى بدراسة هذا الجانب من التاريخ العربي القديم .

عرفت الأستاذ ركس بن زائد العزيزي أول ما عرفته بطريق محققات الأستاذ أنستاس ماري الكرملي ، فقد نشر شيئاً مما كتب في ملحقات كتاب «النميَّات» أو «علم النقود» وكتاب «الاكليل» الجزء الثامن للهمداني ، فاستهواني ما قرأته من كتاباته لصلته القوية بالتراث العربي الذي لم يُسَجَّل بعْدُ من تاريخ العرب ، وخاصة ما يتعلق بالشعر العامي والعادات والتقاليد في العصور الأخيرة .

ثم اجتمعت به أثناء انعقاد (المؤتمر العربي الحادي عشر لأدباء العرب) في الجزائر ، وأفضل باتحافي بكتاب ألفه بعنوان «قاموس العادات الأردنية» في ثلاثة أجزاء ، ومع استمتاعي واستفادتي من هذا الكتاب ومحاولتي إرجاع كثير من تلك العادات إلى جذورها التاريخية في قلب جزيرة العرب ، إلا أن الكتاب استعير مني ثم لم يُرْجع وما علقته كان في هوامش ذلك الكتاب .

ثم لما قدمت عَمّان هذه الأيام ، ورأيت اسم الأستاذ العُزيزي بين أسماء أعضاء (مجمع اللغة العربية الأردني) المؤازرين ، أبهجني هذا ، فاتصلت به ، فأفضل بزيارتي ، وأمضيناها سويعاتٍ غبنا فيها عن عالمنا في جوٍّ أبعد ما يكون عنه ، وقد

أدركت أنه من الأفذاذ في سعة الاطلاع على عادات أبناء البادية ومختلف أحوالهم ، وكتابه «فريسة أبي ماضي — أول دراسة علمية للشعر في البادية» على ايجازه ينمُّ عن عمق فهم للموضوع الذي طرقه ، وخاصة في هذه البلاد — وقد طبع سنة ١٩٥٦ م — وموضوعه — مع طرافته — كان ذا عناية لدى المعنيين بدراسة الشعر الحديث ، فقد أثبت فيه أن الشاعر المعروف ايليا أبا ماضي أغار على قصيدة لشاعر بدوي يدعى علي الرميثي من الفدعان من عنزة فصاغ معانيها بقصيدته المعروفة :

يا أخي لا تشح بوجهك عني ما أنا فحمة ، ولا أنت فَرْقَدْ

وكان والد الشاعر ايليا من رواة قصيدة الرميثي .

وللأستاذ العُزَيزي مؤلفات وأبحاث كثيرة منها «المنهل في تاريخ الأدب العربي» في أربعة أجزاء و«أسرار نكبة البرامكة» و«وسوم القبائل» و«جوف الصحراء» و«أزاهير الزهراء» وغيرها .

وهو — بالإضافة الى صلته بمجمع اللغة ، ورابطة الكتاب الأردنيين ، ممثل الرابطة الدولية لحقوق الإنسان ، وفي هذه الأيام عين — بأمر ملكي — عضواً في (المجلس الاستشاري) الذي حلّ محل (المجلس النيابي) في الأردن عند تعذر اجراء انتخابات في الضفة الغربية بعد حرب سنة ١٩٦٨ م .

والعُزيزي ذو اعتزاز بعروبته مظهرا وخلقاً وفكراً .

وعودة للحديث عن التغيُّر والتغيير .

لقد حاولت ذلك قبل عشر سنوات ، حين قيل لي إنّ في (رومانيا) طبيبة تدعى (آنّا أصلان) تعيد الشباب بدواء اخترعته (H.3 .) فكنت أتردد عليها أسبوعين تجرب علي مختلف الأدوية حتى وثقت من ملاءمة ذلك الدواء لجسمي ، فتزودت منه بما استعملته نصف عام ، غَرزاً في اللحم ، وبَلْعاً في الفم ، فلعل تأثير ذلك الدواء تأخر إلى وقته المناسب . إنها قالت لي أول ما رأتني : لقد أدركتك الشيخوخة قبل أوانها ، فعسى أن يكون سِرُّ دوائها لا يؤثر في المرء حتى يُدرك الشيخوخة في وقتها !

أخبرني ملحقنا الثقافي بأنَّ رئيس (مجمع اللغة العربية الأردني) اتَّصل به سائلاً عني ، فكان الذهاب إلى المجمع ومقابلة رئيسه الأستاذ الجليل الدكتور عبدالكريم خليفة ، وكان حديثاً طويلاً حول المجمع ، وما يبذله القائمون بشؤونه في سبيل اللغة ، من معالجة أسباب ضعفها ، وتعريب المصطلحات الأعجمية المستعملة في الدوائر والمؤسسات الرسمية ، وتعريب التعليم العلمي في الجامعات .

ومع حداثة إنشاء هذا المجمع (بدأ عمله في أكتوبر سنة ١٩٧٦ م) إلاَّ أنَّ لدى الإخوة العاملين فيه — ولا سيما رئيسه الجليل — من الرغبة القوية والنشاط ، والغيرة على اللغة والحفاظ على كرامتها ما يُفْعِم القلب سروراً ، ويملأ النفس أملاً طيباً .

لقد كان الاخوة — منذ أنِ بدأ المجمع بِنَشْرِ مطبوعاته — يكرمونني ببعثها اليّ ، في خلال السنوات الماضية ، ولكنها ترسل الى جدة ، وكذا كان يفعل الإخوة في (المجمع العلمي الهندي) في (عليكره) في الهند الذين أفضلوا عليَّ بوضع اسمي بين أسماء أعضائه المراسلين منذ إنشائه ، ولكنني لم أعلم بهذا حتى قدم لي أحد أولئك الإخوة الجزء الأول من مجلة المجمع ، وكتاباً من الأستاذ الدكتور مختار الدين أحمد ، أمين ذلك المجمع ، فيه عتب محمود لعدم إجابتي على ما كتبوا به إليَّ ، وأحبْبت بعتاب الإخوة إلى النفس :

إذا ذَهَبَ العتابُ فليس وُدٌّ ويَبْقَى الودُّ ما بقي العتابُ

لقد كان عنواني — على ما هو منشور في الجزء الأول من مجلة (المجمع العلمي الهندي) في السعودية جُدَّة ! ولهذا فليس غريباً أن يبتلع بحرها ما يُبْعثُ اليها ، باسمي من مطبوعات وكتب .

لم أر في المجمع الأستاذ عيسى الناعوري ، وهو أمينه العام ومن أعضائه ، ولكن الرئيس الدكتور عبد الكريم خليفة أخبرني بأنه أُصيب بنوبة قلبية (جلطة) وهو في المستشفى وقد لا يُسمح بزيارته الآن .

لقد عرفت الأستاذ الناعوري أول ما أصدرت «اليمامة» مجلةً في عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) وكان يُتحف قراءها بسلسلة من المقالات الأدبية عن شعراء معاصرين ، وكنت كل مرة أزور عَمَّان أحرص على مقابلته فأجد من لطف خلاله وكرمها ما جعلني

أرى أن من عدم الوفاء أن أغادر هذه البلاد قبل رؤيته .

وفي داخل (مدينة الحسين الطبيّة) اتصلت به بالهاتف عن طريق مكتب المدير وبواسطة فتاة[1] تعمل في ذلك المكتب وتعرف الأستاذ الناعوري — ومن الذي يجهله في هذه البلاد ؟ — كنت علمت من الدكتور عبد الكريم خليفة بأنه سيخرج من المستشفى يوم الأحد ، ولكنني صُدِمْتُ حين قيل لي : إن الطبيب لا يسمح لأحد بزيارته ، وبعد وساطة من تلك الفتاة اتّصَلْتُ به فعبَرّت له عن سروري حين علمت بأنه سيخرج قريباً من المستشفى ، فقال : كان ذلك مقرراً ، وحدث ما لم يكن في الحسبان ، فقد قرر الأطباء إجراء (عملية) في شرايين القلب .. حاولت ما استطعت أن أطمئنهُ وأن أحول بينه وبين الاسترسال في الكلام ، فكان آخر ما قال لي : أريد أن أراك ! وكررها ، وقد كررت له الوعد بذلك ، وعدت من المستشفى منقبض النفس ، ولكنني أعللها بأن أرى من اشراقة وجه الأستاذ الناعوري وتهلله وسماحة نفسه ما رأيته منه حين أكرمني بدعوته إلى منزله . وعرفني بأسرته فرداً فرداً قبل خمسة عشر عاماً ، وأفضل علي فيما أفضل بمجموعة من مؤلفاته .

لقد عرفت أن سكنى وفود (المؤتمر التاريخي) في (فندق تايكي) وهذا لا يبعد عن الفندق الذي أقيم فيه أكثر من ميلين — على ما ذكر لي سائق السيارة الذي أشار إلى جهته — وفي صباح الجمعة (١٤٠٠/٦/٣ هـ) خرجت الساعة الخامسة والنصف ، وسرت وِجهة ذلك الفندق ، وفضلت سلوك الطرق المتعرجة التي تبعد بي عن الأمكنة المأهولة ، وتمكنني من السير كما أريد ، غير مُتَعَرِّضٍ لفضول بعض المارة . ويظهر أن ما أحْسَسْتُ به من جمال منظر التّلال المكسوَّة بمختلف النبات ، استهواني حتى لم أشعر بمُضيّ الوقت ، ولم أُحِسَّ بالتَّعب من كثرة المشي ، وهذه المنطقة التي أَسِيْرُ فيها تدعى (الشُّمَيساني) وهي من أحدث أحياء عمّان ، وأنزهها ، وأجملها منظرا وخاصة في هذا الفصل ، فصل الربيع ، وبعد هطول الأمطار الغزيرة .

---

(١) من بيت الأفغاني ، ووالدها محمود كان مشهوراً في هذه البلاد ، وقد حج في إحدى السنوات فأكرمه الملك الفيصل بدعوته لحضور غسل الكعبة ، وأهداه قطعة من كسوتها ، دعتني تلك الآنسة لأراها معلقة في البيت فاعتذرت !!

لتكن العودة الى الفندق ، فقد قاربت الساعة الثامنة . ولكن أين يقع ؟! لأُشْرِفَ من هذا التّل لعلي أُبْصِرُهُ أو أرى الشارع المارّ به . ما هذا ؟ بناء حديث قد أُلصقت به لافتة كبيرة تحمل كلمات ترحيب بوفود المؤتمر ، إنه (فندق تايكي)[1] ولم يتوان موظف الاستقبال عن تحقيق رغبتي في إطلاعي على أسماء الوفود ، حين علمت منه أن جميع المدعوين قد هيئت لهم غُرَفٌ هنا . ومن بين من عرفت الدكتور عبدالله العثيمين من جامعة الرياض والدكتور عبدالله الشبل من جامعة الإمام محمد بن سعود والدكتور صالح العلي رئيس المجمع العلمي العراقي ، والدكتور عبد الفتاح أبو عليّة من جامعة الإمام محمد بن سعود .

وكان الاجتماع بأولئك الإخوة وبغيرهم في الساعة العاشرة ، حيث ألحّ الأخ الكريم الدكتور محمد عدنان البُخَيِّتُ ، رئيس اللجنة المشرفة على تنظيم أعمال المؤتمر ، بل أفضل باختيار غرفة لي في هذا الفندق ، وحسنا فعل !

فلقد سَعِدت بالالتقاء بكثير من العلماء الذين دُعُوا لحضور هذا المؤتمر ، من بين المدعوين الذين بلغوا مئة وأربعين منهم واحد وأربعون من الأردن وفلسطين ، وخمسة من تونس ، واثنان من الجزائر ، وستة من المملكة العربية السعودية من بينهم الدكتور اسماعيل ياغي من جامعة الإمام محمد بن سعود ، والمحامي سمير شما من جدة ، واثنان من السودان ، وتسعة من سورية ، وأربعة من العراق ، ومن جامعة قطر واحد ، وستة من الكويت ممن يعملون فيه ومن بيروت نحو تسعة عشر من الجامعة الأمريكية ومن المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، ومن مستشرقي كندا خمسة ، ومثلهم من بلاد الانجليز ، وثلاثة من فرنسا ومثلهم من هولندا ، وعالم واحد من ماليزيا . ومن البلاد التركية خمسة ومن الولايات المتحدة الأمريكية سبعة ، وخمسة من ألمانيا الغربية .

ومن بين أولئك عدد غير قليل من السيدات العالمات منهن الدكتورة سهيلة الريماوي

---

(١) يقول الأخوة المشرفون على هذا الفندق أن (تايكي) اسم ربّة الحَظّ عند اليونان في عصرها الوثني حينما كانت تعبد أربابا متفرقين ، وأنها ابنة اعظمهم زفس (زيوس) ويعتقدون من خرافاتهم أنها كانت تحرس مدينة عمان ، وقد عثر على رأس تمثالها في جبل قلعة عمان عند تنسيق حديقة المتحف المقام هناك سنة ١٩٥٧ م وهو مما يُعْرض فيه من الآثار .

والدكتورة زاهية قدورة والدكتورة لَيلى[1] صباغ ، والدكتورة خيرية قاسمية ، والدكتورة وداد القاضي .

وقدم للمؤتمر قبل انعقاده من البحوث مئة وسبعة ، بلغات مختلفة ، لخصت وطبعت في كتاب تجاوز مئتي صفحة ، وهو تلخيص وصفه أمين سر اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدكتور محمد عدنان البخيت بأنه لا يسد مسدَّ الأوراق الأصلية ، ولكنه مقدمة ومفتاح لها . وهناك بحوث تأخر وصولها فلم تلخَّصْ .

وهذه هي المرة الثالثة التي عقد فيها المؤتمر المتعلق بتاريخ بلاد الشام ، فقد عقد أول مرة في الأردن في شهري ربيع سنة ١٣٩٤ (نيسان ١٩٧٤ م) وتناول المؤتمرون تاريخ بلاد الشام من القرن السادس الميلادي إلى القرن السابع عشر ، في أبحاث ضمها كتاب نشرته (الجامعة الأردنية) قبل ست سنوات أي سنة انعقاده .

وقامت جامعة دمشق بالدعوة لعقد المؤتمر فيها في عام ١٩٧٨ م فتم ذلك ، ولم تنشر الأبحاث بعد .

وقد خصصت هذه الدورة من دورات (المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام) لبلاد فلسطين بصفة عامة ، تاريخاً وجغرافية ، وآثاراً واجتماعا ، ورأسها ولي العهد الأردني الأمير الحسن بن طلال ، وتولى القيام بتنظيم أمورها جامعة الأردن وجامعة اليرموك وجامعة دمشق ، وافتتحت يوم السبت رابع جمادى الآخرة سنة ١٤٠٠ هـ (١٩ نيسان ١٩٨٠) واستمرت إلى يوم الخميس — أسبوعاً اعقبته زيارة بعض الأماكن الأثرية ، لمن رغب ذلك .

وكان بهو فندق (تايكي) صباح كل يوم من أيام المؤتمر أشبه ما يكون بمنتدى أدبي علمي ، يشاهد المرء فيه العلماء الوافدين حِلَقاً حلقاً ، قد انهمكوا في مختلف الأحاديث البعيدة كل البعد عما يحيط بهم من أحداث العالم ، وشغلوا بما أتوا لأجله مما يرتبط

(١) القاعدة المشهورة (ليلى) ولكن القواعد وسيلة لا غاية ، وسيلة لتقويم النطق وكتابة الاسم بالألف أقرب لضبط النطق به صحيحاً سيراً على قاعدة (كتابة الكلمة كما تنطق) .

بالحياة الفكرية ، ويقوي أواصر التعارف والتآخي بين مفكري الأمة العربية وعلمائها وأدبائها .

افتتاح المؤتمر: وفي صباح يوم السبت (١٤٠٠/٦/٤هـ ١٩٨٠/٤/١٩م) كان اجتماع المدعوين للمؤتمر في بهو الفندق الذي يقيمون فيه للتأهب للذهاب إلى (الجامعة الأردنية) حيث تعقد الاجتماعات . وكان البرنامج المفصل لأعمال المؤتمر قد أُعدَّ وقُدِّم لكل واحد منهم ، وفي ثلاث حافلات اتجهوا الى الجامعة ، وفي إحدى قاعاتها كان الانتظار نحو ساعة حتى بلغت الساعة الحادية عشرة ، موعد افتتاح المؤتمر من قبل مليك البلاد جلالة الحسين بن طلال الذي قدمه رئيس الجامعة الدكتور ناصر الدين الأسد بعد أن ألقى كلمة ضافية عن دورتي المؤتمر الماضيتين وتمنّى التوفيق للدورة الحاضرة ورحب بالحاضرين ، بعد شكر المليك وولي عهده .

يؤخذ المرء حين يستمع للملك حسين خطيباً ، بحسن أدائه وفصاحة نطقه ، ولقد حاولت أن أسمع لحناً منه في كلمة واحدة ، أو وقوفاً قبل إكمال جملة فلم أستطع ، مع طول الخطاب وشموله موضوعات مختلفة .

وبعد انتهاء ذلك الخطاب كانت العودة الى القاعة الأولى ، حيث استقبل المليك الوفود فرداً فرداً ، بتقديم الدكتور الأسد . ثم الانتقال الى مكان آخر لتناول طعام الغداء .

وفي الساعة الخامسة كان الالتقاء بالأمير الحسن ولي العهد ورئيس المؤتمر ، ثم بَدْءُ عَمَل لجان المؤتمر الأربع ، حيث قسمت البحوث أربعة أقسام بحسب موضوعاتها ، ووزعت على أيام المؤتمر من حيث تحديد زمن القاء ما قُرِّرَ القاؤه منها . واستمر العمل في ذلك صباحا من الساعة التاسعة الى الواحدة ، ومساء من الخامسة الى الثامنة .

وكان يعهد برئاسة كل اجتماع من اجتماعات اللجان الى أحد الوفود ، ومن الطريف أن بعضهم يتخيل نفسه في فصل الدراسة بين طلابه ، فيحلو له ما يحلو للمدرس من تعليق على البحث بزيادة إيضاح أو استدراك أو ثناء[1] ، وقد يطيب له أن يسمح

---

(١) وهذا لم ألاحظه وحدي بل أدركه آخرون غيري كالدكتور عبدالله العثيمين وغيره .

لبعض المعلقين دون بعض . فقد ألقى الصديق الدكتور محمود الغول في ضحوة يوم الاثنين بحثا عن (غزة في نقوش جنوب جزيرة العرب) فحاولت الاستيضاح عن جملتين وردتا فيه هما قوله : — عن طريقي التجارة عند المعينيّين : (يفترقان عند نجران ، فيسير أحدهما الى الشمال حتى يَمُرَّ بمستوطنتهم أو جاليتهم التجارية في ديدان — خريبة العلا على سكة حديد الحجاز شمالي المدينة اليوم ، وينتهي بغزّة في فلسطين ويمضي الطريق الثاني من نجران إلى شرق الجزيرة العربية ، حتى ينتهي إلى جرها ، وهي مدينة كانت فرضة عظمى على سيف شرق الجزيرة ، اختفت آثارها اليوم ، ولعلها كانت على ساحل الأحساء قرب قطر) أردت الاستيضاح عن مصدر المحاضر الكريم في كون (جرها) بقرب قطر ، وعن التوفيق بين القول بين اطلاق اسم ديدان على خريبة العلا ، وبين تحديد ابن شجاع الحنفي الدمشقي لوادي الديدان بأنه المرحلة الثانية بعد العلا للمتوجه إلى المدينة ، وكان رئيس الاجتماع الدكتور سعيد عاشور. من إخواننا الذين وفدوا من جامعة الكويت ، فرفعت يدي إشارة الى رغبتي الكلام كغيري من المعلقين على المحاضرة ، وكررت الرفع مراراً ، ولكنه أذن لكل من أراد التحدث سواي . وأعلن انتهاء الجلسة . ولم يكتف بذلك بل حين أبصرني أتحدث مع الدكتور الغول في الموضوع على انفراد أتى حتى وقف بجانبه قائلاً له : هذا أحد الأخوان يسألك عن الصلة بين (معون) و(معين) وصرفه عن الحديث معي[1].

ليلة سعودية : سرت في حضور اجتماعات المؤتمر سير التلميذ الكسول ، فكثيراً ما كنت أنصرف قبل انتهاء الوقت ، وقد لا أحضر بعض المرات ، وبينما أنا في مساء يوم الأحد أطالع بعض ما أتحفني به أحد الأخوة من منشورات (الجامعة الأردنية) إذا بالأخ محمد بن ناصر بن عبدالله ، الأمين الأول (سكرتير) في السفارة يحادثني بالهاتف سائلاً عن الوقت الذي سيجدني فيه في الفندق ، فقد حاول هو وبعض الإخوة الاتصال بي مراراً فلم يتيسر ذلك ، ومع أنني لم أكن أعرف الأخ إلا أنني رحّبتُ به ، وأخبرته بأنني في انتظاره ، فأسعدني بزيارته ولم نمكث طويلاً في الفندق ، فسرعان ما وافقت حين

(١) لزيادة الايضاح عن (جرها) الجرعاء والديدان أنظر المعجم «المعجم الجغرافي» — قسم المنطقة الشرقية — ص ٣٧٩ وما بعدها ومجلة «العرب» س ١٣ ص ٧ .

عرض علي الخروج إلى أحد الأماكن خارج المدينة ، ومعنا أخ أردني قال لي إنه كتب اليَّ قبل سنوات وكان يُعِدُّ رسالة عن قبيلة عبد القيس ، فأجبته بإرشاده إلى بعض المؤلفات التي استفاد منها ، ثم قدم رسالة لنيل إجازة (الدكتوراه) عن «شعراء بني تميم في العهد الجاهلي» فنال الإجازة من جامعة القاهرة ، وكنت لا أزال أشكو من صداع وزكام ، فَمَرَّ أبو مازن محمد بن ناصر بصيدلية أحضر منها ما قد أحتاج اليه وفي (الواحة) وهو من أنزه الأمكنة في هذه المدينة قضينا وقتاً قصره كرم الداعي ولطفه ، وأضاف الى ذلك المرور بمنزله ، وأتبع هذا الفضل بأن خيرني بين أمرين لا بُدَّ من أحدهما : إما العشاء في البيت ، وإما الذهاب الى بيت عبد الرحمن الحمد الشبيلي ، اذ من عادة موظفي السفارة الاجتماع في بعض ليالي الأسبوع في بيت أحدهم . ومن ذا الذي يعرف أبا سليمان الشيخ محمد الحمد الشبيلي ، ثم لا يرى من الوفاء له زيارة من يَمُتُّ إليه بصلة فكيف بأخيه .

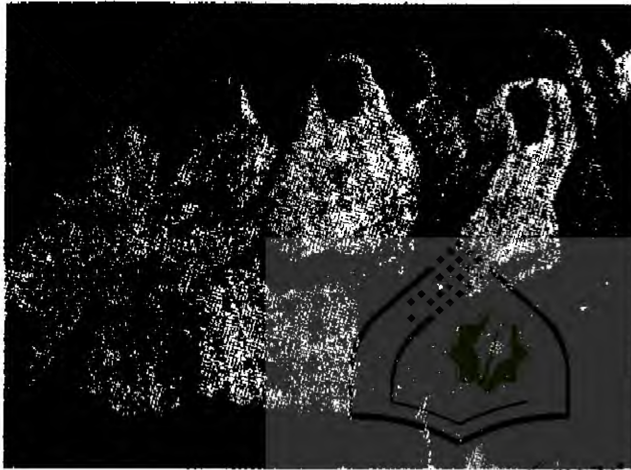
وفي بيت الأخ الشبيلي كان الالتقاء بعدد من الاخوة من موظفي السفارة ، ومن بينهم الأخ سعد أبو معطى ، الذي حاول حين رأيته أول مرة حيث يعمل في (مكتب الملحق الثقافي) حاول إكرامي — بل أكرمني فعلاً — فدعاني لزيارة منزله فاعتذرت .

أمضيتها سويعات بين أولئك الاخوة ، في جوٍّ أبْعَدَ ما يكون عن بواعث التكلف والتصنع ، وسررت حقاً بما شهدت بينهم من التآلف والتصافي . ورأيت في البيت عدداً من الأطفال مما يدل على أن السيدات قد اجتمعن عند صاحبته . وقد أشرت إلى ما لهذه الاجتماعات من آثار حميدة في مناسبات مماثلة[1] .

ثم كان العود الى الفندق ، ولم يكتف أبو مازن — أكرمه الله وحيَّاه — بما أغدقه عَلَيَّ من لطفه هذه الليلة ، بل زارني في الليلة التي بعدها وقد اشتد علي الزكام من أثر التغير المفاجيء في الجو ، فاعتذرت عن حضور مأدبة العشاء التي أقامها سمو ولي العهد ورئيس المؤتمر لوفوده وعن الخروج مع الأستاذ ابراهيم بن عمّار الذي أفضل عليَّ بالزيارة ، غير أن الأخ محمداً الناصر بذل من وسائل الاغراء ما أضعف عزمي على البقاء

(١) في زيارتي للجزائر «العرب» س ٧ ص ٤٩٧ وفي حديثي عن رحلتي الى أمريكا سنة ١٣٩٩ «العرب» س ١٤ ص ١٨٤ .

في الفندق ، فكان الذهاب إلى مكان يدعى حديقة الأردن (غوردن قاردن) فيه مطعم فخم ، وموقعه خارج المدينة ، ذكرني بمظهره وموقعه وأنواع أطعمته وسخاء أبي مازن بطلب مختلف أنواع المقبلات ، وبِنُدُلِهِ ـــ جمع نَدْلٍ . ذكرني كل ذلك بلبنان ، وأيام لبنان ، ومن الذكرى ما يهيج الأسى ! وهاج الأسى أشد وأقوى حين عدت الى الفندق فاجتمعت بالأستاذ الدكتور عبدالله العثيمين فأخبرني عرضاً بوفاة الأستاذ محمد حسن عواد (يوم الجمعة ٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٠ ـــ ١٩٨٠/٤/١٨م) ما أقسى ألم كلمة (الموت) في النفس ، وما أشد فجيعة المرء بمن ربطت بينهما أواصر التعارف والتآخي واتحدا مَشْرباً واتجاهاً وغاية في هذه الحياة !



(الأستاذ محمد حسن عواد الأول من اليمين)

محمد حسن عواد : لقد كان قمة من قمم الأدب في بلادنا ، في خلال مدة تتجاوز نصف قرن من الزمان ، كان أول ما عرفته سنة ١٣٤٩ هـ وكنت طالباً في (المعهد السعودي) بمكة وكان موظفاً في (قسم التحقيق في الامن العام) وكان يسكن في (قاعة) في أعلى الحَلقة في منحدر الفَلَق ، وأذكر أنني أثناء الحديث معه في أول اجتماع به كنت أخاطبه بكلمة (الشيخ) مبالغة مني في احترامه ، فامتعض من هذه الكلمة وقال : يا رَجُل : لستُ شيخاً ـــ بتأثُّر ـــ وقد استعرت منه تلك الأيام «إلياذة هُومِيْرُوس» تعريب سليمان البستاني ، نظماً وشرحاً ، فأعجبتُ بأسلوب هذا الكتاب ، ولكنه لم يتركه عندي سوى أسبوع ، فقد استعرته يوم الجمعة ، ولم أشعر مساء ذلك اليوم من الأسبوع الثاني ، إلا بصوت الأستاذ حسين نظيف ـــ بالظاء المعجمة ـــ وكان يعمل صيرفياً ، في دكان صغير بقرب باب الزيادة ، ومن عادتي أن آتي الى الحرم قبل المغرب

وأبقى فيه إلى بعد العشاء ، فالتفتُ فإذا بالأستاذ عواد واقفاً بقرب حسين . فأخبرني بأنه يريد الكتاب هذه الليلة ، فدعوتهما للذهاب معي الى منزلي ، وكان في أدنى المسفلة ، وكنت تلك الأيام ذا نَهَم شديد لاقتناء الكتب ، وكثيراً ما كانت تباع بالحراج ، بالجُملة . وكان مما اشتريت تلك الأيام «دلائل الإعجاز» و«أساس البلاغة» في طبعة قديمة . وفيهما حواش بتوقيع (محمد حسن قاسم عواد) بتاريخ ١٣٣٧ هـ فلما اطلعت الأستاذ عواداً عليهما قام بمسح اسمه من طُرَّتَيهما وتَتَبَّع كل الحواشي حتى أزال منها الاسم . وقال لي : بأنهما استعيرا منه ، ولكنني حين أبديت له رغبتي بتقديمها له ، وأخبرته باسم الرجل الذي اشتريتها منه ، أظهر عدم حاجته إليهما .

كان من أوائل خريجي مدرسة الفلاح في جدة في العقد الرابع من هذا القرن ، وتولّى التدريس فيها وألف في تلك الفترة كتابا دعاه «الاكليل الذهبي في الانشاء العربي» طبع سنة ١٣٤١ هـ ولكنه كان — فيما بعد — يكره أن ينسب إليه ، وكان كثير الاعتزاز بكتابه «خواطر مصرحة» والواقع أن هذا الكتاب من أَجلِّ آثاره ، ففيه ومضات فكرية سبق بها عصر أقرانه من أدباء هذه البلاد .

وكان قويَّ الاعتداد بنفسه ، بدرجة باعدت بينه وبين كثير من أصدقائه من الأدباء ، لا أذكر أن أديباً أو شاعراً أو كاتباً من ذوي المكانة المرموقة في دنيا الأدب في هذه البلاد ، سلم من نقد الأستاذ العواد ، فما كان يعرف المجاملة ، وما كان هادئاً في نقده إلا إذا اضطر إلى ذلك .

حاولت التحكك به تلك الأيام — ولك أن تتصور ما بين منزلتنا في الأدب والمعرفة ، طالب لم يتجاوز بعد مرحلة الدراسة الأولى وكاتب عملاق عندما يذكر اسمه بين أدباء هذه البلاد وشعرائها يُبْدأُ به ، ولكن هكذا كان ، فقد بدأ بنشر مقالات عن (سليمان بن عبد الملك أول محرر للرقيق) رأيت فيها منافذ للتعرض له ، ووسَّع تلك المنافذ ما بينه وبين بعض الأدباء من جفوة ، دفعتْ بعضهم إلى الثناء على ما أبديه من آراء حول تلك المقالات . ومن هاؤلاء الأستاذ عبد القدوس الانصاري صاحب «المنهل» الذي افسح لي المجال في مجلته للنشر والأستاذ عبدالله عريف رئيس تحرير جريدة

«البلاد» الذي سمح بنشر ثلاث مقالات بعنوان (إلى الشيخ حسن عواد) ثم توقف بعد ذلك بإيعاز من الشيخ محمد سرور الصبان — على ما قيل لي — وفي «المنهل» نشرت ما لا أذكره إلا أن أبا نبيه الأنصاري ذكره الله بكل خير — حين أعاد الأستاذ العواد طبع كتابه عن (سليمان بن عبد الملك) منذ عهد قريب ، مُذَيلاً بالرد على أحد الناقدين ، ذكر في مجلة «المنهل» أنني أنا المعني بالرّد وأشار إلى كلمة لي نشرتها هذه المجلة قبل أربعين عاماً .

لقد ردّ علي في أول الأمر ثم تجاهلني الأستاذ حسن عواد ، بعد ذلك فأحسن اليَّ بتجاهله ، ولعله فعل ما فعل حينما لم يجد أمامه مجالاً يتلاءم مع ماله من مكانة في عالم الأدب ، فترفّع وحسناً فعل !

ولقد تجنّت عليه احدى الصحف ، فوصفته بالإلحاد . وهاجمه الشيخ محمد رشيد رضا — رحمه الله — ونسب إليه أنه قال : (خرج محمد — ﷺ — من الجزيرة ولم يجْر فيها نهراً) وما أكثر ما يحاول الأعداء إلصاق مختلف التهم بمن ينالون حظّاً من الشهرة . أو يبرزون في أحد جوانب الحياة ، ولقد كان عواد — رحمه الله — قوي الإيمان . بعيداً عما رُمي به من ضعف الدين . عرفت ذلك عنه معرفة صلة ومخالطة وقصيدته (صلاة نفس) تعبر أصدق تعبير عن قوة الإيمان وطهارة النفس وسمو الخلق .

وأشدُّ ما يطعن به عليه صراحته التي بلغت به حَدَّ القول المشهور : (لم يترك لي قول الحَقّ صديقاً) وحسبك برجل كانت تربطه بالشيخ محمد بن سرور الصبان في أول حياتهما أقوى الصلات ، ولما دار الزمان فحلق الصبان في سماء الحظ والرفعة ، وأصبح مقصد الباحثين عن المناصب والجاه . وكان عواد على حالة من ضعف الحال تخنع وتخضع ، إلا أنَّ عزة نفسه ، وترفعه أبى عليه ما تهافت لنيله لداته من الأدباء والشعراء ، الذين احتضنهم الشيخ الصبان ، وكان لهم موئلاً — بل لم يتورع محمد حسن عواد — وقد بلغ الشيخ الصبان ما بلغ — من أن يضمَّهُ إلى الزمرة التي أطلق عليها وصف (الأصنام) ورآها جديرة بأن تحطم ، وكانت تمثل روّاد الأدب في منتصف هذا القرن .

وما كان — رحمه الله — ممن يضيق بالنّقد ضِيْقاً يورث الضغينة والكراهية ، فقد زرت إدارة جريدة «البلاد» بعد نشر تلك الكلمات ، فكان استقباله لي كريماً ، ولما

عتبت عليه في أمر لا صلة له في الموضوع اعتذر لي وقال (أنا موظف ولا بد لي مما فعلت[1]) .

ولما أصدرت «اليمامة» أول صحيفة في الرياض كتب الي كتاباً رقيقاً مهنئاً وواعداً بإمدادي بما أرغب فيه من كتاباته ، وكنت بعثت له العدد الأول منها مع كتاب مني رجوته أن يبعث إلي بما يرى نشره فيها .

وأذكر أنني نشرت له شيئاً من ذلك ، ومنه مقال يرد فيه على كاتب مصري يدعى (محمد حلاوة) ومن ألطف ما فيه المقارنة بين (الملكية) و(الجمهورية) وتفضيل الأولى .

ومن سنتين مررت بمدينة جُدَّة ، فزرته في (النادي الأدبي) فكان استقبالاً حارّاً ، وأحاديث طويلة حول الأدب ، ومنها ما يتعلق بتطوير النادي ، وتوسيع مجالاته ، وتنمية مكتبته ، ورغب اليّ أن أتحدث فيه في إحدى الليالي التي أحدد زمنها في أي موضوع اختاره ، فوعدته بذلك .

وحين أتيت إلى جدة يوم السبت ١٩ جمادى الأولى من هذا العام اتصلت بالنادي ليلة الخميس فقيل لي : إن الأستاذ مُتَأثِّر ، وهو لا يحضر هذه الأيام ، ولم أعلم بمرضه ، ولكنني فوجئت بخبر وفاته بعد أسبوع .

---

(١) صدر في تلك الأيام أمرٌ بإخلاء الحرم من النائمين ليلاً ، ومن عادة طلاب العلم البقاء فيه بعد العشاء للمذاكرة ، وكنت وبعض زملائي نحضر كتبنا فنُمْضي في المسجد بعد صلاة العشاء وقتاً لمطالعة دروسنا ، فلم نشعر في إحدى الليالي إلا بمدير شرطة الحرم ، وكان ضابطاً تركيَّ الأصل يدعى (نظمي) يجري ومعه جنديان بأقصى سرعة وكلما مروا بأناس جالسين انهالوا عليهم بالضرب بعصي من الخيزران التي يحملونها ، وكنت ممن ضربوا ، فوقفت في وجه الضابط صارخاً بالاحتجاج ، وان عمله يتنافى مع حرمة هذا المكان ، فادّعى أنني كنت نائماً ، مع أن الكتاب الذي كنت أطالعه بيدي وأرغمني ومن معي على الخروج ، فأبرقت للملك عبد العزيز رحمه الله — وكان في مكة تلك الأيام — فأمار بإحالة الأمر الى المحكمة ، وكانت (المستعجلة) وكان قاضيها الشيخ حسين عبد الغني ، وعند البدء في المحاكمة وقف الضابط يقرأ في أوراق بين يديه ، ولكنه لم يكن يحسن النطق ببعض الكلمات ، فاستوضح منه القاضي وسأله من كتب له هذا الكلام ، وأجاب وهو مرتبك (محمد حسن عواد) وانتهى الموضوع بقرار من القاضي بتوبيخ الضابط ، وأخذ تَعَهُّد منه بأن يعامل من يراه في الحرم بالحسنى ، ولو كان نائماً ، وأن لا تستعمل العِصِيُّ في ذلك المكان الشريف .

لقد أحسست بالأسى يعصر قلبي ، وبوحشة غريبة تطغى علي بانتقال محمد حسن عواد عن عالمنا . ولكن ماذا يملك المرء أمام هذه القوة القاهرة المتمثلة في هذه الكلمة (مات ! مات)

وفي ليلة الأربعاء (١٤٠٠/٦/٧ — ١٩٨٠/٤/٢٢م) لم أغادر الفندق ، منذ أن عدت إليه ظهراً حين أحْسَستُ بالتعب واشتداد الزكام ، وقد أوشكت الوحشة أن تستولي على نفسي ، من جرّاء الوحدة ، ولبعض ما قرأت أثر في ذلك ، فقد علمت بوفاة المستشرق المسلم الحاج عبد الكريم جرمانوس في ١٣٩٩/١٢/١٧هـ — ١٩٧٩/١١/٧م — منذ خمسة شهور ، وقد عرفت الحاج عبد الكريم من كتاباته أولاً ، ثم لما زرت (بودابست) عام ١٣٨٧هـ اجتمعت به مراراً ، وكرم فدعاني إلى بيته ، وأطلعني على مكتبته ، وأفضل هو وقرينته السيدة زبيدة بدعوتي للعشاء في (مطعم القديسين السبعة) وأرشدني إلى طبيب مشهور للعيون في تلك المدينة ، وكان الحاج عبد الكريم ذا مقام بين قومه ، فهو نائب في مجلس الأمة ، وكثيراً ما تسند إليه بعض الأمور التي لها صلة بالعرب على ما قال لي . وقد نشر دراسات عن الأدب في بعض الأقطار العربية باللغة العربية وغيرها ، ولُغَتُهُ العربية مستقيمة ، وطلب مني أن أبعث إليه بعض الكتب المتعلقة بالأدب الحديث في نجد ، فبعثت إليه من بيروت بكتابي «شعراء نجد» و«الأدب الشعبي في جزيرة العرب» وغيرهما ، ولكنني فوجئت بإعادة ما بعثت ، وقد كتب فوقه بلغة تلك البلاد ما تعريبه : (ترجع إلى مرسلها) ولم أدرك تعليلاً لذلك . ولكنني حينما اجتمعت به قبل بضع سنوات . وأخبرته : نفى أن يكون أمر بإرجاعها ، وكان في ذلك الوقت مع تجاوزه الثمانين عاماً نشيطاً صحيح الجسم إلا أن نظره ضعيف ، وكانت زوجته زُبيدة بَرَّةً به ، شديدة الاهتمام بمراعاة صحته ، وهي تصغره بنصف العمر — فيما يظهر — وتتحدث العربية ، وتساعده في كتابة أبحاثه على الآلة الكاتبة .

أكرمني — بالزيارة هذه الليلة — الاخوة عبد الرحمن الحمد الشبيلي وابراهيم العمار ، والدكتور محمد الْمَعيني من عمان[1] ، فمضى هزيع من الليل بمحادثة الأخوين

(١) سبقت الإشارة إليه حين زارني مع الأخ محمد الناصر.

الشبيلي وابن عمار ، مما خفف عني ما ألمَّ بي من وحشة . ولكنني استيقظت مبكراً ، فطالعت صفحات من كتاب «أنساب الاشراف» للبلاذري تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري ـــ وكان أفضل علي بنسخة منه ـــ فغلبني النعاس وهو بين يدي فلم أُفِق إلا الساعة الخامسة صباحاً ، ولما حاولت الخروج من الفندق لفحني الهواء البارد فعدت إلى الغرفة .

وفي صباح يوم الأربعاء (١٤٠٠/٦/٨هـ ـــ ١٩٨٠/٤/٢٣م) كان الالتقاء بالدكتور محمد عدنان البُخَيْت ، وكنت قد أبديت له رغبتي أنا والدكتور عبدالله العثيمين الاطلاع على ما في مكتبة الجامعة من كتب مخطوطة أو مصورة . فدعا الأخ السيد نوفان رجا الحمود ، وأمره بالذهاب معنا إلى (مركز الوثائق والمخطوطات) وكان منفصلاً عن مكتبة الجامعة ، ثم قدم لنا الأخ نوفان (فهرس المخطوطات المصورة)[1] مكتوباً بالآلة ثم مصوراً ، ويقع في ستة أجزاء ، منها ثلاثة قد رتبت فيها الكتب على الفنون ، وألحق بها فهرس يحوي أسماء المؤلفين ، وكثير من تلك الكتب مصور من مكتبات جامعات غربية ، ولفت نظري كثرة الرسائل المتعلقة بالنِّحْلة الدرزيَّة . ومع أنني لا أزال مُتَأثِّراً مما أصابني من البرد أوّل يوم قدمت فيه هذه البلاد . إلا أني شعرت بارتياح دفعني إلى الانهماك في المطالعة والكتابة ، وكأنني لأول مرة أرى فهرس كتب وكما قيل :

وَذُو الشَّوْق الْقَدِيم وَإِنْ تَسَلَّى ... مَشُوْقٌ حين يَلْقَى الْعاشِقِيْنا

ويظهر أن رداءة التصوير أو الكتابة كانت من أسباب عدم الدقة عند ذكر أسماء الكتب أو ذكر التاريخ المتعلق بها . ومن أمثلة ذلك (ص ٤٤٥) : الطبري ـــ الرباط النضر ، في مناقب العشرة ، ووصف خطه بأنه مغربي واضح . ومعروف أن اسم الكتاب «الرياض النضرة ، في مناقب العشرة» للطبري محب الدين العالم المعروف .

وعند ذكر كتاب «خلاصة الوفاء» جاء في وصفه : ـــ ولعل هذا في الفهرس قبل أن يرتب على العلوم ـــ : خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى ـــ للمسهودي نور الدين

---

(١) من اعداد الدكتور محمد عدنان البخيت ، والسيد نوفان رجا الحمود .

علي .. ألّف سنة ٦٩٣ ــ مخطوطة سنة ٧٥٧ ــ الشريط رقم ٣٠ مصور من جامعة شيكاغو رقم ٣٧٢٧ ــ وكنت أعرف أن السمهودي من أهل القرن العاشر، واستبعدت أن يقع خطآن في تاريخ التأليف وفي تاريخ النسخ . وتوهمته غير كتاب السمهودي . ولكنني حين اطلعت على الشريط وجدته هو هو ، والخطأ في قراءة (تسعمائة) في الموضعين ، فليست (ستمائة) و(سبعمائة) .

ورأيت اسم السمهودي مرة أخرى مكتوباً بصورتين ــ بالدال وبالراء ــ وهو غير مؤرخ المدينة ، هو ابراهيم الحسني الشافعي له كتاب «الإشراف على فضل الاشراف» ــ ويقصد اشراف النسب ، وهو مصور من جامعة كولمبيا رقم ٢٤٧ ــ مجموعة سميث ــ ورقم شريطه ٤١٣ ويقع في ٧٦ ــ وللسمهودي المؤرخ كتاب في الموضوع[١] .

ومن مؤلفات السيد مرتضى الزبيدي[٢] شارح القاموس : «جذوة الاقتباس ، في نسب بني العباس» في ١٧ ورقة رقم الشريط ٦ ، من جامعة ييل رقم ٨٧ مجموعة لاندبيرج ، و«نفحة العنبر في نسب الشيخ علي اسكندر» في إحدى عشرة ورقة ، في الشريط رقم ٢٦٦ من مجموعة جاريت في جامعة برينستن ، برقم ٢٩٣٦ .

ورسالته في الدخان ، وهي معروفة ، وقد نشرتها في مجلة «العرب»[٣] .

ومرّ بي اسم «الانباء في تاريخ الخلفاء» لمحمد بن محمد العمراني ، مخطوط سنة ٦٢١ في ١٣٢ ورقة في الشريط رقم ٦٨٠ عن خزانة الرباط ، والكتاب على ما أعرف حققه الدكتور قاسم السامرائي من العراق وتحدثت عنه في «العرب» وقد استعار المحقق الفاضل مني نسخة مصورة ، ولا أعرف ما تمتاز به هذه النسخة ، فأنا انقل معلومات من الفهرس ، ولم أطلع على النسخة .

وكنت تحدثت عن «التذكرة الحمدونية» حين اطلعت على أجزاء منها في بعض

(١) جواهر العقدين ، في فضل الشرفين ــ شرف العلم وشرف النسب .
(٢) لم أجد اسمه في فهرس المؤلفين .
(٣) س ١١ ص ١١٤ الى ١٣٠ .

المكتبات التركية ، فرأيت ذكر أحد أجزائها مصوراً عن مكتبة أحمد الثالث في اصطنبول ، على الشريط رقم ٦٠٩ ومما جاء في وصفه : الجزء الثاني عشر الباب التاسع والأربعون والباب الخمسون ، في التاريخ ، من آدم ومن بعده من الأنبياء . ثم العرب قبل الإسلام فالسيرة النبوية ، فالخلفاء إلى سنة ٥٥٣ — مع الإشارة الى ارتباك في التسلسل ، وأن المؤلف أو الناسخ أشار إلى ذلك بجملة (يحتاج إصلاح) . ويقع في ٢١٩ ورقة من القطع الكبير .

وكتاب «تخريج الدلالات السمعية» على ما كان في عهد الرسول ﷺ من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية» للخزاعي التلمساني ، يقع في ٧١٨ ورقة على الشريط ٣٧٠ عن خزانة الرباط ورقمه فيها ١٨٢٨ د[1] .

ومما لفت نظري عند مطالعة عناوين بعض الرسائل الدرزية ذكر رسالة من القرمطي للحاكم صاحب مصر ، ورد الحاكم عليها ، مما صور من جامعة ييل (٤٥ مجموعة الزبوري) وتقع في الشريط الذي يحمل الرقم (١) وقد وردت الإشارة الى الرسالتين في كتب التاريخ حين استهان القرامطة بحرمة الكعبة المعظمة ، واستباحوا قتل حجاج بيت الله الحرام في مكة .

ولرسائل ابن ماجد الربّان النجدي المشهور صورة على الشريط ٤٧٣ عن مخطوطة في مكتبة الكنجرس (٩٧ مجموعة الشرق الأدنى) لا أدري مبلغها من الصحة والقدم .

ولعناية بعض الأحباب في بلادنا بدراسة الأمثال أُشير إلى مؤلف في هذا الموضوع ، باللغة العامية الشامية عنوانه «تحفة الأكياس» في الأمثال السائرة بين الناس» يقع في ٣٦ ورقة على الشريط ٦٢٠ من مكتبة توبنجن برقم (١٤٥) .

وذكرت وأنا أطالع أسماء مؤلفات السيوطي للبحث عن مقامته التي كتبها عن (ينبع)

---

(١) هذا الكتاب أغار عليه الشيخ الكتاني فضمنه كتابه المطبوع «التراتيب الإدارية» وعلى أثر ذلك تصدى أحد علماء تونس لنشره عن نسخة فيها نقص ، وقد عرف له الآن نسخ احداها في اصطنبول والثنتان في خزانة الرباط والثالثة في الخزانة الملكية في الرباط أيضاً . ويقوم الأستاذ الدكتور إحسان عباس بتحقيقه واعداده للنشر .

فرَّ بي اسم «إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء» مصوراً من جامعة ييل (٢٥٨) في أربع ورقات، على الشريط (١٠) ذكرت كتاب حبيبنا أبي ناصر الأستاذ الشيخ محمد العبودي، ولا أشك بأنه اطلع على هذه الرسالة.

ونسخة «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار — أي القطعة الموجودة من هذا الكتاب في مكتبة بودليان — أكسفورد مصورة على الشريط ١٥٦.

وأخذ مني التعبُ مَأخَذَهُ فلم أستطع الاستمرار في المطالعة، ولا رؤية صورة كتاب «بستان الآداب، والكناش المستطاب» للحميدي — كذا ورد في الفهرس — يقع في جزءين الأول ورقاته ٥٦٦ والثاني ٣٢٠ من القطع الكبير، وقد صور من خزانة الرباط (٢/٢٨٠) على الشريط ٦٧٥ وجاء في آخر الجزء الثاني منه: (انتهى بحمد الله تعالى يتلوه فيما بعد: ومن كتاب جمهرة أنساب العرب، ومن قصيدة لعامر بن الطفيل العامري).

وكنت قبل ذلك قد اتعبت بصري بالاطلاع على الشريط الذي يحمل الرقم (٦٣١) حين رأيت عنوانه: (مصطفى العيص — التبصرة والتذكرة، ينقل مشاهداته في رحلته إلى الديار المقدسة ويتحدث عن الدراويش) صور من مكتبة توبنجن (٢٩ ٧١) فرأيت كثيراً من الصفحات مما لا يقرأ، ورأيت اسم المؤلف (اللطيفي) في أحد هوامش الكتاب، وهو اسم عالق بذهني قبل الاطلاع على هذه النسخة، وقد زار اليمن والحجاز والشام، ويهتم كثيراً بالتصوف، ويوجز فيما لا صلة له، ويكتب بلهجة عاميّة أحياناً.

وكان الأستاذ الدكتور عبدالله العثيمين قد شغل بنقل قصيدة لأحد العراقيين[1]

(١) يدعى السيد ياسين بن السيد ابراهيم البصري الحسيني نظمها في غرة رجب سنة ١١٦٨هـ مطلعها:

بـدأت بـبسم الله والشـكـر والحمـد على نـعم جلت عن الحصر والعد
وثـنـيـت صلى الله ربي مسـلما على المصطفى الداعي الى الخير والرشد
وبعد في صنعاء قد بان خارج مُوَاتٍ بتضليل مُسيلمة النجدي.

واستمر أخزاه الله في هذيانه، ووصمه الدعوة السلفية وإمامها وأنصارها بالزور والبُهتان، تقع في نحو مئة واحدى عشر بيتاً، افتتحها بمقدمة ثم صار يورد من قصيدة الصنعاني البيت أو الأبيات بعنوان (قوله) ويعقب

يعارض فيها قصيدة الصنعاني :

سَلَامي على نَجْدٍ ومن حلَّ في نَجْد ... وَإنْ كَانَ تَسْليمي على البُعْد لا يُجْدي

فأظهرت له رغبتي في الراحة واستأذنته وانصرفت إلى الفندق ، ولزمت الفراش ، وفي المساء سعدت بزيارة بعض الاخوة ومنهم الأستاذ الحبيب اللمسي ، الذي عرفته أول ما عرفته حين أكرمني بالزيارة عندما كنت مقيماً في القاهرة قبل خمسة وعشرين عاماً ، ثم لما زرت تونس . وعلم بذلك سارع الى المجيء هو والأستاذ محمد المطوي العروسي ، في المكتبة العامة ، وأشرت الى هذا في كلامي عن زيارة تلك البلاد الحبيبة الى النفس ، وفي بيروت كان اللقاء مراراً وكان يعمل في (الدار التونسية للنشر) إلا أنه منذ أربعة أعوام فتح له مكتباً في مدينة بيروت ، لنشر الكتب .

وكنا التقينا في الصباح مع الأستاذ الدكتور إحسان عباس ، والدكتورة وداد القاضي ، وجرى حديث حول نشر كتاب «أنساب الاشراف» للبلاذري ، فعلمت أن الدكتورة وِدَادًا تشارك في تحقيق الكتاب ، وأنَّ الدكتورين الدوري وإحسانا أوشكا أن يكملا جزء ين منه . أما الدكتور محمود الغول . فحين جرى الحديث معه في الموضوع ، وأوردت المثل : (تَعسَتِ العجلة) ! ! أوضح أن عمله في (جامعة اليرموك) حال بينه وبين إنجاز تحقيق ما أُسند إليه تحقيقه منه وهو جزءان ، وأضاف بأن من أسباب تأخره في ذلك عدم الاتفاق على طريقة التحقيق ، ولكنها اتضحت له بعد صدور الجزءين اللذين

ذلك بكلمة : (قولى) وقد أورد من قصيدة الصنعاني نحو ثلاثين بيتاً .

وللشيخ سليمان بن سحمان رسالة حول قصيدة الصنعاني وقصيدة أخرى نسبت إليه مطلعها :

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي ... فقد صحَّ لي عنه خلاف الذي عندي

ورسالة الشيخ سليمان مطبوعة مراراً بعنوان «تبرئة الشيخين» وحبذا لو تصدى أحد العلماء للرد على قصيدة هذا العراقي فهي جديرة بذلك ، كما فعل الامام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله ، في رده على مصطفى البولاقي الازهري في قصيدة مماثلة لهذه القصيدة بحرا وقافية ومزاعم باطلة . وقد اطلعت على رد الشيخ عبد اللطيف وعلى قصيدة البولاقي في (دار الكتب المصرية) بقلم نجدي يدعى (ابن جلاجل) فأخبرت الشيخ محمد بن عبد اللطيف — رحمه الله — بالرد وبالقصيدة ، وكان في القاهرة للعلاج وذلك عام ١٣٥٨ فطلب مني نسخها له ففعلت .

حققها الدكتوران إحسان والدوري ، وقال : إنه سيقدم أول الجزءين للطبع في شهر نيسان من عام ١٩٨١م .

والتقيت أيضاً بالدكتور شاكر مصطفى — المصري لا العراقي — رئيس قسم التأريخ في كلية الآداب في جامعة الكويت ، وكان حضر هذا اليوم ولهذا لم يطبع بحثه ولم يوزع على حاضري المؤتمر ، والدكتور شاكر يُعنّي بوضع معجم يحوي تراجم المؤرخين وحدهم من العلماء وقال إنه أكمل نحو ثمانية أجزاء منه .

وقد سألته عن ترجمة عالم له رسالة مخطوطة في وصف مكة والمدينة وبيت المقدس وهو من أهل القرن الرابع الهجري ، واسمه محمد بن أبي بكر التلمساني) على ما في طرة الرسالة التي نشرتها في مجلة « العرب »[1] فرغب الاطلاع على الرسالة ، وعلى ما كتبته عن مؤلفها .

وكان ممن قابلته الدكتور كمال جبر عبد الفتاح ، له مؤلف عن بلاد عسير ، وقال لي : إنه مكث في هذه البلاد حقبة من الزمن ، ودرسها دراسة واسعة . وكتب عنها باللغة الألمانية من الناحية الزراعية ، ووضع في كتابه مجموعة من المصورات الجغرافية ، وقال : إنه سيقدم لي بعضها ومنها ما يتعلق بتوزيع القبائل ، وبتحديد بعض المواضع كالطرق والأودية وأمكنة الأسواق الأسبوعية .

ولما تمنيت أن الكتاب وضع باللغة العربية ، وأبديت له وجود من سيُسْهِم في نشره أجاب بأنه سيصدر قريباً باللغتين الألمانية والفرنسية . وسيفكر في نقله إلى العربية ، وأثنى على سمو الأمير خالد بن فيصل بن عبد العزيز أمير بلاد عسير . وما قدم له من مساعدات ، وأنه وعده بطبعه باللغة العربية على نفقة سموه ،إذا رغب ذلك وان يقدم له خمسة آلاف نسخة دون مقابل .

وكان مما قال لي الدكتور كمال : إن كثيراً ممن يُعْهد إليهم القيام بدراسة بعض مناطق المملكة ليسوا كلهم على درجة من الكفاءة تهيئهم وتمكّنهم من أداء عملهم على الوجه

(١) السنة الثامنة ، من ص ٣٢٤ الى ص ٣٥٧ .

المطلوب ومثل لذلك برجل أمريكي كلف بكتابة تقرير عن منطقة القرعا — أو السودة الشكُّ مني — ودفع في سبيل إعداد ذلك التقرير من المال ما لا يسوغ صرف جزء منه مقابل ما قدمه ذلك الرجل من دراسة تنبىء عن جهله . وأثنى على دراسة قام بها أحد المختصين بالزراعة من العرب عن (المراعي في المملكة) وقد نشرتها (وزارة الزراعة) منذ أمد .

انتهاء المؤتمر: وكان الاجتماع الأخير للمؤتمر في صباح يوم الأربعاء (١٤٠٠/٦/٩هـ ، ١٩٨٠/٤/٢٤م) في الساعة الحادية عشرة . وقد أقيم معرض للمصورات الجغرافية (الخرائط والرسوم) منذ افتتح المؤتمر ، ازدانت بتلك المصورات جدران أبهاء غرف (كلية الزراعة) حيث تعقد الاجتماعات . فكنت ذلك الصباح واقفاً مع أحد الأخوة ، وكان يعني بوضع رسالة عن (صلة الأردن بالمملكة) في عهد تأسيس إمارة شرق الأردن ، فأظهرت له عدم اهتمامي بهذه الناحية من تاريخنا ، وأحببت أن ألفت نظره إلى التثبت عند مراجعة بعض المصادر والحرص بأن تكون شاملة . فلا يجوز الاعتماد على ما قد يراه أو يدونه مؤلف أردني بدون الرجوع الى ما قد يكون مدوناً في مؤلف آخر . لتتم المقارنة التي بها يمكن اتضاح الأمر . وضربت له مثلاً بهذه المصورات التي تملأ هذه الأبهاء . فهي مما لا يصح الاعتماد عليه لا من ناحية رسم الحدود بل حتى في المعلومات التاريخية وفي كتابة الأسماء وخُذْ مثلاً هذا المصور الذي عُنْوِن بـ(الفتوحات الإسلامية) في القرن الهجري الأول أن أكثر هذه المدن والقرى الموضوعة فوقه ، لم تكن موجودة في ذلك القرن ، بل منها ما حدث بعد القرن العاشر ، وعددت بعضها وفي الأسماء : عرار وطبال والميرة والجيشومة وقرة وذات الحج وأسماء أخرى كثيرة شوهت جمال هذا المصور (الخريطة) الذي وضع لبيان مواقع الحروب الإسلامية — الصليبية ، وصوابها : عَرْعر وتُبل والْمِرّار والقيصومة[1] وقارة وذات الحاج[2] .

---

(١) هذه القيصومة منهل في وادي تبل حين يتوغل داخل الحدود العراقية ، وهناك قيصومتان مشهورتان غيرها احداهما جنوب وادي الباطن غير بعيدة عنه والأخرى في الشمال الغربي منه وهي بعيدة وتدعى قيصومة فيحان .

(٢) الحاج نوع من النبات — بتخفيف الجيم .

وكان الاجتماع برئاسة سمو الأمير حسن بن طلال ، افتتحه بكلمة مرتجلة ، شكر فيها المؤتمرين ، ومع إيجازها فقد نالت الاستحسان . ثم قرأ الدكتور ناصر الدين الأسد — رئيس الجامعة الأردنية — المقررات والتوصيات في اثنتي عشرة مادة منها :

١ — استكمال الوثائق والمخطوطات المتعلقة بتاريخ بلاد الشام ، واعداد مكتبة تضم كل ما يتعلق بفلسطين والقدس خاصة .

٢ — تنظيم فهارس (قوائم ببليوغرافية) للأطروحات والكتب والبحوث المتعلقة بفلسطين والعمل لنشر ما هو صالح للنشر فيها .

٣ — تكوين لجنة لدراسة التوصيات ، والعمل على تنفيذ ما تستطيع تنفيذه منها ، وتحرير البحوث المقدمة إلى المؤتمر لنشر ما ترى نشره منها .

ثم جرى نقاش طويل أعقبه تناول الشاهي — كالعادة — واقترح الدكتور ناصر أخذ صورة كاملة للوفود مع سمو رئيس المؤتمر الأمير حسن فوق درج باب (كلية الزراعة) مكان الاجتماع .

وهكذا انتهى المؤتمر .

انزويت في إحدى الغرف أثناء تناول الإخوة الشاهي ، حيث تعبت من الوقوف ، مع إحساسي باشتداد الزكام ، فدخل علي الأخوان الدكتوران عبدالله الشبل وعبد الفتاح أبو علية يتبعها أحد موظفي (وزارة الاعلام) وكان يتتبّع الوفود ليسجل ما يرى تسجيله من انطباعاتهم عن المؤتمر وتوصياته ، ويظهر أنّ الأخوين هربا منه فأشارا له إليّ . فقلت له : لن أبخل عليك بالكلام ، بشرط أن تقبله وإن لم يوافق رغبتك . فكأنني أثرت في نفسه حوافز التطلع إلى ما سأقول ، فجلس جواري مبدياً بأنه يود أن يسمع مني أيّ كلام أقوله ، فكررت له ما سبق أن قلته عن المؤتمرات[1] ، وأن فائدتها قد تنحصر في التّعارف ، وبالتعارف تتآلف القلوب ، وتتّحِد الغايات ، وتقوى أواصر التعاون لبلوغها .

---

(١) أنظر «العرب» س ٨ ص ٤٦٠ .

ويظهر أني لم أداعب عاطفته بما كان يتوقع ، وخاصة حين قلت له : إن المؤتمرين من العلماء ، والعلماء قد يستطيعون رسم الطرق ، وإيضاح الوسائل ، ولكن ليس لديهم ما هو أكثر من ذلك ، كما فعلوا في الدورتين الأوليين لهذا المؤتمر ، بل كما حدث — وسيحدث — في المؤتمرات التي لا عد لها ولا حصر ، في كل قطر عربي ، وفي كل عام بل في كل شهر.

وكلمة حَقٍّ يجب أن تقال : لقد بذل الإخوة المشرفون على شؤون هذا المؤتمر ما وسعهم بذله لتوفيْر الرّاحة الممكنة لكل مَدْعُوٍ إليه . اما عن تنظيم جميع أموره من الناحية الإدارية ، فما لا يستطيع أحد هَضْمهم حقهم ، ولا نُكران فضلهم ، ولا سيَّمَا الأستاذ الكريم الدكتور محمد عدنان البُخَيْت(١) ، رئيس اللجنة المشرفة على الاعداد للمؤتمر ، والقيام بتنظيم جميع أموره.

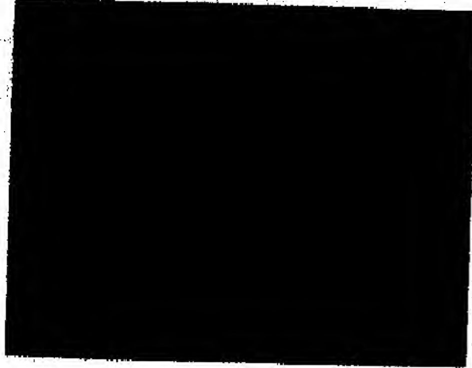
كنت قررت السفر صباح هذا اليوم إلى القاهرة ، وكان موعد الحضور إلى المطار صباحاً الساعة الحادية عشرة غير أنني علمت قبل الخروج من الفندق بأن الطائرة المتوجهة إلى القاهرة تأخر موعد إقلاعها إلى الساعة الثامنة مساء . وكنت حين زرت (مركز الوثائق والمخطوطات) لم أكمل مطالعة ما أردت مطالعته من الفهارس ، فانسللت بعد انتهاء مناقشة (التوصيات) أثناء التقاط صور وفود المؤتمر مع رئيسه الامير الحسن بن طلال ، فرآني الدكتور الأسد ، وكان واقفاً يتحدث مع الأمير فلحق بي وقال : سيأخذ الإخوة الآن صوراً مع الأمير ، فأظهرت الموافقة ، وقلت : إنني عند الباب فوق الدرج ، وهو المكان المُعَدُّ لالتقاط الصور . ولكنني أسرعت حين خرجت ، متجهاً الى (مركز الوثائق) هرباً من التصوير.

فقد ألحَّ الأخ الأستاذ العُزيزيُّ عليَّ قبل الخروج من الفندق هذا الصباح لأخذ صورة (تذكارية) حين رأى المصور يتنقل بآلته بين وفود المؤتمر ، فوافقت ، ولكنني حين رأيت تلك الصورة تضاءلت خَجَلاً من نفسي ، اذْ ظهرت بين الأخوين العزيزي

---

(١) ينطق الاسم مكبرا ومصغرا ، وقد سمعته من الدكتور الأسد مصغرا ولما سألت البخيت نفسه عن صحة النطق أجاب : الدكتور الأسد دائماً يحب التصغير !! وكذا كان اسمي ، ولكنه الآن ينطق مكبراً.

والحبيب اللمسي في مظهر أشبه بمظهر إنسان أُمسك به أثناء ارتكابه أمراً محظوراً فحاول الاختفاء ، وبدا خائفاً منكسر النفس .



من اليمين :
١ ـــ الأستاذ ركس بن زائد العُزَيْزي
٢ ـــ حمد الجاسر
٣ ـــ الأستاذ الحبيب اللمسي)

لم أجد باب مكتبة (الوثائق والمخطوطات) مفتوحاً ، فرجعت إلى موقف السيارات المخصصة لتنقل الضيوف ، فلما أقبلت عليها إذا بسيارة تقف بجانبي ، واذا بالدكتور الأسد ينزل منها ، ثم يمسك بي قائلاً : هذا سمو الأمير يريد أن يسلم عليك ، لقد كان لطيفاً كريم النفس ، استقبلني هاشاً باشاً ، معانقاً عناقاً حاراً . ولم تُجْر البداهة على لساني ـــ بعد التعبير عن كرم الضيافة وحسن الاستقبال سوى القول : إنك بإكرام العلم والعلماء تكرم نفسك وتعلي مقامك ، فشكر وودَّع معانقاً مرة أخرى .

لقد كان الدكتور ناصر الدين الأسد بي حَفِيّاً ، فما رآني إلا أسرع الي معبراً عن استعداده لبذل ما قد أحتاج إليه ، وتلك سجيته مع جميع ضيوف المؤتمر . وأثناء الاجتماع الأول ـــ بعد انتهاء الملك الحسين من افتتاح المؤتمر بخطابه ـــ وتقديم الوفود للسلام عليه ـــ لم يكتف حين رآني بالأخذ بيدي وتقديمي على كثير من الذين تقدموا عليَّ ـــ وكنت أتأخر شيئاً فشيئاً للخروج من مكان الاجتماع ـــ فقدمني للملك وأسبغ علي وصفاً دفعني الى أن قلت أثناء مصافحتي للملك : لا أتهم أستاذنا الدكتور الأسد بالجهل بِي حين وصفني بخلاف ما أتَّصف به ، ولكن الرجل الفاضل يرى في غيره ما يتحلى به نفسه هو من نبل الخلال ، فكأن الكلمة وقعت من نفس الملك موقعاً دفعه الى أن يمدَّ الي يده مرة أخرى مبتسماً ، إن لم يرد أن أدع المكان لغيري ، وكان الملك يوزع كلمات الترحيب وما يبديه من بشاشة وابتسام على من لا يعرفه ممن تقدموا بين يديه توزيعاً عادلاً .

(**عَنـبَر جُودَة**) : أسرعت بعد الظهر في الذهاب إلى المطار ، وتلك عادتي فأنا أسير على الحكمة القائلة : (من تَقَدّم لم يتندم) وفي الساعة الخامسة والنصف كنت أخذت مقعدي بين الجالسين في (صالة السفر) بعد أن شاهدت ما بقربه من أمكنة ، كالسوق الحرة ، والمقهى ، والمكان المخصص لتناول (المرطبات) مجانا من قبل شركة الخطوط الأردنية (عالية) واستبدلت نقوداً مما بقي معي من الدنانير الأردنية ، وعلى ذكرها فإني أنصح بعدم الصرف إلا في المصارف (البنوك) لا في الفنادق .

ها هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عوض الله صالح — مفتي السودان — جالس غير بعيد عني ، وكان ممن حضر المؤتمر ، وقد اجتمعت به مراراً في (مؤتمر السيرة النبوية) في الدوحة في قطر في أول هذا العام ، ومنذ نحو شهر في (أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) في الرياض ، وقبل خمس سنوات عرفته — أول ما عرفته — حين زرت الخرطوم ، فاجتمعت به عند سفير بلادنا الأستاذ الكريم الشيخ عرب سعيد هاشم (يوم الخميس ١٣٩٦/١٢/٢٥ هـ) وتحدثت عنه بما انطبع في ذهني في أول اجتماع)[١] .

جلستُ بقرب الشيخ ، وكان مُحَدِّثاً لبقاً فكِهاً ، بحيث تمنيت أن يطول أمد الجلوس ، فكان ذالك ، ولكن بدرجة لا تكاد تحتمل ، فقد تأخر السفر إلى الساعة التاسعة ، ثم الحادية عشرة ، ثم لم يكن الإقلاع من المطار إلا بعد الساعة الثانية عشرة .

وببركة الشيخ أفضل علينا أحد موظفي المطار بالخروج من المكان الذي اجتمع به المسافرون حتى ملأوه ، فهم بين واقف ، وجالسٍ فوق آخر ، مع ضيق ذلك المكان وكثرة المسافرين ، ولم يسمح لغيرنا بالخروج ، لأنهم قد فتشوا تمهيداً لركوب الطائرة . وحين يريد احداً أن يخرج لأمر عارض يعترضه أحد الشرطة ، حتى طال الوقت وضَجَّ الناس ، فسمح لذوي الحاجة منهم .

كان الشيخ عوض الله حين يرى ما فيه أولئك من ضيق وحَصْرٍ وضوضاء ، يكرر كلمة (عَنْبر جُودَة) حتى استوضحت منه عن معناها فقال : جودة قرية تقع في شمال

(١) أنظر «العرب» س ١١ ص ٤٨٥ .

الخرطوم ، وتبعد عنه نحو ثلاث مئة وخمسين كيلاً . وجرى أن حُبس في سجن تلك القرية أربعون إنساناً ، وكان السجن مسقفاً ولا منفذ فيه للهواء ، وكان الوقت حاراً فبدأ المحبوسون يتساقطون موتاً واحداً بعد الآخر ، ولم يبق منهم سوى واحدٍ ، فذكرني هذا المنظر بذالك المثل الذي يُضْرب في الحالة التي يستسلم فيها الْمَرءُ للواقع ، ولا يتصرف تصرفاً يخرجه مما وقع فيه من ورطة . فيقال لحثّه على عدم الاستسلام : وهل وقعت في (عنبر جودة) ؟!

مضى لي في انتظار السفر وقت تجاوز ست ساعات ، لم أطعم فيه سوى كوب من شراب بارد حلو ، يقال إنه عصير برتقال ، ولم أرَ عند المَشْرَب الذي داخل المطار من الأكل ما يغري بتناوله ، وفي الطائرة قُدّم طعام بارد ، ولكنه كان لذيذاً ، وكما قال حميدان الشويعر :

الجوع خَــدَيْــديم اجوادْ ودّكْ يـاطى كـل زْنـقَـه
والـنـعـمـة خَـمْـر جهاشيَهْ مـا يحفـظـهـا كـود وْثـقـه

وفي الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم الجمعة (١٤٠٠/٦/١١هـ و١٩٨٠/٤/٢٦م) كنت أرمي بالحقيبة داخل منزلي في شارع مراحق بن عامر في الجيزة ، وأتمدد فوق أقرب مكان صالح للنوم ، اذ قد أخذ مني التعب مأخذه ، فطيران ساعتين ، وقبله انتظار ست ساعات ، ثم المزاحمة للبحث عن الحقيبة — ركاب الطائرة نحو ٤٠٠ إذا صدق أحد المضيفين — ثم .. ثم .. ثم وسيبقى السفر كما كان (قطعة من العذاب) !

حمد الجاسر

الشعر في الجزيرة العربية

نجد و الأحساء و القطيف

خلال قرنين (١١٥٠ - ١٣٥٠)

— ١ —

الصنعة البديعية :

إذا دخلنا في نهج القصائد وطرقها ، وجدنا عبث البديع بشتى أنواعه وظاهرة التعلق بأذيال القدامى ، بمجاراة أو بمعارضة ، أو تضمين ظاهرة عامة ، والتقليد سواء في علم النفس أو علم الاجتماع أم الأدب يدل على ضعف الشخصية ، وهذا ما حدث فشعراء هذه العصور مثل اجدادهم في عصر الانحطاط يشكون من أنفسهم ، وفي مجتمعهم وفي حياتهم السياسية والاجتماعية ضعفاً وخللاً ، وحسب نظرية الضعيف يقلد القوي فقد انطلق ضعفهم على شكل نفثات مصدورين على صفحات الشعر والأدب ، فهاموا بالقدماء تقليداً ، وباختصار آثارهم ، أو شرحها ، أو نثر ما نظم منها ، ونظم ما انتثر حتى الشعر جاءته الشروح وهل التخميس والتشطير الذي نجده عند غالب الشعراء إلا شرح للقصيدة الأصل ؟ انها مثل شروحات المتون ، لكنهم يشرحون النثر بنثر ، ويشرحون الشعر بالتشطير والتخميس ، ومثلما أن بعض الشروح النثرية ، حجب سميكة من الغبار دون الرؤية النقية فإن التشطير والتخميس ، عملية عجيبة ، وتصور صانعاً يريد أن يمدد سيارة صغيرة ليحولها الى سيارة شحن واضعاً الوصلات من الحديد وغيره ، ومهما كان عقله ضعيفاً ، وجهده مخفقاً ، فإنه أخو الذي يشطر ، لا فرق بينهما ، وكلاهما من «عيال الصناعة» .

قال أحمد عزة العمري بيتين جميلين : (١)

---

(١) تاريخ الاحساء : ١٨٤/٢ .

ان المذاهب كالمناهل للهدى   والمرء مثل الوارد الظمآن
والنفس ان رويت بأول منهل   غنيت بلا كره لشرب الثاني

لكنه يأبى إلا افسادهما ، فطلب من عبدالله بن علي آل عبد القادر تخميسها فقال[1] :

يا سالكاً وجد السبيل تعددا   خذ ما تشاء فسوف تأتي المقصدا
واحذر وقوفك حيرة وترددا   ان المذاهب كالمناهل للهدى
والمرء مثل الوارد الظمآن

فإذا نزلت من الحمى في منزل   لا الفينك عن سواه بمعزل
فالحر لا يبقى رهينة أول   والنفس ان رضيت بأول منهل
غنيت بلا كره لشرب الثاني

ومن التشطير قول عبد الحق العثماني[2] :

في صدرها كوكبا در كأنهما   حقان من فضة بالمسك مختتم
والخال ينبيك ان الوجنتين هما   ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غدائرها   عن كف ملتمس أو ثغر ملتثم
حتى استحلا دم العشاق واعتصما   فالناس في الحل والركنان في الحرم

ويزداد ولعهم بالتشطير والتخميس حتى يصبح عاهة ومحنة لا ينفك منها الشاعر ، فنجد معظمهم ينظم القصائد ثم يعود عليها بالتشطير والتخميس قال عبدالله بن عمير ناظماً ومخمساً[3] :

---

(١) تاريخ الاحساء : ١٨٤/٢ .
(٢) عبد الحق العثماني «مقالة» عبد القدوس الانصاري . المنهل جمادي الأولى ١٣٧٧ هـ وكنا إذا قرأنا الشعر المعاصر الذي يستعيد الألفاظ الدينية لمعان أخر لمناه وخطأناه ، فما بالك حين يستعمل الألفاظ والمعاني المقدسة في الغزل الصريح .
(٣) شعراء هجر : ٥٦٥ ، ولا يستقيم الوزن في البيت الأول إلا بحذف علامة الندبة من كلمة «رب» الأولى . ومثله البيت الخامس الذي دخله النشاز ولعل أصله مع البيت الرابع هكذا :
ان عرتني في زماني كربة   أيقنت نفسي من الله الفرج
والقصيدة من الرمل .

رباه يا رباه عمري مدة تنقضي بالموت اذ لا رجعة
حسب نفسي من ذنوبي توبة ما عرتني في زماني كربة
إلا وايقنت من الله الفرج

مالك الملك مدر للغنى مذهب الاسقام من بعد الضنى
واحد فرد فلا يخشى الفنا كاشف الضر مزيل للعنا
عالم الأسرار في بطن المهج

ولعل عبدالله بن عمير من أكثر من طرق هذا الباب عودا وبدءا .

(٢)

والتضمين نوع من العبث ، ألح عليه الشعراء وأعجبوا به ، وهو مثل التشطير والتخميس في مغزاه الذي يقوم على شروح قصائد الأولين ، لكن له نكتة أخرى فالشعراء لا يكادون يطمئنون الى قوتهم إلا بالتضمين، لأن التضمين مثل الدليل من الآيات والآحاد والشعر يستعين به علماء الشريعة واللغة لتأصيل قاعدة أو الاستشهاد لقضية ، وهؤلاء الشعراء يقوون به قصائدهم ، ويوشونها ، كما قال عبد الحق العثماني (١) :

يا عاذلاً لامني في حب طيبة لا تكثر فحسبي تباريح أقاسيها
وانظر لما قاله العشاق من قدم في حالة البعد ممن بات يرجوها
لا يدرك الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها
وكيف يدرك خلو حال مضطرب والنار لم تور إلا رجل واطيها

أخشى أن يكون الشاعر لم يتحدث عن الشوق الى طيبة إلا لتضمين هذا البيت ، ودليل ذلك أن التضمين لا يتأتى عفواً ، بين قوسين بل تسبقه عملية تشبه شرح مناسبة البيت ، والتوطئة له ، وهي مقصودة طبعاً ، وهذا شر ما يقع فيه المقلدون ، حين لا

---

(١) عبد الحق العثماني . مقالة عبد القدوس الانصاري ، المنهل جمادي الأولى ١٣٧٧ هـ .

تكون أبياتهم تعبيراً عن حالة نفسية ، أرادوا تزكيتها ببيت من الشعر ، بل هي مجرد حواش حول المتن كما قال أيضاً عبدالله بن علي آل عبد القادر[1] :

لله در المعــري في مــقـالـتـه ... وقد تجافَى عن الخلان وانقبضا
جربت دهري وأهليه فما تركت ... لي التجارب في ود امرىء غرضا
ان المحبـــة داء لا دواء لـــه ... إلا السلو ومالي بالسلو رضا
وقد جنحت اليه لو ظفرت به ... لأن لي في بعادي عنهم عوضا

(٣)

ومن الصناعة اللفظية الحاح الشاعر على تكرار حرف من حروف الهجاء في البيت يجمع الكلمات التي يقع فيها هذا الحرف كقول أحمد الحفظي الأول[2] :

وقـم مـقـاما قويماً قد أقام به ... قوم يقـال لهم أهـل المقـامات
ودن وادن الى ديـن يـديـن به ... اهـل الـديـانـة لا أهل الدنيات

وقال ابن سحمان[3] :

اكتب ككتبي كما قد كنت أكتبه ... كتباً ككتبي لهذا الكتب في الكتب

ومن نضح البيئة العلمية والثقافة الدينية جاءت ظاهرة «الاستفتاء» وهو ليس عن حكم عمل حراماً أو حلالا من أحكام الشريعة بل يتصل بقضايا الحب والغزل والهوى ، وعادة يكون السائل غير المجيب ، لكن التقليد يطغى أيضاً على التقليد فيكون السائل والمجيب واحداً ، كما قال عبد الحق العثماني يستفتِي أهل العلم هل يجوز هجر

---

(١) شعراء هجر : ٢٥٩ وقد تصرفت في ترتيب الأبيات .

(٢) نفحات من عسير ٢٥٩ .

(٣) ديوانه : ٢٣٥ رحم الله دولة الشعر فلو أن ناقِداً مرهف الذوق سمع هذه الدندنة والقمقمة والكتتكة ولم يصب بصدمة في نفسه أو جسم لعددته رجلاً جليداً .

المحبوب إذا رفض القبلة[1] :

إذا ظهر الصدود من المفدى وشح على المحب بريق فيه
أيتركه ويسلو عن هواه والا يستقيم ويرتضيه ؟

وتأتي فتواه مقرونة بحث المحبوب على ارضاء احبابه ، لأن القبلة من اللمم الذي لا يفضي الى مكروه !

عجبت لمن يلوم شجيٍّ قلب على طلب الوصال ويجتويه
ويزعم أن لثم الثغر يفضي الى فعل القبيح ويزدريه

ومثل الاستفتاءات ما شاع عند القوم من الأحاجي والألغاز ، سواء في أمور الدين والعلم ، والنحو ، وشتى وكل ما خطر على بالهم ، المهم أن يكون في الأبيات شيء يستدعي دقة النظر ، لحل هذا اللغز ، قال البيتوشي يسأل عن فاعل نال في هذه الأبيات[2] :

مذ أخبرتني انها تهجر من غير ملل
ما نالني من هجرها لا والذي عز وجل

(٤)

واعتاد الشعراء ختام قصائدهم بالتاريخ الشعري أو عملية حساب الحروف الأبجدية ليستخرج منها القراء تاريخاً لحادثة هامة ، ولأية وال ، أو خراب مدينة ، أو بناء قصر ، أو وفاة حاكم ، أو شيوع وباء ، أو سيل جارف ، أو جدب وفقر .

---

(١) عبد الحق العثماني ، مقالة عبد القدوس الانصاري . المنهل جمادى الأولى ١٣٧٧ هـ وقد استأنس الشاعر برأي بعض الفقهاء بأن القبلة من اللمم والأخطاء الصغيرة التي يعفو الله عنها إذا اجتنبت الكبائر ، وهو رأي لا يستند الى روح الشريعة المطهرة لأن الله إذا حرم شيئاً حرم أسبابه ووسائله ، وهل القبلة لغير محرم الا رقية الزنى ؟

(٢) شعراء هجر : ٤٥ ، وفاعل نال : وجل .

قال أحد أدباء القطيف يؤرخ بداية حكم آل عريعر على ساحل الخليج(١) :

رأيت البدو آل حميد لما تولوا احدثوا في الخط ظلما
أتى تاريخهم لما تولوا كفانا الله شرهم : طغى الما
١٠١٠ + ٧٢ = ١٠٨٢ هـ

وفي زوالهم أرخ شاعر آخر وآثر أن يأتي بكلمة مطابقة لـ«طغى» ليكون محسنا بديعيا : (٢)

وتاريخ الزوال أتى طباقاً «وغار» اذ انتهى الاجل المسمى
١٢٠٦ هـ

وأرخ أديب آخر كارثة الدرعية على يدي ابراهيم باشا : (٣)

عام به الناس جالوا حسبما جالوا ونال منا الاعادي فيه مانالوا
قال الاخلاء ارخه فقلت لهم أرخت قالوا بماذا قلت «غربال»
١٢٣٣ هـ

ومن تاريخ الوفيات قول صالح البسام ، يؤرخ وفاة الشيخ محمد بن مانع : (٤)

فجئت بنظم للوفاة مؤرخ مقيم بدار الحمد في منتهى القصد
٢٤٠ + ٢٠٧ + ٨٣ + ٩٠ + ٤٩٦ + ٢٢٥ = ١٢٩١ هـ

وهو أيضاً نوع ورثه الشعراء عن شعراء عصر الانحطاط واعجبوا به ، وغير خفي أن دخوله امتداد لدخول الأسلوب العلمي الذي ظل يزحف على الشعر ، حتى كاد أن يمسخه مخلوقاً أسطورياً .

---

(١) عنوان المجد : ٧٤/١ وفي الأصل ١٠٨٩ وهو خلاف مجموع الحساب والمعروف في التاريخ أن بداية حكم آل عريعر ١٠٧٧ هـ وربما اختار الشاعر عام ١٠٨٢ قاصداً شمول حكمهم الاحساء والقطيف .

(٢) عنوان المجد : ١١٠/١ من الأصل ١٢٠٨ وهو خلاف حساب الحروف وخلاف ما عرف في التاريخ .

(٣) عنوان المجد : ٢١٤/١ .

(٤) عقد الدرر وقد عد الشاعر التنوين في مقام حرف لاكمال الحساب والحساب بدون تنوين ١٢٤١ هـ .

ولا ننسى أن للتاريخ الشعرى بهذا الشكل الذي نجده في هذا الشعر مزية اعلامية حين يريد الشاعر أن يمدح أو يذم حدثاً أو حاكماً ويشهر به بأساوب غير مكشوف ولا معروف بأسلوب ينتشر بين الناس كانتشار النكتة أو أسرع ، وانظر كيف هجا الشاعر القطيفي آل عريعر بـ« طغى الماء » إنه يعبر بأسلوبه عن طغيانهم ، ونفس الشيء في كلمة « غار » التي تعني الشماتة ونفس الشيء في حادثة الدرعية فقد كان صاحب البيت من أنصار الدعوة الاصلاحية فعبر بأسلوب يدل على الإيمان عندما قال « غربال » أي اختبار من الله وامتحان لكن هذه المعاني ليست من أصل مقصد التاريخ الشعري ، ولذلك فإنها وإن جملت لا تعني حسن التاريخ الشعري .

(٥)

واذا تجاوزنا لباب الشعر ، وما دخله من وهن ، الى القشرة أو اللفظ ، وجدنا النقوش والزخرفة التي تحول القصيدة الى قطعة من المومياء ، مظهر براق وباطن أجوف .

فالطباق والجناس والتورية والمقابلة الوان لون بها الشعراء قصائدهم وكلهم يركضون خلفها ، ويستجيدونها .

قال عبدالله بن علي آل عبد القادر في الجناس :[١]

خليلي قد أضر بي التنائي ... فهل لي رجعة أرجو شفاها؟
شفاء لا يغادر لي سقاما ... إذا ناجيت احبابي شفاها

وقال محمد الخطيب الزللي في الجناس والمزاوجة :[٢]

وفود الأماني نحو بابك ترقل ... وخود التهاني في رحابك ترفل

وقال عبد الرحمن المكي في الجناس أيضاً :[٣]

---

(١) مختارات آل عبد القادر : ٣

(٢) من شعرائنا في العصر العثماني . بحوث المؤتمر الأول للأدباء ٤٨٣/٢ .

(٣) ديوان عبد الرحمن المكي (مخطوط) .

أهـدى سلامـا فاق أنفـاس الصبـا

يحكي لُيَيْلاتٍ تـقضت بـالصـبـا
وعرفه قد فـاح من ذات الخبا
يهيج وقـد الشوق مهما قد خبا

ومثل ذلك التورية ، كما في قول عبد الواحد الأشرم[1] :

رنـا فسـألته عن سهم لحظ أيصلح للقتال فقال صالح
وقال به أميت الصب عمدا فقلت وكيف ذاك وأنت صالح

وأغرم بهذا النمط عبد العزيز بن عبد اللطيف رغم فحولته أو لعل فحولته وسرعة بديهته هي ما أوقعه في هذا المزلق ، وقد عرفت عنه النكات البديعية في ارتجاله ، ورويته ، حتى ليصدق عليه لقب شاعر البديع ، هذا إذا استثنينا شعره الآخر الذي كان فيه من ارهاصات النهضة الشعرية ومن عبثه في الارتجال[2] :

يا رب لا كـان الشقيق فانه قد صَدَّ أرباب العلا عن نيله
فـتـفـرقت فـيـه تلامـذتي فذا في صرمـه لاه وذا في وصله

ويقصد بالصرم هنا جذاذ النخل ، وكان قد سأل عن تلميذين غابا عن حلقته التي يُدَرِّسُ فيها فقيل له إن أحدهما يجذ نخلاً ، والآخر يبتني أهلاً ، وهو مشغول بهذا العرس .

ومن عبثه ما كتبه لأحد اصدقائه[3] :

وميض البرق من غرب العيوني أفاض الدمع من غرب العيون
مـلـكتم سـادتي رقى فاذا عـليكم بعد لو كاتبتموني

---

(١) من شعرائنا في العصر العثماني ، بحث ، بحوث المؤتمر الأول للأدباء ٤٩٠/١ .
(٢) شعراء هجر : ٤٨ .
(٣) تاريخ الاحساء : ١٣٦/٢ — ١٣٧ .

أكاتبكم وأنتم في فؤادي وأطلبكم وأنتم في العيون

وقد وجد الشعراء في المصطلحات العلمية ، ميداناً واسعاً للتورية ، ومما يتصل بها عن ترصيع ونقوش ، وحلى ، وقد وجدوا في النحو والحديث مجالاً لهم واسعاً فسيحاً ، وسبب ذلك أن هذه المصطلحات معروفة عند الخاصة ومتمايزة في تعريفاتها عن تعاريف العلوم الأخرى التي لا تجد فيها تميزاً واضحاً ، ينقل المصطلح الجديد نقلة بعيدة ، فالأخبار ، والأحوال ، والغريب ، والمرسل ذات دلالة بعيدة عن معناها الأصلي ، بخلاف مصطلحات التفسير والفقه والتوحيد التي تتلاقى مع المعاني الأصلية للكلمات دون فواصل فالناسخ والمنسوخ ، والمجمل ، والحلال والحرام ، والشرك الأصغر ، والنفاق ، كلها كلمات لا تبعد عن معانيها اللغوية كثيراً ، والنحو كان أكثر العلوم مصطلحات ورى بها الشعراء ووضعوا بها قال عبدالله الغاشمي :[1]

ولا تخف الإعلال ماكل مصدر يعل وما الأفعال إلا لواليها

وقال ابن معتوق[2] :

فيا ذلة الدين الحنيفي بعدما تبدل منه الرفع والنصب بالجر

وقال[3] :

ومذ دخلت تلك المنازل أظهرت لها مُضْمَراً من حزنها المتداخل

وقال ابن مشرف :[4]

مددت للصب طرفا قاصرا فلذا قد هام ما بين ممدود ومقصور

وقال عبدالله بن على العبد القادر يمدح أحمد عزت العمري[1] :

---

(١) نفحات من عسير : ٨٤ .

(٢) ديوان ابن معتوق : ٨٨ .

(٣) ديوان ابن معتوق : ٩٠ .

(٤) ديوان ابن مشرف .

(٥) انشدنيه الشيخ محمد بن عبدالله المبارك .

مدينة عُنَيزة

— ٣ —

لمحات تاريخية :

نذكر هنا بعض اللمحات التاريخية التي ذكرت فيها (عُنَيْزة) منذ أول وجودها قَرْية إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري . وهذه اللمحات ليست دراسة تاريخية مفصلة كاملة تهتم بتعليل الحوادث التاريخية وتحليلها بمعرفة أسبابها ونتائجها . ذلك بأن هذا الكتاب ليس كتاباً تاريخياً للحوادث ولو كان كذلك إلى جانب كونه معجماً جغرافياً لكان طويلاً مُملاً إذا استطاع كاتبه أن يجعله كذلك .

وإنما المقصود من إثبات هذه اللمحات هو تقريبها أمام القاريء العادي أو تيسيرها

أخو همة أوجبت رفعه على الفاعلية والابتدا

وقال عبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك[1] :

عديم النحو علمني معاني التنازع في الهوى والاشتغال

وقد تفاوت الشعراء في استعمال الصنعة البديعية ، مقل ومستكثر ، لا ختلاف البيئات . وأكثر ما وجدت الصنعة البديعية في الحجاز ، بكافة فنونها من تشجير وتدوير وتطريز ، وتخميس وتشجير وتضمين ، ومقابلة وجناس .. وتناول الشعراء في الاحساء هذه الفنون بصورة أقل من شعراء الحجاز ، لكن الشعر في ظلال الدعوة لا صلاحية أقل البيئات عناية بها ، لانشغال شعرائه بالجد والدفاع عن الحركة ، ويمكن أن نقول مطمئنين : إن البديع في شعر الدعوة نادر ، وأن أكثر هذا النادر وليد الطبع والعفوية[2] .

د. عبدالله الحامد

---

(١) شعراء هجر ١٥١ .

(٢) أنظر كتاب «الشعر في ظلال حركة الامام محمد بن عبد الوهاب» لكاتب السطور.

مدينة عُنَيزة

— ٣ —

لمحات تاريخية :

نذكر هنا بعض اللمحات التاريخية التي ذكرت فيها (عُنَيْزة) منذ أول وجودها قَرْية إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري . وهذه اللمحات ليست دراسة تاريخية مفصلة كاملة تهتم بتعليل الحوادث التاريخية وتحليلها بمعرفة أسبابها ونتائجها . ذلك بأن هذا الكتاب ليس كتاباً تاريخياً للحوادث ولو كان كذلك إلى جانب كونه معجماً جغرافياً لكان طويلاً مُمِلاً إذا استطاع كاتبه أن يجعله كذلك .

وإنما المقصود من إثبات هذه اللمحات هو تقريبها أمام القاريء العادي أو تيسيرها

أخو همة أوجبت رفعه　　على الفاعلية والابتدا

وقال عبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك[1] :

عديم النحو علمني معاني　　التنازع في الهوى والاشتغال

وقد تفاوت الشعراء في استعمال الصنعة البديعية ، مقل ومستكثر ، لا ختلاف البيئات . وأكثر ما وجدت الصنعة البديعية في الحجاز ، بكافة فنونها من تشجير وتدوير وتطريز ، وتخميس وتشجير وتضمين ، ومقابلة وجناس .. وتناول الشعراء في الاحساء هذه الفنون بصورة أقل من شعراء الحجاز ، لكن الشعر في ظلال الدعوة لا صلاحية أقل البيئات عناية بها ، لانشغال شعرائه بالجد والدفاع عن الحركة ، ويمكن أن نقول مطمئنين : إن البديع في شعر الدعوة نادر ، وأن أكثر هذا النادر وليد الطبع والعفوية[2] .

د. عبدالله الحامد

---

(١) شعراء هجر ١٥١ .
(٢) أنظر كتاب «الشعر في ظلال حركة الامام محمد بن عبد الوهاب» لكاتب السطور .

للباحث الذي يمكنْ أن يتخذ منها مدخلا إلى دراسة تاريخية موسعة .

سبق أن ذكرنا في أول الرسم واقعة ذُكِرَتْ فيها (عُنيزة) وَوُصِفَتْ فيها بأنها قرية وذلك في الثُّلُثِ الأول من القرن التاسع الهجري ، وهو تاريخ مبكر لأكثر البلدان المعمورة في القصيم في تاريخها بعد الفترة المظلمة أو خلالها . وقد كُتِبَتْ بأيدي مؤرخين من غير أهل القصيم وذلك ما ذكره ابن الجزري وتقي الدين الفاسي وتقدم في أول هذا الرسم : (رسم عنيزة) .

سنة ١٠٩٦هـ .

قال ابن بشر :

فيها أو التي بعدها ظهر احمد بن زيد — الشريف — على نجد ، ونزل (عنيزة) وفعل بأهلها ما فعل[١] .

وقد ذكرها ابن عيسى في التي بعدها فقال :

وفي سنة ١٠٩٧ ظهر الشريف احمد بن زيد بن محسن إلى نجد ، ونزل بلد (عنيزة) وفضى العقيلية[٢] وهدمها ، وفعل بها من القبح والفساد ما لا يعلمه إلا الله[٣] .

أقول : الصحيح ما ذكره ابن عيسى من أنَّ ذلك كان في سنة ١٠٩٧هـ فهكذا ذكره العصامي في تاريخه ذكر ذلك عند خروج الشريف المذكور إلى نجد ، وعند رجوعه منها غير أنه ذكر (بلاد عنزة) في كلا الموضعين بدل (عنيزة)[٤] وأرى أن ذلك تحريف وان الصحيح (عنيزة) كما ذكره مؤرخو أهل نجد .

قال ابن بشر : في تمام المائة بعد الألف أتى الحواجّ الثلاثة ونزلوا بعنيزة في ناحية القصيم ، وغلا الطعام[٥] .

---

(١) عنوان المجد ج ٢ ص ٢١٧ (طبعة وزارة المعارف) .

(٢) راجع رسم : «العقيلية»

(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ٧٠ .

(٤) سمط النجوم العوالي ج ٤ ص ٥٦٣ — ٥٦٤ .

(٥) عنوان المجد ج ١ ص ١٠٨ .

أقول : فصل هذه الواقعة بعض التفصيل الشيخ مقبل الذكير اذ قال :

سنة ١١٠٠ :

في هذه السنة نزل الحواج الثلاثة بلد (عنيزة) في القصيم : حاج العراق ، وحاج الأحساء ونواحيه . وحصل في البلد موسم عظيم ، واستفادت البلد من ذلك فائدة كبيرة وغلى فيها الطعام ، ولما رحل الحاج العراقي ، ونزل قرب التنومة آخر قرى القصيم من جهة الشرق اغار الظفير والفضول على الحاج وأخذوه .

أقول : لم يذكر رحمه الله الأ حَاجَّيْن اثنين هما حاجُّ الأحساء وحاجُّ العراق فمن هو الحاجُّ الثالث الذي ورد ذكره في عبارته وعبارة ابن بشر؟ الجواب فيما أظن أنه حاج العجم وجنوب العراق الذي يجيء مع طريق البصرة وذلك أمر طبيعي بالنسبة إلى هذا الحاج أن يأتي من هذا الطريق اما الحاج العراقي الآخر الذي جاء الى القصم مع طريق غير مألوف حتى استحق التنويه بمجيئه فهو حاج بغداد الذي كان طريقه المعتاد هو طريق حاج الكوفة القديم المسمى بالطريق السلطاني . وهو الذي يمر بالأجفر وفيد وسميراء في جنوب منطقة حائل .

١١١٠ هـ .

قال الذُّكير :

في هذه السنة سطى آل أبو غنام وآل بكر على فوزان بن حميدان بن حسن في المليحة ، المحلة المعروفة في (عنيزة) واستنقذوا منه منزلتهم (العقيلية) التي كان قد تغلب عليها .

وقد ذكر ابن بشر هذه الوقعة في حوادث ١١٠٧ وقال : إنهم أخرجوا فوزان من عُنَيْزة بعد وقعة بريدة وغدره فيهم ولم نقف على تفاصيل وقعة بريدة التي أشار اليها ابن بشر والرواية الأولى أصح من حيث التاريخ لأننا نقلناها عن بعض مؤرخي القصيم . هذا كلام الذكير .

أقول : وقعة بريدة أشار اليها بعض المؤرخين ولكنهم لم يفصلوا القول فيها ولم

يذكروا كيفية غدره فيهم ، ونص كلام ابن عيسى :

في عام ١١٠٩ فضى فوزان بن حميدان أمير (عنيزة) بلدة بريدة[١] . أقول : هذا ما ذكره الشيخ ابراهيم بن عيسى عن فوزان بن حميدان وقد وجدت في بعض الأوراق التاريخية في (عنيزة) شيئاً يتعلق بهذا الموضوع رأيت في نقله هنا فائدة ونصه : المثل السائر يقول : «لعين حميدان يحيا محمد» لأن حميدان أنجب من أخيه محمد (ويحشم) محمد لأجل خاطر أخيه حميدان ، وهما أخوان من بني ثور من سبيع أهل (عنيزة) فأما حميدان فهو والد فوزان بن حميدان بن حسن الملقب ابن معمر امير (عنيزة) وقصره هو المسمى «قصر الكعيد» : بيت مبارك المساعد وصالح آل عبدالله وما حوله . وأما محمد فهو والد رشيد بن محمد بن حسن ولرشيد أربعة أولاد : عبدالله ودخيِّل وفايز وجارالله . فأما دخيِّل وكان عالماً ومات بمكة ودخيِّل وعبدالله وفايز ثلاثتهم عقماء[٢] ليس لهم أولاد ، وأما جار الله فكان له ولدان فماتوا وانقطع آل رشيد كلهم .

هذا ما وجدته .

وقال ابن عيسى :

في سنة ١١١٥ قُتل أمير عنيزة فوزان بن حميدان بن حسن الملقب ابن معمر من آل فضل آل جرّاح أهل (عنيزة) وذلك في آخر يوم من جمادي الآخر[٣] من السنة المذكورة واستولوا آل جناح على عنيزة كلها[٤] هكذا ساق الخبر مختصراً .

وقال مقبل الذكير في تاريخه في حوادث ١١١٥ : قتل فوزان بن حميدان أمير عنيزة آخر يوم من جمادي الثانية من هذه السنة . وقد سبق الكلام عن النزاع الواقع بين أهل عنيزة وانقسامهم ، وكثرة الحروب بينهم خصوصاً بين فوزان بن حميدان بن حسن آل

---

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ٧٩ . وقد ذكرت لفظَيْن أخرين مختصرين أيضاً لهذه الواقعة في رسم بريدة ج ٢ ص ٥٠١ .

(٢) عقماء : جمع عقيم .

(٣) الوجه : الآخرة .

(٤) تاريخ بعض الحوادث ص ٨٤ .

معمر وبين جبور بني خالد أمراء الجناح القرية المعروفة في عنيزة فلما كان هذه السنة حصل خلاف بين فوزان وبين الجبور ادى إلى قتال قتل فيه الأمير فوزان بن حميدان ، واستولوا الجبور على عنيزة كلها بأقسامها ، وتوحدت إمارتها فهدموا قصر آل معمر ، وهو المسمى قصر الكعيد وهو القسم الشمالي الشرقي من القصر الذي ملاصق لمسجد الجامع من الشرق المعروف بقصر سعود[٣] ذلك لأن سعوداً وسعه حينما احتل عنيزة .

١١١٦هـ .

قال الذكير :

وقد اطلعت على بعض ترسيات لأهل القصيم أردت وضع العبارة للتذكرة وان لم أفهم معناها قال : وفي صفر من هذه السنة نزل (جبدار) (عنيزة) برجوعه من الحج ونثر فيها من الدرهم (شيء عظيم) .

ولم يتضح لنا هذا الاسم هل اسم شخص أو أمير وانما الذي الفت نظرنا قوله : وملأها من الفلوس مما يدل على الفائدة التي حصلت من مروره وأثرها في البلاد مما جعل هذا المؤرخ يرسمها مع الحوادث التاريخية انتهى كلام الذكير .

سنة ١١١٦هـ

فيها هُدِم قصر عنيزة هدمه أهل الجناح

هكذا في بعض الأوراق التاريخية .

وقال ابن بسام :

وفيها — أي ١١١٦ هـ — في ذي القعدة غرقت بلد عنيزة وتسمى غرقة السلّيمي وهو رجل أعمى دخل السيل في بيته وأغرقه فمات .

وقد رأيت بعض المؤرخين ذكرها ١٠٨٠ وأرخها بقوله (طغى الماء) ولعلها غرقة ثانية .

أقول : لقد صدق ظن ابن بسام رحمه الله فقد رأيت في بعض الأوراق التاريخية

---

(١) هدم هذا القصر في عام ١٣٩٣هـ لتوسعة المسجد الجامع والشارع .

تسجيلاً لغرقتين — كما قالوا — في عنيزة ونص ذلك : تاريخ غرقة عنيزة الأولى (طغى الماء) سنة ١٠٨٠ ، وغرقة عنيزة الثانية لفظة : (سيل غاصب) سنة ١١٩٢ .

وبعد عبارة ابن بسام والتعليق عليها نورد عبارة ابن عيسى ومنها يظهر أنهما قد اطلعا على المصدر نفسه . لأن كل واحد منهما يقول : وقد رأيت ، إلا أن عبارة ابن عيسى أدق : اذ ذكر ان الذي رأى فيه تاريخ الوقعة هو ورقات في التاريخ لعلها مشابهة لما وصل اليَّ من أوراق من مدينة عنيزة .

أما ابن بسام فإنه يقول : انه رأى بعض المؤرخين ولعله يقصد بعض الذين لهم تقييدات في التاريخ وليس ما يستفاد من ظاهر بأنه قد اطلع على كتاب في التاريخ ذكر هذا الموضوع .

قال ابن عيسى : في سنة ١١١٦ في ذي القعدة غرقت بلد عنيزة من السيل ، وتسمى غرقة السليمي ، وهو رجل أعمى ، دخل السيل في بيته ، وأغرقه فمات ، وقد رأيت في ورقات في التاريخ ان غرقة السليمي سنة ١٠٨٠ وأرخها بعضهم بقوله (طغى الما) والله أعلم[1] .

سنة ١١١٨ هـ

قال مقبل الذكير رحمه الله :

في هذه السنة قام دويس من آل بكر أهل عنيزة ، وهدم (المليحة) المحلة المعروفة في (عنيزة) وهي محلة آل فضل الجرَّاح .

سنة ١١٢٨ هـ

قال ابن عيسى :

فيها سطا ادريس بن شابع بن صعب شيخ آل جناح من بني خالد في المليحة المحلة المعروفة في (عنيزة) وملكها .

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ٨٥ .

وفي رمضان من السنة المذكورة ، سطوا آل فضل من آل جرَّاح من سبيع على ادريس المذكور في المليحة ، وأخرجوه منها واستولوا عليها[1] .

أقول : الصحيح : دويس بدال بعدها واو مفتوحة فسين ، وليس (إدريس) على اسم النبي إدريس كما هو مكتوب فيه .

وهذا أمر سمعته من أفواه عدد من المعنيين بالتاريخ من مشايخ (عنيزة) وورد تأييده في تاريخ الذكير.

سنة ١١٣٧ هـ .

قال ابن عيسى :

وفي هذه السنة أكل السِّعْر[1] في عنيزة اثنين واربعين نفسا بين ذكر وأنثى[2] .

وعبارة ابن بسام : فيها أكل السِّعر في بلد (عنيزة) اثنين واربعين نفساً من بين ذكر وأنثى وكبير وصغير.



سنة ١١٥٥ :

قال ابن بسام :

في هذه السنة قتل حسن بن مِشْعاب أمير بلد عنيزة قتلوه آل جناح من بني خالد أهل بلد الجناح هم والشختة من المشاعيب من آل جرَّاح من سبيع وجلوا آل جرَّاح من (عنيزة) واستولوا آل جناح من بني خالد والشختة من المشاعيب من آل جرَّاح على عنيزة كلها والشختة منزلتهم الجادَّة المعروفة في (عنيزة) وفيها : غُرِس نخل الجادة في (عنيزة) .

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ٩٢ .

(٢) السِّعْر : هو الذئب الذي يتعود اختطاف الناس وأكلهم وبعضهم يقول : ان الكلب ربما استسعر أي : فعل مثل ذلك .

(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ٩٧ — ٩٨ .

أقول : ذكر ابن عيسى هذه الواقعة بما لا يكاد يخرج عن ذلك[٣] .

١١٦٠هـ

وفيها سكنت الفتن في بلد (عنيزة) وغرس فيها أملاك (الخننة)[٢] والزامل وآل أبا الخيل والهيفا والطعيمي والمسهرية وذلك في مدة عشر سنين . وفيها توفي الشيخ عبدالله بن احمد بن عضيب الناصري التميمي ودفن في الضبط في بلد (عنيزة) رحمه الله وقيل : إن وفاته سنة ١١٦١ ومات الشيخ على بن زامل بعده بشهرين في بلد (عنيزة) رحمه الله تعالى .

أقول : هذه السنة وما بعدها تسمى في التاريخ المتعلق بالقصيم «ركدة عنيزة» رأيت في أوراق في مدينة عنيزة ما يلي : سنة ١١٦٠هـ ركدة عنيزة : غرس فيها أملاك الخننة ، وأملاك آل زامل وآل أبا الخيل والطعيمي في المسهرية والهيفا وذلك في مدة عشر سنين .

والركدة في العامية هي السكون المستمر بعد الاضطراب .

وعبارة ابن عيسى : وفي سنة ١١٦٠ ركدة (عنيزة) وغرس فيها أملاك الخننة والزامل وآل أبا الخيل والطعيمي في المسهرية والهيفا[٣] .

١١٧٤هـ .

قال ابن بسام :

فيها قتل رشيد أمير بلد (عنيزة) من سبيع هو وفراج أمير بلد الجناح من آل جناح من بني خالد قتلوهما عيال الأعرج من آل أبو غنام هم وآل زامل من سبيع ومعهم غيرهم قتلوهما في مجلس[١] (عنيزة) وذلك أن أهل عنيزة وأهل الجناح كانت بينهم حروب وفتن يطول ذكرها فلما استولى رشيد على (عنيزة) واستولى فراج على بلد الجناح ،

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ٦ .

(٢) الخننة جمع الخنيني وهم أسرة ذكرتها في «معجم أسر أهل القصيم» .

(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ١٠٨ .

اصطلحوا على وضع الحرب بينهم ، وأقاموا على ذلك نحو ثلاثين سنة حتى امتد[1] كل منهم في الفلاحة واكثروا من غرس النخيل ، وكثرت اموالهم .

ثم ان الوشاة حرّشوا بين أهل عنيزة وأهل الجناح فاتفق رجال من عشيرة رشيد ورجال من عشيرة فرّاج على قتلها فقتلوهما . فثارت الفتن بعد قتلها بين الفريقين .

أقول : قد أورد الشيخ مقبل الذكير في تاريخه (مطالع السعود) هذه الحادثة مربوطة بما قبلها وما بعدها وفصلها تفصيلاً جديراً بالايراد قال في حوادث سنة ١١٤٣هـ ومن خطه نقلته فيا ظهر لي :

قام حسن بن مشعاب أمير عنيزة على بني عمه الشختة ، وهدم منزلتهم الجادة ، وأجلاهم إلى العوشزية ، وأقاموا فيها مدة ينتظرون الفرصة لاسترجاع محلتهم ، ولهم في ذلك قصيدة مشهورة يتناخون فيها منها قولهم :

مِشَاعيب سَمُّوا واجعلوا الشَّوْرَ واحد
مشاعيب راس الشيخ تهني مقامه[2]

وأخذ ينحي فيها على هذا المنحى ، ثم انهم كاتبوا بني خالد أهل الجناح ، وطلبوا مساعدتهم فأجابوهم وواعدوهم (يوم معلوم) فجاؤا فيه ، وسطوا على حسن بن مشعاب وقتلوه ، واستولوا على (عنيزة) جميعها سنة ١١٥٥ ، وأجلوا الجرَّاح عنها . وغرسوا الجادة نخلا ، ولكن رشيد بن محمد بن حسن بن معمر الجرَّاح لم يمهلهم ، وسطا عليهم سنة ١١٥٦ هـ واسترجع محلتهم — أي محلة المليحة — وملكها وتولى الإمارة

---

(١) هذا البيت من قصيدة أشار الذكير إلى أنها لنبهان مولى للمشاعيب وقدمنا نقل كلامه في رسم الجادة. والقصيدة طويلة وهي لنبهان السنيدي أولها :

يقول نبهان السنيدي بدا لنا   من القيل عدلات القوافي يجيبه

وهي لديَّ في ٣٤ بيتاً وقد نشرت محرفة في «التحفة الرشيدية» ج١ ص ٧٥ وسمي الناظم السندي بدون ياء بعد النون . والبيت الذي أورده الذكير ملفق وصحة الشطر الثاني :

مشاعيب سَمُّوا وادعوا الشور واحد   تهب ريح العون وْيذرا عَسيبَهْ

في (عنيزة) ، وعقد صلحاً مع بني خالد أهل الجناح وهدأت الأمور وسكنت الأحوال الى أن قال :

ولكن خصوم الأمير أثاروا عليه العامة ، فاتفق رجال من بني خالد من جماعة فراج ورجال من آل أبو غنام وآل زامل على قتل الأميرين فقبضوا عليهما ، وقتلوهما في السوق في مجلس (عنيزة) كما يقتل (المجرمين) فثارت الفتنة بين الفريقين ، ورجعوا إلى ما كانوا عليه في سابق عهدهم وكان قتلها سنة ١١٧٤ هـ .

سنة ١١٨٢ هـ .

قال ابن بسام :

في هذه السنة غزا سعود بن عبد العزيز بن محمد ومعه راشد الدريبي أمير بلد بريدة . ومع سعود جنود كثيرة من البادية والحاضرة وتوجهوا الى القصيم ونزلوا بالقرب من باب شارخ المعروف في عنيزة وحصل بينهم وبينه قتال شديد قُتِل فيه من أهل عنيزة ثمانية رجال منهم عبدالله بن حمد بن زامل .

وعبارة ابن عيسى :

فيها غزا سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، ومعه راشد الدريبي رئيس بلدة بريدة ، وقصدوا بلد (عنيزة) ونزلوا بالقرب من باب شارخ ، وحصل بينهم وبين أهل (عنيزة) قتال ، قتل فيه من أهل (عنيزة) ثمانية رجال منهم عبدالله بن حمد بن زامل[1] .

١١٨٨ هـ .

وجدت في بعض الأوراق التاريخية التي حصلت عليها من مدينة عُنَيْزة ما يلي : في سنة ١١٨٨ حزب عريعر على القصيم ، وأخذ بريدة فضاها واطلع آل زامل من عنيزة وشيَّخ فيها ولد رشيد ، ومات عريعر في صفر على الخابية .

١١٩٢ هـ

قال ابن عيسى في ثاني وعشرين من شهر ذي القعدة منها : حصل في بلد عنيزة

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١١٣ .

سيل عظيم أغرق البلد ومحا بعض منازلها ، فخرج أهل البلد الى الصحراء وسكنوا الخيام ، وبيوت الشَّعَر حتى عمروا منازلهم[1] .

ونص كلام الذكير في حوادث سنة ١١٩٢ كما يلي :

في هذه السنة أنزل الله على عنيزة سيلا عظيماً طغى الماء من مجاريه ، فدخل البلد متدفقاً بشدة عظيمة كأعظم ما يكون من الوديان وأغرق البلد ، وهدم كثيراً من بيوتها فخرج أهلها منها ، وابتنوا لهم بيوتاً من الشعر خارج البلد وسكنوها ، حتى عمروا منازلهم : وقد كانت الخسائر كبيرة إلا أن الأنفس سالمة لم يصب أحد منهم بسوء .

سنة ١١٩٤هـ :

قال ابن بشر :

وفيها أصاب بلد (عنيزة) سيل عظيم غرق البلد ومحا منزلتهم ، وأذهب فيها أموالاً وأزواداً وأمتعة[2] .

سنة ١١٩٥هـ

سطوا آل أبو غنام وآل جناح في العقيلية المعروفة في عنيزة واستولوا عليها[3] .

وقد وجدته في ابن عيسى باللفظ التالي :

وفي سنة ١١٩٥ فجر يوم الخميس خامس وعشرين من شوال سطوا آل أبو غنام ، وآل جناح في العقيلية المعروفة في بلد عنيزة واستولوا عليها[4] .

سنة ١١٩٦هـ .

قال ابن عيسى : فيها أجمع أهل القصيم على نقض البيعة والحرب ، سوى أهل بريدة والرّسّ والتنومة ، وأجمعوا على قتل مَنْ كان عندهم من المعلمين ، وأرسلوا الى

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١٧ .

(٢) عنوان المجد ج١ ص ٨٨ (طبعة وزارة المعارف) .

(٣) هذا الخبر من أوراق تاريخية في مكتبي حصلت عليها من عنيزة .

(٤) تاريخ بعض الحوادث ص ١١٨ .

سعدون بن غرير آل حميد الخالدي رئيس الحسا والقطيف يستحثونه بالقدوم اليهم ، فأقبل اليهم بجنوده ، فلما قرب من القصيم قام أهل كل بلد ، وقتلوا من عندهم من المعلمين فقتل أهل الخبراء إمامهم منصور أبا الخيل ، وثنيان أبا الخيل ، وقتل أهل الجناح رجلا عندهم يقال له البكري ، وعلقوه بعصبة رجله في خشبة وقتل أهل الشماس أميرهم على بن حوشان ونزل سعدون بلد بريدة ، فلما نزلها أرسل اليه أهل (عنيزة) عبدالله آل قاضي ، وناصر الشبيلي فقتلها سعدون صبرا[١] .

سنة ١٢٠١هـ

فيها هدم الجناح المعروف في عنيزة هدمه عبدالله بن رشيد أمير بلد (عنيزة) تجملاً مع ابن سعود بسبب مكاتبة أهل الجناح لثُوَيْني[٢] .

١١٩٦هـ

وقال ابن بشر : في حوادث سنة ١١٩٦ :

فيها أجمع أهل القصيم على نقض البيعة والحرب سوى أهل بريدة والرَّسِّ والتنومة وقتلوا كل من ينتسب الى الدين عندهم خصوصاً المعلمين الذين يعلمونهم أحكام الشريعة ، فحضر كافة رؤساء القصيم يوم الجمعة وأبرموا أمرهم وتعاهدوا ، وان كل أهل بلد يقتلون من عندهم في يوم معروف ، فلما مضوا إلى بلدانهم أرسلوا الى سعدون بن عريعر يخبرونه بذلك واستحثوه بالقدوم عليهم ، فبادر في الحال وأمر بالرحيل . واستنفر العربان فأقبل بجنوده ، فحين قرب من القصيم قام أهل كل بلد ، وقتلوا من عندهم من العلماء المعلمة ، فقتل أهل بلد الخبراء إمامهم في الصلاة منصوراً أبا الخيل يوم الجمعة وهو قاصد المسجد ، وقتل ثنيان أبا الخيل . وقتل آل جناح رجلا عندهم من أهل الدين والصلاح ضرير البصر ، وصلبوه بعصبة رجله ، وفيه رمق حياة وقتل آل شماس[٣] اميرهم علي بن حوشان ، الى ان قال :

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١١٩ .

(٢) تاريخ بعض الحوادث ص ١٢٣ .

(٣) في طبعة وزارة المعارف آل شمس تحريف .

وحين نزل بريدة أرسل إليه أهل (عنيزة) على سبيل الإكرام والامتثال مَنْ كان عندهم من معلمة أهل الدين . وهما عبدالله القاضي ، وناصر الشبيلي ، وقالوا : هذان كرامة لك ، وهدية منا اليك فقتلهم سعدون صبرا ، ونالوا[1] شهادة وأجراً ، وحمل من ذلك وزرا[2] .

قال ابن غنام

سنة ١١٩٨ هـ فيها غزا سعود حرسه الله بالمسلمين وقصد (عنيزة) من بلدان القصيم . فلما صلى الصبح اغارت على طارقة البلد فرسانه ، وطافت بفنائها شجعانه ، فخرج إليها من أهلها كل ذي بأس شديد ، واستمروا مع المسلمين في تصدير وتوريد ، وبذلوا من الشجاعة ما ليس فوقه مزيد ، وقتل بينهم في ذلك المجال ، بعض من الرجال منهم من المسلمين ثنيان بن زويد وغيره ، وجرى بينهم مع سعود كلام في الصلح ، فلم يتم المقصود ثم بعد ذلك انصرف عنهم ، وارتحل منهم[3] .

سنة ١٢٠١ هـ :

فيها هدم (الجناح) المعروف في (عنيزة) هدمه عبدالله بن رشيد أمير بلد عنيزة ، تحملا مع ابن سعود بسبب مكاتبة أهل الجناح لثويني[3] .

وقال ابن بسام : فيها غزا سعود بن عبد العزيز وتوجه إلى القصيم فأغار على أهل (عنيزة) وحصل بينه وبينهم قتال شديد قتل فيه عدة رجال من الفريقين من مشاهير اتباع سعود ثنيان بن زيد الشجاع المشهور ثم رجع سعود إلى وطنه .

ورواية ابن بشر مختصرة قال :

فيها — أي سنة ١١٩٨ هـ سار سعود بالجنود المنصورة ، وقصد بلدة (عنيزة) في ناحية القصيم ، فحصل بينهم وبين المسلمين قتال قتل منهم عدة رجال . وقتل من المسلمين ثنيان بن زويد الشجاع المشهور[4] .

---

(١) الوجه : نالا .

(٢) عنوان المجد ج ١ ص ٩٢ (طبعة وزارة المعارف) .

(٣) تاريخ ابن غنام ج ٢ ص ١٣٥ .

(٤) عنوان المجد ج ١ ص ٩٦ . (طبعة وزارة المعارف) .

سنة ١٢٠٢ هـ .

قال ابن بسَّام :

فيها غزا سعود بن عبد العزيز، وقصد بلد عنيزة .

ورواية ابن بشر :

فيها — أي ١٢٠٢ هـ سار سعود بالعساكر المنصورة ، وقصد ناحية القصيم ، ونزل بلد (عنيزة) لأنه ذكر له (أن) اناسا من أهلها يريدون نقض العهد من آل رشيد[١] واتباعهم ، فأمر عليهم يخرجون من البلد ، وأجلاهم عنها ، واستعمل فيها أميراً عبدالله بن يحيي[٢] .

هكذا في النسخة التي طبعتها وزارة المعارف وفي النسخة التي نشرتها المكتبة الأهلية بالرياض وَرَد الخبر بصيغة تختلف عن ذلك قليلاً ونصها :

وفيها سار سعود بالجيوش المنصورة ، وقصد ناحية القصيم ، ونزل على بلد عنيزة وأجلى منها رؤساءها آل رشيد واستعمل فيها أميراً عبدالله بن يحيي[٣] .

وقال ابن غنام :

وفيها غزا سعود بالمسلمين ، أدام الله تعالى له النصر والتمكين ، فحث سيره ومسراه وكان وصوله (عنيزة) هو الذي اقتضاه ورآه وذلك أنه نمي إليه صحيح الخبر أن بعضا من أهل (عنيزة) بحث عن أسباب الارتداد وحفر ، وتحقق ذلك عنده واشتهر فعند ذلك أجمع على المسير اليهم ، وظهر فنزل عليهم ، بعد أيام وليال ، ومكث عندهم يستبريء الحال ، ويتحقق ذلك على يقين ، لئلا يقدم على ما يريده بتخمين ، فيخالف قول رب العالمين (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيَّنوا انْ تصيبوا قوما بجهالة

---

(١) آل رشيد ، هؤلاء هم امراء عنيزة في ذلك الزمن من قبيلة سبيع وليس لهم علاقة نسب بآل رشيد أمراء حائل .

(٢) عنوان المجد ج١ ص ١٠٠ (طبعة وزارة المعارف) .

(٣) ج١ ص ٩٣ .

فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) فلما لاحت له شمس اليقين والإيقان من عدول أهل الإسلام والإيمان من سكان ذلك المكان ، وتحقق ذلك الأمر واستبان ، وكان آل رشيد من ذلك الأمر والملا ، أمر عليهم بالجلاء وكل مَنْ لهم تابع وفي أسباب الشر طامع ، وأزال منها كل من يحذره ويخشاه ، وأمر عليهم على بن يحيي لاختياره ورضاه . ثم انصرف راجعاً[1] .

وهذه الوقعة وما تلاها مما اتصل بها من أحداث هي التي يقول فيه العرف أبياته المشهورة وهو مولى لآل رشيد امراء عنيزة فيما ذكروا :

يا ديرتي خَذْها خْجَيلان وسعود ... بالبوق والاَّ بالنِّقا ماقواها[2]

جَوْنا هجاد ، وجملة الناس بِرْقُود ... وأهل القهاوي مشعْلين ضْوَاها[3]

لا ثار بَهْ رَميه ولا زِجّ بَهْ عُوْدْ ... ولا ثار مَثْلُوثَ الدَّخَنْ مِنْ وراها[4]

مِزنهْ تِصيح وْمِقْدَمَ الراس مَشْدُود ... يا لَيْتْهُمْ ما بَرّقوا في صْباهَا[5]

يا ليت أَبو رِدِنْ حَضَرْ يا فتى الْجُودْ ... ما كانْ صَرَّتْ بالمحامِل نْسَاها[6]

وفي آخرها يقول :

القول قول (الْعِرْفْ) ما هوب مَجْحُودْ ... والنَّارْ تاكلْ والسد اللي كِمَاها[7]

وهي قصيدة مؤثرة قليلة النظير في الشعر العامي في بكاء أهل الدار التي أخذت منهم ولكن تأثيرها لا ينبغي أن ينسي سامعها أن قائلها أحد أهل البيت المهزوم فهو يعبر عن وجهة نظرهم ، ولا يعتبر شهادة ضد خصومهم من الطرف الآخر يقول العرف : إن

(١) تاريخ ابن غنام ج٢ ص ١٥٢ — ١٥٣ .
(٢) خذها : أخذها وقواها : قدر عليها .
(٣) جونا : جاؤنا . هجاد : فجرا ، وضواها : نيرانها .
(٤) به : بها ، وزج : دفع ، والعود : الرمح . والدُّخن : الدخان .
(٥) برّقوا في صباها : أمعنوا النظر في جمالها الغض .
(٦) أبو ردن كنية عبدالله بن رشيد أمير عنيزة ومولى الشاعر — والمحامل : جمع محمل وهو من مركب النساء على الإبل . ونساها : نساءها .
(٧) اللي : الذي . كماها . جحدها وأخفاها .

بلدته التي ذهب بها حجيلان بن حمد وسعود ابن عبد العزيز قد فعلا بها ذلك بدون حرب معلنة قد تركت فيها فرصة لاصحابها كي يقاتلوا .

وهذا معنى قوله (بالبوق) التي تعني الخديعة في الحرب و(الحرب خدعة) كما في القول المشهور ، وهي كلمة فصيحة باقية في العامية وتعني الإغارة على قوم دون معرفتهم[1] وهذا يفسره قوله : والا بالنَّقا ، أي : بإعلان الحرب ما قواها ، ويشير بذلك إلى الوقائع السابقة .

وقد أوضح معنى ما في البيت الأول بالبيت الثاني :

جونا هجاد وجملة الناس برقود الخ

أي : إنهم جاؤا هجاداً وهو الإغارة في أول الفجر وكل الناس رقود ، لم ينهضوا من نومهم بعد ، ما عدا أهل القهاوي (أي المقاهي في البيوت) وهم قلة من الناس في ذلك الوقت فإنهم كانوا قد اشعلوا أضواء مقاهيهم بالنيران ، ولم يفرغوا من صنع قهوتهم وشربها . أو أنهم قد اشعلوا الأنوار في مقاهيهم لأن الوقت لا يزال ظلاماً .

وقد فَسَّر ما قلناه في البيت الثالث وهو :

ما ثار بَهْ رمية ولا زجّ بَهْ عُود الخ

أي : لم تطلق رمية في هذه الوقعة ولا دُفع فيها رُمْحٌ موجه إلى صدور المهاجمين . ولم يُحرَق دخان مثلوث وهو البارود الذي يتألف في أصله من ثلاثة عناصر هي الملح الأبيض ، والكبريت الأصفر . والفحم ، فلم يَثُرْ من ذلك البارود دخانٌ من وراء البندق أي : لم تطلق فيها طلقة من بندقية .

ثم وصف حالة (مُزْنة) وهي ابنة الأمير عبدالله بن رشيد وهي فتاة حديثة السِّن كانت تلبس حلية من الذهب على رأسها تُسَمَّى « الهامة » في لغتهم لأنها توضع على أعلى

---

(١) نقل صاحب اللسان عن ابن الأعرابي قوله : باق : إذا هجم على قوم بغير إذنهم : اللسان (بوق) ج١٠ ص ٣٠ . ومعنى بغير إذنهم ، أي : بغير علمهم .

رأس المرأة ، وكان رأسها قد شُدَّ لِتَوِّه بجدائل محكمة الشَّدِّ وتنبت فيه الحلية الذهبية شأْنَ مَنْ لم يكونوا يشغلهم عن تزين البنت الشابَّة شاغل ، وقال الاخباريون : إنَّ أحد الذين هاجموا القصر من الجنود أمسك بتلك الحلية الذهبية المثبتة في جدائلها المشدودة فجعلت تصيح وهو حاسرة الرأس وآخر ينازعه على ذلك ولم يبالوا بصياحها واستغاثتها وكان من نتيجة ذلك أن رأى هؤلاء القوم وجهها سافراً فرأوا من صِبَاها وشبابها ما كان ينبغي الا يروه ولذلك قال :

يا ليتهم ما بَرَّقوا في صبَاها .

والتبريق بالشيء في لغتهم العامية هو النظر اليه بحدّة وتَمَعُّن . ثم انتقل إلى بيت آخر مُؤثر وهو قوله :

يـا لَيْتُ أبو رِدِنْ حَضَرْ الخ

وأبو رِدْن : كنية الأمير عبدالله بن رشيد وكان غائباً لم يحضر الوقعة يقول الشاعر (العرف) : إنه لوكان حاضراً لما كان لأصوات نساء القصر صَرَّةٌ أي : صِيَاحٌ في المحامل التي حُمِلْنَ عليها وأُخرِجْنَ من القصر : وربما من البلد .

وآخرها بيت يُعْلن فيه إعلاناً بأنه هو قائل الشعر ، وأنه لا يتستر بذلك بل إنه يُحَرِّج من تستر عليه ويدعو عليه بأن تأكل النار والده . وذلك من شدة تأثر الشاعر وإخلاصه فيما يقول .

والظاهر أنَّ تأثير هذه القصيدة كان قوياً حتى بلغ الشعر الفصيح والتاريخ المكتوب ، فحمل ناظم قصيدة العنيزية الأستاذ عبد العزيز بن محمد القاضي على أن يبدي رأيا يُخالف ما سَجَّلَتْهُ كتب التاريخ المعروفة أو أكثرها ، وأن يحمل على حجيلان بن حمد حملةً من الذَّمِّ لا يستحقها ، مُنَوِّهاً بالعُرْف هذا تنويهاً يستحق أن يُذكر له منه تأثره من هذه الحادثة وتأثيره في شعره ولكنه لا يُبيحُ الوقيعة في الآخرين بسببه قال صاحب العنيزية[1] :

---

(١) العنيزية ص ١٣ .

فـآلت أخيراً للرشيد ورأسهم | هو البطل الحامي لخير خباء
يُسمَّى بعبدالله وهو وقومه | الرَّشيدُ من الجراح أهل حِياء
وفي الألف بعد المائتين وواحد | أبـى من جناح أهله ببقاء[1]
فصارت لعبدالله وهو أميرها | وصارت أخيراً تزدهي برخاء
ودعوة شيخ المسلمين محمد | قد امتدَّ منها الأمر بعد خفاء[2]
وأقبل من آل السعود إمامهم | ليجمع نجداً تحته بلواء
فسار شمالاً للقصيم فقاومت | (عنيزة) حتى أنصبت لعداء
تَولّى سعود والإمارة قبله | لعبد العزيز أعدل الأمراء
وهذا سعود ابن له وهو كفؤهُ | يطول على الأكفاء والقُرناء
تولّىٰ على أرض القصيم واقبلت | (عنيزة) تعطيه أعزَّ ولاء[3]
وكان حجيلان أمير بريدة | يكن لعبدالله شَرَّ عداء
فأضمر خبثاً واستثار ضغينة | وكاد أموراً أبرمت بدهاء

أما كون حجيلان يُكِنُّ خُبْثاً ويستثير الظَّغَائن بالنسبة إلى عبدالله بن رشيد أو غيره فذلك ما لم أر أحداً من المؤرخين الموثوق بهم ذكره . وإنما أشار الشيخ مقبل الذكير في تاريخه إلى أن بينهما خلافاً مصدره أن ابن أخ لعبدالله بن رشيد ذهب الى الشماسية لكي يتزوج هناك فقتله مجهولون وتركوا مَنْ كان معه من المرافقين ، فاتَّهم عبدالله حجيلان بذلك وشكاه إلى الإمام عبد العزيز بن سعود فأنكره حجيلان وتبرأ منه .

وقد عَلّق صاحب العنيزية على ذلك بأنَّ مصدر عداء حجيلان لعبدالله بن رشيد هو طمعه في الاستيلاء على إمارة عنيزة وتمنع أهلها[4] .

---

(١) بشير إلى الجناح ، في شمال عنيزة وتقدم ذكره في حرف الجيم .
(٢) هو الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .
(٣) يمكن النظر في العلاقات التي سادت هذه الفترة من الامحات التاريخية التي سقناها فيا سبق .
(٤) العنيزية ص ١٤ .

ولكن إذا كان ذلك فلماذا لم يَسْتَوْل عليها عندما تَمَّ له ما أراد من إبعاد عبدالله بن رشيد كما ذكر الناظم .

وحجيلان في ذلك الوقت هو أمير القصيم تُجْبَى إليه زكاة أكثر بلدانه وقراه . ويغزو بهم وحدهم إلى نقرة الشام ومشارف المدينة كما سبق لنا إيضاح ذلك في مقدمة المعجم عند الكلام على (غزو القصيم) .

وفي عهده ازدهر القصيم ازدهاراً عظيماً وكان حليماً عكس ما ذكره عنه الأستاذ عبد العزيز القاضي في العنيزية ، وصفه بذلك مؤرخون منهم مَنْ كان مقيماً في (عنيزة) وهو الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى رحمه الله فلم يَفُتْكْ بأهل القصيم الذين ناصبوه العداء وساعدوا خَصْمَهُ الذي جاء مُحارباً له وهو سعدون بن عريعر في عام ١١٩٦ هـ ولم يُغْرِبهم الإمام عبد العزيز وابنه سعوداً كما قال ابن عيسى رحمه الله : ثم ان أهل القصيم طلبوا من حجيلان بن حمد الأمان على دمائهم وأولادهم وأموالهم ، فأعطاهم الأمان . ووفدوا عليه ، وكان حجيلان من أشد الناس حَمِيَّةً لأهل القصيم[1] .

هذا هو نص كلام ابن عيسى وهو يريد بأهل القصيم أولئك الذين سبق ان ذكر هو ومَنْ قبله من المؤرخين مثل ابن غنام وابن بشر أنهم شايعوا سعدون بن عريعر وقتلوا مَنْ كان عندهم من معلمي الدِّين ومنهم بطبيعة الحال عبدالله بن رشيد الذي كان هو أمير عنيزة في ذلك الوقت وقد ذكر المؤرخين أنهم أرسلوا مِمَّنْ كان عندهم من معلمي الدين ناصر الشبيلي ورجلاً من أسرة الناظم وهو (عبدالله آل قاضي) الى سعدون بن عريعر وهو محاصر بريدة فقتلهما صبراً .

وليس ذلك فحسب ، وإنما سَجَّل التاريخ أنَّ عبدالله بن رشيد كان قد شايع سعدون الى درجة أنه قد اتخذ اداة للحرب في مكان يقع إلى الجنوب من بريدة هو النهير[2] قال ابن غنام في حوادث عام ١١٩٦ هـ :

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١٢٠ .
(٢) سيأتي ذكر النهير في حرف النون .

وفي أثنائها أيضاً عدا أهل بريدة على بيت من الشَّعر جعله عبدالله بن رشيد للحرب من التيه والبطر ، وكان فوق (النهير) مشهوراً وفيه آلات للحرب وزهبة فأضحى لديهم مجروراً ، وقتلوا فيه أربعة رجال ، ورجعوا في ضحوتهم في أحسن حال[1] .

ومن هذا يتبين أنَّ ما كان بين حجيلان بن حمد وعبدالله سببه واضح أو هذا سبب له واضح وهو ثبات حجيلان بن حمد ومعه أهل الرس والتنومة فقط من أهل القصيم على ما كانوا عليه من مبايعة آل سعود والتعاقد معهم على تحكيم الشرع وقيام عبدالله بن رشيد مع سعدون بن عريعر حسبما يحدثنا به التاريخ ، وليس السبب الرئيسي هو ما جزم به الأستاذ عبد العزيز القاضي من أن حجيلان قد قَتَلَ حفيد رشيد الذي هو ابن أخ عبدالله بن رشيد وهو أمر لا يجوز الجزم به إلاَّ استناداً إلى نص ٍّ مكتوب مع بيان قائل ذلك النَّص ِّ لا سيما وأن (حجيلان) نفاه بشدة عندما سأله الإمام سعود حتى اقتنع بذلك وذلك في قوله في حجيلان :

فآل به الكيد الدفين لقتله حفيد رشيد قتْلَةَ الجُبَناء
فأقبل عبدالله نحو إمامهم (سعود) وأبدى ما جرى بجلاء
فأغضبه حتى تهدد قائلاً حجيلان هذا أخبث الخبثاء
ولكن أعوانا له بلغوا به اليه رضيا بعد طول جفاء

فهل من المعقول أن يقول الإمام سعود في حجيلان : إنه أخبثُ الخبثاء مع أنه صاحب الإمارة على ناحية القصيم لآل سعود سنوات كثيرة امتدت بعد هذه الحادثة إلى أكثر من ثلاثين سنة ؟ واذا كان أخْبَث الخبثاء حقيقةً فهل يجوز السكوت عليه لإمام المسلمين الذين عرف بورعه ونصحه لعامة المسلمين ؟

لا شك في أن الجواب من العارف بمجريات الأحداث في تلك الحقبة سيكون بالنفي .

---

(١) تاريخ ابن هشام ج٢ ص ١٢٩ (المطبعة الهندية) .

واذا تركنا الدليل العقليّ جانباً فمن الذي نَقَل لنا أنَّ الإمام سعود بن عبد العزيز قال تلك الكلمة في حجيلان ؟

إنَّ المسئلة مسئلة تاريخ يُسَجِّلُ والجزم بشيء ليس عليه نصٌّ لا يُقْدم عليه مَنْ يَتَحرَّى الدِّقَّة في البحث فأين النَّصُّ المكتوب في هذا الأمر؟

ولو نسب الناظم هذا القول للإخباريين أو قال : زعموا لكان ذلك أخَفَّ .

ولكن القضية في ظني كان للتأثر بقصيدة (العُرْف) نصيب فيها كبير ، والتأثر أحياناً يقُود إلى الحكم بأشياء لم يثبتها التاريخ المعروف للناس مثل قول الأستاذ القاضي بعد ذلك :

وأقبل جيش ابن السُّعُود يقوده حـجيلان يَحكي مشية الخيلاء

والذي ذكره المؤرخون في حوادث سنة ١٢٠٢ هـ أنَّ الذي غزا عنيزة وأبعد عنها آل رشيد هو الإمام سعود بن عبد العزيز وليس حجيلان بن حمد وقد نقلنا كلام المؤرخين في ذلك وهم ابن غنام وابن بشر وابن عيسى وكذلك الشيخ عبدالله بن محمد بن بسّام من مؤرخي عنيزة .

ويدل على تأثر صاحب العنيزية بشعر العرف الذي بكى مواليه قوله بعد ذلك[1] .

أيا (عُرْفُ) جاد الغيث قبرك إنما رأيت عظيماً نكبة العظماء
وفيت وهاجتك الشجون فأذرفت جفونك دَمْعاً فيه بعض عزاء
وناديت لو أن القروم شواهد ولو أنَّ ليث الغاب ليس بنائي
لما انتُهِكَتْ يوماً لبنتك حرمة ولا أهرقت فيه أعز دماء
ثوى (العُرْف) والمعروف ليس بذاهب ولا الثأر مدفون لطول ثواء

وللأستاذ الناظم الحق في أن يعجب بشعر العرف ووفائه لذويه أو مواليه كما يُعبِّر

---

(١) العنيزية ص ١٥ — ١٦ .

بعضهم فالعرف يستحق ذلك ولكن لا ينبغي أنْ يحملنا ذلك على أن نُسجِّل شيئاً لم نتحقق من وقوعه ويوقعنا في استعمال أفعل التفضيل في حكاية هذه الحوادث مثل كون حجيلان (أخبث الخبثاء) وكون عبدالله بن رشيد هو الحامي (لخير خباء) ومثل[1] :

تَولَّتْ حماةُ السَّوْءِ أفظع مصرعٍ ... لأكرم بيتٍ شيد فوق بناء

ثم قال الناظم بعد إبعاد عبدالله بن رشيد[2] :

أما (عنيزة) فالإمارة أُسْنِدَتْ ... فيها لإبراهيم بعد عناء

والذي ذكره المؤرخون أن الإمارة أسندت الى عبدالله بن يحيى كما سبق نقل كلامهم في حوادث سنة ١٢٠٢ هـ .

وسبق أن نقلنا ذلك في أول الرسم عن الشيخ محمد بن مانع رحمه الله والذي ذكر أنه تولى بعد عبدالله بن يحيى الذي هو من بني ثور من سبيع ثم هو محمد بن عفيصان .

وبعد ، فهذا حديث عن هذه الواقعة التي حدثت عام ١٢٠٢ هـ وما اتصل بها من وقائع قريبة لم تنفصل حوادثها عنها ، وقد حملنا على السياحة في هذه القصيدة الفريدة (العنيزية) كونها قد طبعت وأصبحت في أيدي الناس فخرجت بذلك الآراء التي تضمنتها عن كونها خاصة بالناظم إلى كونها تاريخية والتاريخ ملك للناس جميعاً فرأيت أن أُنَبِّهَ على ما ظننته من ذلك يحتاج إلى تنبيه . والله من وراء القصد .

سنة ١٢٣٠ هـ

قال ابن عيسى :

فيها قدم أحمد طوسون بن محمد على بالعساكر العظيمة ونزل الرس والخبرا ، وكان

---

(١) العنيزية ص ١٦ .

(٢) المصدر نفسه .

عبدالله بن سعود اذْ ذاك في المذنب ، فلما علم بذلك رحل من المذنب ونزل بلد عنيزة ، وأميرها اذْ ذاك من جهة عبدالله بن سعود[1] .

أقول : نص عبارة ابن بشر التي هي أصل ابن عيسى : ثم رجع عبدالله من البعجاء ونزل المذنب ، وكان طوسون قد استوطن الخبراء وأرسل عسكراً ونزل الشُّبيبيَّة المعروفة بين (عنيزة) والخبراء .. وقد أراد طوسون أن يرحل بعدهم من الرس وينزل (عنيزة) فلما بلغ ذلك عبدالله رحل من المذنب ونزل (عنيزة) وأميرها يومئذ من جهة عبدالله عبدالله حسن بن مشاري بن سعود فأقام عبدالله على (عنيزة) أياماً[2] .

سنة ١٢٣٣ هـ .

تردد اسم (عنيزة) في الحروب التي سبقت حرب الدرعية ولحقتها مثل غيرها من بلاد القصيم ، وذلك لوقوعها بين الدرعية وبين الموانيء التي كان ينزل منها جنود المصريين على البحر الأحمر من ذلك قول ابن عيسى الذي اخترنا إيراد عبارته لأنها أخصر من غيرها : بعد كلامه على وقعة ماوية وهزيمة اهل نجد فيها : وصارت الهزيمة على عبدالله بن سعود ، ومن معه ، وقُتِلَ من أصحابه نحو مائتي رجل ، وذلك يوم الجمعة منتصف جمادي الآخرة وقصد عبدالله (عنيزة) ونزلها . ثم ان ابراهيم باشا سار بعساكره ، ونزل الرسَّ لخمس مقين من شعبان من السنة المذكورة ، وحاصر أهل الرس الى ثاني عشر من ذي الحجة ، ثم انه وقع الصلح بينه وبينهم فرحل عنهم .

فلما كان بعد عيد النحر من السنة المذكورة ارتحل عبدالله بن سعود من (عنيزة) إلى بريدة ، وجعل في قصر الصفا المعروف في (عنيزة) عدة رجال مرابطة واستعمل عليهم أميراً محمد بن مشاري بن سعود[3] .

سنة ١٢٣٤ هـ :

فيها قتل ابراهيم باشا بعد احتلال الدرعية عدة رجال من أعيان أهل نجد منهم

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١٤١ .

(٢) عنوان المجد ج١ ص ٢٤٩ (طبعة وزارة المعارف) .

(٢) تاريخ بعض الحوادث ص ١٤٣ — ١٤٤ .

عبدالله بن رشيد أمير بلدة (عنيزة)[1] .

سنة ١٢٣٥ :

قال ابن بشر بعد كلام طويل سابق : ثم ان الترك والدويش ساروا من سدوس وقصدوا الرياض وثبت لهم تركي بن عبدالله آل سعود وحاربهم فرجعوا وأقاموا في بلد ثادق نحو نصف شهر ، ثم رحلوا إلى بلد ثرمدا ، ونازلها الترك واقاموا فيها ، وكان (أبوش) ومعه عسكر من الترك في (عنيزة) وأرسلوا مشارى بن سعود الى (عنيزة) وحبسه الترك عندهم فيها ومات رحمه الله[2] .

سنة ١٢٣٦هـ .

فيها ظهر حسين بيك أبو ظاهر الى نجد ، ونزل (عنيزة) وفي هذه السنة استولى تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود على بلد الرياض فلما علم بذلك حسين بيك سار من (عنيزة) بعساكر وقصد الدرعية ، وأمر على أهلها الذين نزلوها بعد ارتحال ابراهيم باشا عنها أن يرتحلوا عنها ويسيروا إلى خليل أغا في ثرمدا ، فساروا إلى ثرمدا بنسائهم وأولادهم . الى ان قال :

ولما كان في رجب من هذه السنة قدم عبدالله بن صالح الجمعي من مصر على حسين وهو في الرياض . وكان الجمعي هذا قد جعله ابراهيم باشا أميراً في (عنيزة) فلما رحل الباشا من نجد أخرجه أهل (عنيزة) منها وتأمر فيها محمد بن حسن بن محمد الجمل .

ثم ان حسين ارتحل من الرياض ، وقصد ثرمدا ، فلما قرب منها وكان معه محمد بن حسن الجمل أمير (عنيزة) أمر بقتله فقتل .. وجعل في (عنيزة) أميراً عبدالله بن حمد الجمعي ، ومعه عدة من العسكر[1] .

وقال ابن بشر فيما يتعلق بالجمعي ، فلما كان في آخر رجب .. قدم عبدالله الجمعي

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١٤٨ .

(٢) عنوان المجد ج١ ص ٢٩٨ (طبعة وزارة المعارف) .

(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ١٤٩ — ١٥٠ .

أمير (عنيزة) من جهة الترك أتى من مصر وقدم على حسين وهو من الرياض ، وكان الجمعي هذا من أهل (عنيزة) وصار من دعاة الترك . وجعلوه أميراً عليها ، فلما رحل الترك من نجد أخرجوه أهل البلد منها ، وتأمر فيها محمد بن حسن بن حمد المعروف بالجمل[1] .

سنة ١٢٣٧ هـ .

قال ابن عيسى : فيها قدم حسن بيك أبو ظاهر من المدينة ، ومعه نحو ثمانمائة فارس من الترك . فنزل بلد (عنيزة) ورئيسها يومئذ عبدالله بن حمد الجمعي ، فقام معه ، وقدم عليه أكثر رؤساء بلدان نجد في (عنيزة) وبعث من يقبض الزكاة من بلدان نجد ، وبعث سرية مع ابراهيم بن كاشف للرياض ، وسرية مع موسى كاشف ومعهم عبدالله بن حمد الجمعي أمير (عنيزة) الى المجمعة فنزلوا قصر المجمعة ، وكثرت منهم المظالم .

الى ان قال :

ثم خرجوا من المجمعة واغاروا على فريق من السهول في مجزَّل ، فصارت الهزيمة على العسكر ، وقتل موسى كاشف وعدة رجال غيره . ولم ينج منهم إلا القليل ، وقصد شريدتهم[2] بلد المجمعة ومعهم الجمعي ، ثم ساروا منها إلى عنيزة[3] .

١٢٣٨ هـ .

قال ابن بشر :

وفي هذه السنة لما رجع حسين بيك أبو ظاهر من الجبل -- اي ناحية حائل -- .. نزل بلد (عنيزة) وأنزل عساكره في بيوت في البلد ، فلما استقر فيها طلب عدداً من الأموال وحبس أمير البلد عبدالله الجمعي ورجاله من أكابرها ، فسلموا له بعض المطلوب ، ثم ان أهل (عنيزة) لما عرفوا غدره وان ظلمه في زيادة عزموا على حربه

---

(١) عنوان المجد ج٢ ص ٣٠١ (طبعة وزارة المعارف) .

(٢) شريدتهم : من سلم منهم .

(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ١٥١ — ١٥٢ .

وإخراجه وعساكره من بلدهم . وأجمعوا على ذلك ، وثاروا عليه بعزيمة قوية ، وحملوا عليه في البيوت ، وطلب الأمان فأعطوهم ، وأخرجوهم منها صاغرين . ونزل هو وعسكره خارج البلد وأقبل العسكر الذي في بلد ثرمدا فنزلوا عليهم في (عنيزة) ورحلوا منها إلى المدينة وأبقى أبو ظاهر محمد أغا ، ومعه نحو ستمائة من الترك في قصر الصفا في (عنيزة) وبعدما رحل أبو ظاهر وعساكره من القصيم بمدة أيام قام أهل (عنيزة) على العسكر الذين في قصر الصفا(١) وحاولوهم على الخروج منه بلا حرب ، وانهم يلحقون بأصحابهم فأبوا الا الحرب ، فثار عليهم أهل البلد وحربوهم ووقع بينهم قتال ومطالعات ، ورموا أهل البلد بالتبس والطوب ، وقتل من الترك نحو من سبعين رجلاً ، ثم وقع الصلح ، وأخرجوهم من القصر بالأمان ، وتركوا لهم ما بأيديهم من سلاح ومتاع ، ثم ان أهل (عنيزة) هدموا قصر الصفا »(٢) .

سنة ١٢٣٨ هـ .

قال ابن عيسى : فيها حبس حسين بيك أبو ظاهر عبدالله الجمعي أمير (عنيزة) وعدة رجال من رؤسائها ، وطلب عليهم أموالاً . فقام عليه أهل (عنيزة) وأخرجوه هو ومن معه من البلد ، فارتحل الى المدينة ، وترك في قصر الصفا المعروف في (عنيزة) نحو خمسمائة من العسكر . رئيسهم محمد أغا ، فقام عليهم أهل (عنيزة) وأخرجوهم منه ، وهدموا قصر الصفا ، فلحقوا بأصحابهم الى ان قال :

وفي شعبان من هذه السنة قُتِل عبدالله بن حمد الجمعي أمير (عنيزة) قتله يحيى السليم في مجلس (عنيزة) وشاخ يحيى المذكور في بلدة (عنيزة)(٣) .

وقد نظم صاحب العنيزية الأستاذ عبد العزيز بن محمد القاضي أحداث هذه الفترة فقال(٤) :

---

(١) كتبت فيه الصفاء : بالمد والمعروف أنه الصفا بالقصر أي : الحجارة الصلدة .

(٢) عنوان المجد ج٢ ص ١٧ (طبعة وزارة المعارف) .

(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ١٥٣ .

(٤) العنيزية ص ١٨ .

قد ثار يحيى فاسمعوا تاريخه (يختار يحيى) خطة الرؤساء[1]
قتل الجميعي[2] البغيض لقومه لمكائد منه على القرناء
قد كان يحيى أول الأمراء من أبناء زامل صفوة الأبناء
ولي الإمارة في (عنيزة) حقبة وثوى ببقعا مصرع الشهداء

سنة ١٢٤٠ هـ .

قال ابن عيسى :

في هذه السنة حصل منافسة بين يحيي السليم ، واتباعه ، وبين أهل الخريزه والعقيلية في (عنيزة) وحصل بينهم قتال قتل فيه أربعة رجال من الفريقين وجرح عشرة رجال . فركبوا أهل الرس وأهل بريدة ، وقدموا بلد (عنيزة) وأصلحوا بينهم[3] .

وفي هذه السنة قدم يحيي بن سليمان بن زامل ، رئيس (عنيزة) على الإمام تركي وبايعه على السمع والطاعة[4] .

١٢٥٠ هـ .

وجدت في بعض الاوراق التاريخية :

في سنة ١٢٥٠ شاخ يحيي السليم الثانية في عنيزة .

أقول : ذلك بعد أن كان الإمام تركي بن عبدالله عزله وأمر مكانه محمد بن ناهض من أهل السر وقد أشار الى ذلك ابن بشر عندما ذكر وفاة الإمام تركي في عام ١٢٤٩ فعدد أمراءه على البلدان فقال :

وكان أميره على بلد (عنيزة) يحيي بن سليمان بن زامل ، ثم عزله ، وجعل مكانه

(١) علق الناظم على هذا البيت بقوله : في سنة ١٢٣٩ هـ وتاريخها بالأبجد (يختار يحي) ثار به سليمان بن زامل السليم وقتل عبدالله الجمعي الأمير في عنيزة الذي نصبه الترك .

(٢) الجميعي : هو الجمعي صغره من أجل استقامة الوزن ولصغر مكانته في النفوس .

(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ١٥٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٥٥ .

محمد بن ناهض رئيس قصر بسام[1] .

سنة ١٢٥١هـ

قال ابن بشر :

وفيها طلب رؤساء القصيم من الإمام فيصل ان يبعث اليهم الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبابطن قاضياً في بلدانهم كمدرس[2] لطلبة العلم في أوطانهم ، فأمر عليه الامام وهو في بلد شقراء قاضياً لأهل الوشم ، فقدم (عنيزة) وأقام فيها ثم طلبوا نزوله عندهم. وانتقاله اليهم بأهله ، فانتقل بعياله عندهم ، واستوطن (عنيزة) فأكرموه غاية الإكرام ، وعظموه بما يستحقه من الإعظام . فاجتمع عنده طلبة علم كثير[3] .

سنة ١٢٥٢ :

قال ابن بشر بعد ان ذكر أن عسكراً من المصريين ظهر مع اسماعيل آغا أمير لوى[4] وخالد بن سعود[5] وان الامام فيصل سار إلى القصيم ليقيم فيه قبل أن يصل اليه عسكر الترك :

وركب ـــ الإمام فيصل ـــ من الرياض في آخر شوال ، ونزل الخفيسة الماء المعروف عند الدهناء ، وأقام فيها أياماً واجتمع باقي غزوانه ، ثم رحل منها ونزل الصريف الماء المعروف قرب بلد التنومة من أرض القصيم ، فأقام عليه أكثر من شهر حتى بلغه أن

---

(١) نسبه لبسَّام جدّ سكانه وهو قصر البرود المعروف في السّر ، ويسمى أيضاً قصر الشبلي ، إذ سكانه من الشبول .

(٢) هكذا ، في طبعة وزارة المعارف وفي طبعة أبا بطين : ومدرساً وهو المألوف في عبارات المتقدمين .

(٣) عنوان المجد ج٢ ص ٨٧ (طبعة وزارة المعارف) ٢٣١ .

(٤) كذا فيه إذا كان المراد لواء الجيش فهو بالمد .

(٥) من الطريف أن الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف الشيخ الذي علق على هذه الطبعة من ابن بشر ذكر بأن خالداً هو خالد بن سعود بن عبد العزيز وقال : مما يؤسف له أن الأستاذ الكبير خير الدين الزركلي ترجم له ونسبه سهواً بأنه خالد بن سعود ابن عبدالله . وفي الصفحة التي بعدها وقع الشيخ عبد الرحمن في سهو مماثل إذ ذكر في تعليقه على الصُّريف أنه حصلت فيه وقعة عام ١٣١٨ بين الإمام عبد الرحمن بن فيصل وبين محمد بن عبدالله الرشيد مع أن محمد بن عبدالله الرشيد كان قد مات عام ١٣١٥هـ وإنما ابن رشيد ذاك هو عبد العزيز بن متعب ، والسهو والخطأ من طبيعة البشر .

خالداً واسماعيل وعساكر الترك نزلوا بلد الرس ، فرحل فيصل بجنوده ، وقصد بلد (عنيزة) ونزلها واستنفر أهلها . فركب معه أميرها يحيي بن سليمان ، ثم رحل الإمام من (عنيزة) واستنفر رئيس بريدة فركب معه عبد العزيز[1] بغزوه وسار بتلك الجنود ، ونزل في رياض بلد الخبرا المعروفة بين الرس والخبرا ، وذلك في أيام التشريق ، فأقام في مكانه ذلك أكثر من عشرين يوماً ، وهو ملازم عساكر الترك في الرس ، ومحارب لهم ، ولكن لم يحصل بينه وبينهم قتال ، ولا طلع عليه أحد منهم ، وكان فيصل كاتب أهل بلد الشنانة المعروفة عند الرس ، فطلبوا منه يرسل إليهم سرية تكون عندهم ، فأرسل اليهم مائة مطية مع زويد العبد خادم الإمام فرحلوا اليها بعد صلاة العشاء ، فلما وصلوها وجدوا أميرهم في الرس ، وقال لهم أهلها : لا نقدر ندخلكم إلاَّ بحضور الأمير ، فوقع فشل في تلك السرية ، وانصرفوا الى فيصل فلما قدموا إليه استلحق رؤساء قومه واستشارهم في الرحيل أو المقام ، فأشاروا عليه أن يأمر على حلته[2] وزهابه[3] وعليق خيله ، وجميع ثقله يرحلون ويقصدون بلد (عنيزة) ثم يشن الغارة بمن معه من جنود المسلمين على بعض فرقان البدوان الذين تابعوا العسكر ، ثم رجع قافلاً إلى (عنيزة) أو بريدة ، فأمر الإمام على أهل الراحلة بالرحيل ، فلما شُدَّتْ رحايلهم ، وشيل عليها ظن أناس من أطراف الغزو أن القوم راحلون . ومنهزمون فشالوا على رواحلهم ، ووقع في المسلمين فشل ، فأمر فيصل رجاله وخدامه بتسكينهم ، وضَرْب مَن رحل وانهزم منهم . فقام الرجال عليهم وأدبوا فيهم ، فسكنوا عند ذلك ، وباتوا مكانهم ، فلما كان بعد صلاة الصبح وطلعت الشمس ركب فيصل بجنوده من ذلك الموضع ، ووقع بالمسلمين فشل وخفة ، فثقل فيصل وفرسان قومه في ساقة جنودهم وقصد (عنيزة) ونزلها وذلك يوم الجمعة لخمس بقين من شهر ذي الحجة فلما نزل (عنيزة) شاور رؤساء قومه[4] في المقام فيها أو الرحيل ، فاقتضى رأيه ان يرحل بعزيزته[5] ويقصد بلده ، ويقضي الله

---

(١) أي عبد العزيز بن محمد آل (أبو عليان) أمير بريدة وما يتبعها في القصيم .

(٢) الرحلة : هي التي تحمل أمتعة الفرسان من سلاح وخيام ونحوها .

(٣) الزهاب : هي الميرة أي : المؤن اللازمة للغزاة والمسافرين .

(٤) المراد بقومه هنا : رؤساء الغزو الذين معه ، وليس ذوي قرباه .

(٥) عزيزته : يعني وهو عزيز لم تلحقه هزيمة .

بتقديره ما أراد من تدبيره ، فرحل الإمام من بلد (عنيزة) وأذن لأهل النواحي يقصدون بلدانهم[١] .

سنة ١٢٥٣ هـ .

قال ابن بشر :

دخلت — السنة المذكورة — وخالد وعساكر الترك في بلد (عنيزة) فأمر اسماعيل وخالد على يحيي بن سليمان ورجال معه يركبون إلى بلد جبل شمر مع عيسى بن علي رئيس الجبل القديم ، وركب معه من الترك ابراهيم المعاون بأربعمائة فارس والغزوان الذين مع يحيي مائة مطية ، يريدون أن يبغتوا عبدالله بن رشيد في بلده و(يمسكونه) فسبقهم النذير اليه ، وهرب من بلد حايل قبل قدومهم ، فدخل ابن علي الجبل ، ونزل قصر أهله ومعه الغزو والعسكر ، وهرب أناس من أهل الجبل ، واخذ منهم المعاون دراهم .

ولما استقر عيسى بن علي في الجبل أقبل المعاون ويحيي بن سليمان ومَنْ كان معهم ، وأبقوا عند عيسى مائة رجل من عسكر الترك ، ثمَ قدم على اسماعيل وخالد رؤساء أهل الرياض في (عنيزة) وأطاعت لهم نجد كلها سوى أهل الخرج والفرع وما والاهم من أهل الجنوب[٢] .

سنة ١٢٥٤ هـ

قال ابن بشر :

في آخر صفر أقبل خرشد باشا من الحناكيه بعساكره ومعه جلوي بن تركي[٣] ونزل بلد (عنيزة) فتابعوه ، وفد عليه أمراء بلدان القصيم ، وكثير من رؤساء العربان ، فلما

---

(١) عنوان المجد ج٢ ص ٨٩ — ٩٠ طبعة وزارة المعارف .

(٢) عنوان المجد ج ٢ ص ٩١ — ٩٢ (طبعة وزارة المعارف) .

(٣) ذكر ابن بشر قبل ذلك أنه في أول ذي الحجة أن الإمام فيصلاً أرسل أخاه جلوي إلى خرشد باشا وهو في المدينة ومعه هدية فوفد عليه في المدينة وأقبل معه إلى القصيم .

كان في أول ربيع الأول ثار الحرب بين أهل (عنيزة) وعسكر خورشيد ، وسبب ذلك أن سرق لخرشد (عمانيتين)[1] من الركايب ، فقيل له : إن أناسا من الحرامية عند العسكر في النهار يسألون وفي الليل يسرقون .

ثم ذكر أن قوم خرشد قتلوا رجلاً وابنه من الفلاحين وقال : وظهر يحيى — أمير (عنيزة) — وقصد خرشد في خيمته ، فلما أراد الدخول عليه أخذ سيفه قواويس الباشا على العادة انه لا يدخل عليه أحد بسلاحه ، فهرب خادم يحيى الذي معه الى البلد ، وقال : أميركم قُتِلْ ، وكان جملة العسكر في وسط البلد يبيعون ويشترون ، فنهض عليهم أهل البلد ، وقتلوا كل من وجدوا منهم إلا (رجل) دخل بيتاً أو دكانا ، فأخفاه صاحبه ، فسمع الباشا الصيحة في البلد ، فقال ليحيى : ان بلدكم حصل فيها (شمطة) وغمض رجل ليحيى ، فرمى (عباته) وهرب إلى البلد ، فعارضه في طريقه رجال من العسكر هاربين منها وهو في شدة الركض فرموه بالبنادق ، فسلمه الله ، ودخل بلده فإذا قد قتل فيها تسعون رجلاً ثم نهضت العساكر على الحشاحيش والحطاطيب[2] في من كان خارج البلد فقتلوهم وحصروا أهل قصر الضبط المعروف خارج عنيزة ، وقتلوا أهله كلهم وهم نحن (خمسون) رجلا ، ونهبوا ما في قصرهم ، ثم ثار الحرب بين اهل البلد والعسكر نحو ثلاثة أيام . ثم وقع الصلح بينهم فلبث خرشد في (عنيزة) خمسة أشهر .

الى ان قال :

ثم ان خرشد سعى في بناء قصر الصفا المعروف في (عنيزة) فبناه وجعل فيه عسكراً وذخيرة . فلما كان في آخر رجب رحل من (عنيزة) بعدده وعدته ، ومعه كثير من العساكر المصرية والشامية[3] .

---

(١) العمانيات : نياق مشهورة بالقوة وجودة السير ، وهي منسوبة إلى عمان .

(٢) الحشاحيش : جمع حشاش أو هو الذي يقطع الحشيش أي : الكلأ لعلف البهائم والحطاطيب : جمع حطاب .

(٣) عنوان المجد ج٢ ص ١٠١ — ١٠٣ (طبعة وزارة المعارف) .

سنة ١٢٥٤ :

قال ابن عيسى : في سنة ١٢٥٤ خرج خرشد باشا من مصر الى نجد ، ومعه العساكر العظيمة ، ونزل بلد (عنيزة) لعشر بقين من صفر من السنة المذكورة . ثم انه لما كان بعد نزوله بأيام حصل بينه وبين أهل عنيزة قتال من غير قصد ، وقتل من العسكر نحو تسعين ومن اهل (عنيزة) عدة رجال ، ثم تصالحوا ، فلما كان في رجب من هذه السنة ارتحل بعساكره من (عنيزة) وقصد بلد الرياض[1] .

سنة ١٢٥٧ هـ

في الثاني من جمادى الأولى من هذه السنة وقعة بقعا بين أهل القصيم وبين ابن رشيد ، صارت الهزيمة فيها على أهل القصيم ، وممن قُتِل فيها يحيى السليم امير بلد (عنيزة)[2] .

سنة ١٢٥٩ هـ

قال ابن عيسى : فيها قدم فيصل بن تركي الى بلد الجبل[3] هارباً من مصر فقام معه رئيس الجبل[3] ، عبدالله بن علي بن رشيد ، وسارا الى (عنيزة) وقام معه أهل (عنيزة) ثم سار الى الرياض ، وحصر عبدالله بن ثنيان في قصر الرياض حتى ظفر به[4] .

سنة ١٢٦١ هـ

فيها أغار عبيد بن رشيد على غنم أهل عنيزة ففزعوا عليه فحصل بينه وبينهم قتال قتل فيه الأمير عبدالله بن سليمان بن زامل وأخوه عبد الرحمن ومحمد الشعيبي ومحمد الخنيني وصار بعد الأمير عبدالله المذكور في عنيزة أخاه ابراهيم بن سليمان[5]

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١٦٣ — ١٦٤ .

(٢) تقدم الكلام مفصلاً بعض التفصيل على وقعة بقعا في رسم (بريدة) .

(٣) الجبل هنا : هو حائل وما يتبعه .

(٤) تاريخ بعض الحوادث ص ١٦٧ .

(٥) أوراق تاريخية .

ووجدتها في أوراق أخرى باللفظ التالي :

في سنة ١٢٦١ أغار عبيد بن رشيد على بلد عنيزة في خامس رمضان ففزعوا عليه فقتل منهم عبدالله السليم أمير عنيزة ، وأخوه عبد الرحمن ومحمد الشعيبي ، وابراهيم بن عمر وثلاثة عشر رجلاً غيرهم ، وربط منهم عشرة رجال ثم أطلقهم بعد ذلك لما وصل الجبل .

أقول : وجدت في مكان آخر من الأوراق المذكورة تاريخ هذه الحادثة ، كما يلي :

وقعة الغريِّس[1] بين أهل (عنيزة) وبين ابن رشيد لفظة (غارس)

سنة ١٢٦١ .

أما ابن عيسى فذكر أنها كانت في عام ١٢٦٠ وذلك في قوله :

في خامس رمضان من هذه السنة أغار عبيد بن علي بن رشيد على بلد (عنيزة) وأخذ أغنامهم ، ففزعوا عليه ، وحصل بينهم وبينه وقعة في مقطاع الوادي[2] وصارت الهزيمة على أهل (عنيزة) وقتل منهم عدة رجال منهم عبدالله السليم وأخوه عبد الرحمن ومحمد الشعيبي ومحور الخنيني[3].

ولا شك في أن الذي في الأوراق أصح لأنه ضبط تاريخ الواقعة بحروف الجُمَّل .

كذلك فإن اسم محمد الخنيني فيها قد أصبح في ابن عيسى (محور) وأظن ذلك خطأ وان الصحيح هو محمد .

سنة ١٢٦١هـ

وقد فصل ابن بشر تفصيلاً أكثر فقال :

---

(١) الغريِّس : بتشديد الياء وكسرها على لفظ تصغير الغريس الذي هو النخل الصغار أي المغروس حديثاً : موضع كانت فيه هذه الوقعة .

(٢) أي : وادي الرمة .

(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ١٦٨ .

وفي هذه السنة لثلاث مضين من رمضان كانت وقعة ابن رشيد رئيس الجبل على أهل (عنيزة) وذلك أن عبدالله بن سليمان بن زامل أمير (عنيزة) أخذ إبلاً لابن رشيد فطلب منه الأداء[1] فأبى عليه وحذره وأنذره فجهز اليهم أخاه (عبيد) في مايتين وخمسين مطية وخمسين من الخيل ، فأغار على غنم (عنيزة) قريب من البلدة ، ففزع أهل (عنيزة) وكان ابن رشيد قد جعل لهم كمينا ، فلما نشب القتال خرج عليهم الكمين فولوا منهزمين ، واستولى عبيد وقومه على أكثر الفزع فقتلوا في المعركة منهم رجالاً ، فعرف عبيد عبدالله بن سليمان الأمير ، واخوانه وبني عمه ، فقتلهم صبراً ، وأمسك منهم رجالا وربطهم ، وانفذهم إلى اخيه في الجبل ، فركب اليه عبد العزيز بن الشيخ العالم عبدالله ابابطين فألفى[2] عليه في الجبل فأطلق له الرجال وكساهم[3] .

ونظمها الأستاذ عبد العزيز بن محمد القاضي في العنيزية فقال بعد ان ذكرت إمارة يحيى السليم[4]

وأخوه عبدالله أُمِّر بعده ... و«جُوَيٌّ» مصرعه مع الكرماء[5]
قد أرَّخوا يوماً طواه بكلمة ... (غَرْسُ) الغُرَيِّس حُقَّ بالأنواء



سنة ١٢٦٣ هـ :

قال ابن عيسى : في هذه السنة ظهر الشريف محمد بن عون الى نجد ، فلما وصل بلد (عنيزة) أرسل إليه الإمام فيصل هدية مع أخيه جلوي بن تركي ورجع إلى مكة المشرفة[6] .

---

(١) في الأصل : الأذى — بالذال المعجمة : تحريف .
(٢) الفى عليه بالفاء الموحدة أي : وفد عليه .
(٣) عنوان المجد ج٢ ص ١٤٦ (طبعة وزارة المعارف) .
(٤) العنيزية ص ١٨ .
(٥) الجوى : سبق الكلام عليه في حرف الجيم .
(٦) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ١٦٩ .

سنة ١٢٦٥هـ

قال ابن بشر :

فيها جرت الحادثة العظيمة من رؤساء أهل القصيم بالخروج عن طاعة الإمام ، الى أن قال : فقام رجال من رؤساء أهل القصيم يحاولون شريف مكة وهو يومئذ محمد بن عون بجمع العساكر والخروج على نجد ، واستيلائه عليها ، فتجهز الشريف بعدده وعدته ، وجميع أعوانه ، فظهر إلى نجد ، ونزل القصيم كما سبق بيانه ، فلما رأى الشريف أن نجدا لم تحصل الا بحرب شديد ، وضَرْب وقتل يبيد رحل من القصيم الى ان قال :

وذلك انه لما رحل الشريف من (عنيزة) وقع في نفس فيصل على رئيسها ابراهيم بن سليمان بن زامل ، لأن الشريف لم ينزلها إلاَّ بإذنه ، فوفد على فيصل ناصر بن عبد الرحمن السحيمي من أهل العقيلية[١] المعروفة في عنيزة فقال له : انا وعشيرتي لكم ود قديم ، وأنا على محبتكم مستقيم ، فاجعلني في (عنيزة) أميراً حتى أكون لكم عوينا وظهيراً فاستعمله الإمام فيها ، وعزل ابراهيم وكتب معه إلى أهل (عنيزة) اني استعملته عليكم أميراً فاسمعوا له واطيعوا ، الى ان قال : فقدم السحيمي (عنيزة) وأخرج آل زامل من القصر وأنزله أخاه (مطلق) الضرير ، وضبطه برجال معه ، واستقام له الأمر وبايعه أهلها ، وذلك في سنة أربع وستين ، ثم ان عبدالله وأعوانه أرادوا الفتك بالسحيمي وقتله ، فرصدوا له في طريقه الى بيته ، فرموه ثلاث رميات أخطأه اثنتان ، ووقعت الثالثة فيه . ولم تكن على مقتل ، فوصل بيته سالماً وأغلق بابه ، وانهزم ابن يحيى ومن معه يريدون القصر فوجدوهم قد انتذروا واغلقوا بابه فلم يحصلوا على طائل ، فلما عرفوا انهم (لم)[١] يدركوا القصر ضاقت بهم البلد . وهربوا الى رئيس بريدة عبد العزيز[٢] ودخلوا عليه البلد فأرسل إلى الإمام فيصل متع الله به[٣] بأن هؤلاء الأولاد

---

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) أي : عبد العزيز بن محمد آل أبو عليان .

(٣) كان ابن بشر رحمه الله يكتب هذا في حياة الامام فيصل رحمه الله .

وقع منهم ما وقع ، وانهم صاروا عندي ، وأنهم ما فعلوا ذلك إلا لأجل أشياء حدثت من السحيمي ، وأرسل السحيمي الى فيصل يخبره الخبر ، وذكر انهم اعتدوا عليه بلا سبب ولا جرم ، فأرسل فيصل خادمه فرحان ، ومعه عشرون رجلاً الى رئيس بريدة ، وأمره أن يدفع له يحيى واعوانه مع خادمه ، فقام يردد رسله الى فيصل يعتذر عنهم وخادمه وربعته[1] عندهم فالزم الإمام متع الله به باقبالهم اليه ، والجلوس بين يديه فقدموا الرياض ، ومعهم هدية له ، فأنزلهم في بيت وأكرمهم ، وعفا عنهم ، لما توجَّه عليه عبد العزيز[2] وأخبره بحقيقة عذرهم ، وأما رسول السحيمي فرجع اليه من عند الإمام بخبر جميل ، وذكر له أن ابن يحيى عندنا وأنت في بلدك لا بأس عليك ، ونحن ننظر في أمركم فيما بعد ان شاء الله . ثم ان الضرير (أخو) السحيمي أرسل الى رجل من أعوان زامل فضربه حتى مات .

ثم بعد ذلك لما برىء السحيمي من جرحه أمسك ابراهيم بن سليمان الأمير ، وقتله وجرح أخاه (علي) وهرب الى بلد المذنب . فكتب الإمام فيصل الى السحيمي يتهدده على حدثه ويتوعده إن لم يقدم عليه ويجلس مع خصمه عند حاكم الشرع في هذا القتل والجراحات . فركب السحيمي ، وقدم الرياض . فأجلسه فيصل هو وولد يحيى عند حاكم الشرع ، وحكم بديات الرجال وحكم عليه بدية جرحه .

ثم ان الإمام جهز عبدالله المداوي و(رجال) معه الى بلد (عنيزة) وأمرهم بدخول القصر والجلوس فيه ، وذلك لما رأى اختلاف رئيس (عنيزة) وأهل بريدة ، وما حدث منهم مع الشريف وغيره ، فركب المداوي وقدم (عنيزة) فامتنع الضرير من الخروج من القصر ، وساعده على ذلك رجال من أهل البلد ، فركب المداوي الى بريدة ، وأقام فيها ، ثم انهم ندموا على خروجه من عندهم ، فأرسلوا اليه وقدم اليهم ، فأنزلوه في بيت في البلد ، فكتب المداوي الى الإمام بذلك ثم انهم ظهرت منهم العداوة ، ورفعوا راية

---

(١) ربعه : رفقته والذين معه .

(٢) توجه عليه عبد العزيز أي : شفع فيهم .

الحرب ، وأغلق أهل (عنيزة) بيبانها[١] بالليل ، وأوقدوا عندها النيران ، واجتمعوا عندها بأسلحتهم حلقا على قهاويهم[٢] وانديتهم . فلما علم فيصل بذلك حاذر من تظاهر البلدان كلها ، واجتماعهم على الحرب ، فبادره السحيمي وذكر له أنه إذا أطلقه وأرسله اليهم فهو المُثَبِّطُ لهذه .. ووعده بذلك وعداً مبرما ، وعاهده عليه بالله وميثاقه عقدا (محكم) انه له باطناً وظاهر ومساعدا ومظاهراً ، ثم قال له : تجهز بالمسلمين وانزل لي أدنى بلدانك لتكون ردءاً على اصلاح شأني وشأنك ، ولا بد أن آتيك بالخيل والأموال ، وأسوق اليك رؤساءها من الرجال ، وأجهز لك غزوهم من بدوهم وحضرهم ، فصدقه الإمام ولم يدر عن ما هو مضمر من الغدر ، وعدم الوفاء بالذمام .

فركب من عند فيصل في شهر جمادى الأولى من هذه السنة بعدما تجهز فيصل بالمسلمين غازياً وخرج من الرياض فلما قدم — أي السحيمي — (عنيزة) فوجدهم (مجمعون) على الحرب و(متظاهرون) عليه فدخل فيما دخلوا فيه .. ثم تراودوا فيما بينهم أن ليس لهم في الحرب طاقة حتى ينكث عبد العزيز[٣] ميثاقه ، ويكونون كلهم في الحرب سواء .

وكان عبد العزيز[٣] قد غزا باهل القصيم ، ونزل جراب الماء المعروف فأقام عليه قريب شهر يخوِّف المسلمين بذلك ويخوِّف عربانهم ، فأرسلوا اليه فرحل من جراب الماء وقدم (عنيزة) بغزوه ، ودخل عليهم البلد فتلهم ففتلوه[٤] واعطوه ووعدوه . وقالوا انت الأمير على الجميع ، وهذا فخر لك يشيع ، فنقض عهده ، وأخلف وعده ، وقال لهم الحرب عليَّ وعندي ، والصلح اليَّ ومني ، الى ان قال :

---

(١) بيبانها : جمع باب .

(٢) قهاويهم : جمع قهوة . والمراد : مقهاة أي : مكان شراب القهوة من البيت وهي بمثابة غرفة استقبال الضيوف من الرجال أيضاً .

(٣) يريد عبد العزيز بن محمد (آل أبو عليان) أمير بريدة .

(٤) فتلوه . بالفاء — أي اتفقوا معه . وأحكموا الاتفاق .

نساء في القمة

— ١ —

[عرف قراء «العرب» قبل سنوات بين من عرفوا من كتابها الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي العبد ، كما عرفه قراء «اليمامة» قبل ذلك في سنواتها الأولى ، فعرفوا فيا قرأوه مما كتب صدق اللهجة ووضوح الأسلوب ، ونُبْل الغاية ، وها هو يُمِدُّ «العرب» بما يتسنّى له أن يُمِدَّها به].

أرأيت كيف اختارت العنايةُ الربانية للرسول الكريم محمد بن عبدالله عليه السلام

وخرج الإمام فيصل من الرياض غازياً يوم الخميس لثلاث بقين من ربيع الثاني الى ان قال :

ونزل في ساجر(١) الماء المعروف قرب بلد المذنب ، وأقام عليها أياماً ، وأمر على أولاد يحيى بن سليمان يرحلون برجال معهم وينزلون العوشزيات(٢) عند أرحام لهم فيها لعل أن يحصل لهم فرصة في البلد ، ثم رحل ونزل المذنب . الى ان قال : ثم ان الإمام أعزه الله تعالى أرسل الى رؤساء أهل القصيم يدعوهم وذكر لهم انه لا يستقيم دين إلا بجماعة ، ولا يكون الا بالسمع والطاعة الى ان قال الإمام فيصل : فلا تكونوا سببا في إهراق دمائكم ، وادخلوا فيما دخلتم فيه أنتم وآباؤكم ، فأرسلوا اليه رجلاً من رؤساء أهل بريدة يقال له مهنا بن صالح(٣) فلما جاء الى فيصل ذكر له إنما جاء لطلب الصلح ، فلم يزل يتودد اليه ، ويذكر الأمر الذي عَمَّدُوهُ عليه فكتب لهم انهم يدفعون الزكاة ويركبون معه غزاة ، ويدخلون في الجماعة والسمع والطاعة(٤) .

(للبحث صلة) **محمد العبودي**

---

(١) ساجر : في السر راجع عنه معجم العالية للشيخ سعد بن جندل .

(٢) ستأتي العوشزية قريباً .

(٣) مهنا بن صالح أبا الخيل أمير بريدة تقدم ذكر إمارته في رسم بريدة وقد ذكرت أخباراً له في معجم أسر أهل القصيم .

(٤) عنوان المجد ج ٢ ص ١٥٧ — ١٦٢ (طبعة وزارة المعارف)

نساء في القمة

— ١ —

[عرف قراء «العرب» قبل سنوات بين من عرفوا من كتابها الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي العبد، كما عرفه قراء «اليمامة» قبل ذلك في سنواتها الأولى، فعرفوا فيما قرأوه مما كتب صدق اللهجة ووضوح الأسلوب، ونُبْل الغاية، وها هو يُمِدُّ «العرب» بما يتسنّى له أن يُمِدَّها به].

أرأيت كيف اختارت العنايةُ الربانية للرسول الكريم محمد بن عبدالله عليه السلام

وخرج الإمام فيصل من الرياض غازياً يوم الخميس لثلاث بقين من ربيع الثاني الى ان قال :

ونزل في ساجر[1] الماء المعروف قرب بلد المذنب، وأقام عليها أياماً، وأمر على أولاد يحيي بن سليمان يرحلون برجال معهم وينزلون العوشزيات[2] عند أرحام لهم فيها لعل أن يحصل لهم فرصة في البلد، ثم رحل ونزل المذنب. الى ان قال : ثم ان الإمام أعزه الله تعالى أرسل الى رؤساء أهل القصيم يدعوهم وذكر لهم انه لا يستقيم دين إلا بجماعة، ولا يكون الا بالسمع والطاعة الى ان قال الإمام فيصل : فلا تكونوا سببا في إهراق دمائكم، وادخلوا فيما دخلتم فيه أنتم وآباؤكم، فأرسلوا اليه رجلاً من رؤساء أهل بريدة يقال له مهنا بن صالح[3] فلما جاء الى فيصل ذكر له إنما جاء لطلب الصلح، فلم يزل يتودد اليه، ويذكر الأمر الذي عَمَّدُوهُ عليه فكتب لهم انهم يدفعون الزكاة ويركبون معه غزاة، ويدخلون في الجماعة والسمع والطاعة[4].

(للبحث صلة) محمد العبودي

---

(١) ساجر : في السر راجع عنه معجم العالية للشيخ سعد بن جندل.

(٢) ستأتي العوشزية قريباً.

(٣) مهنا بن صالح أبا الخيل أمير بريدة تقدم ذكر إمارته في رسم بريدة وقد ذكرت أخباراً له في معجم أسر أهل القصيم.

(٤) عنوان المجد ج ٢ ص ١٥٧ — ١٦٢ (طبعة وزارة المعارف)

خديجة بنت خُوَيْلِد رضي الله عنها ، لتكون زَوْجاً له ، تحيي في نفسه الأمل ، وتُقوّي في صدره العزيمة ، فتصغر العظائم في عينيه ، وتهون الشدائد بين يديه ، فيصمد صمود القلاع أمام الأعداء . ويثبت ثبات الجبال ضد المشركين .

وما خديجة في حدة ذكائها وشدة إخلاصها ، وعظيم حنانها وقوة جلدها إلا صورة صادقة للمرأة العربية ، التي جعلت الرمال الجدباء بساتين خضراء ، تصدح الشعراء في أنحائها . ويتبارى الفرسان في الذود عن أبوابها ، فظلت الجزيرة العربية بعيدة عن أيدي الفاتحين ، وبقيت الفتاة العربية في طهارة عرضها ونقاء عنصرها وسمو خلقها واخلاصها لزوجها كما صورها الشاعر الجاهليُّ بقوله :

أميمة لا يُخزِي نَثاها حَليْلَها   إذا ذكِرَ النسوانُ عَفَّتْ وجَلَّت
تحلُّ بمَنجاةٍ من اللوم بيتَها   إذا ما بيوت بالمذمّة حُلَّت
كأنَّ لها في الأرض نسيا تَقُصه   على أمها وإن تكلّمْكَ تَبْلَت

وما الخنساء التي نَبذت لذات الحياة ، ووقفت عمرها على مدح البطولة في أخيها صخر بقصائدها التي قلدتها جيد الزمان ، لتتغنى بها الأجيالُ بعد الأجيال إلا واحدة من أولئك اللواتي درجْنَ فوق تلك الصحراء التي لم تَرْضَ بالعيش فوقها للساقط الضعيف ، ولم تُعط حق الحياة إلا لكل جلد أنوف .

وقبل العرب بأجْيال وأجْيال ، ومن مغارة الزمن السحيقة التي لم يستطع التاريخ أن يدخل في زواياها ، ولا أن يثبت شيئا من أخبارها ، خرجت قصيدتا ذلك الشاعر اليوناني (هومرُس) اللتان ظل كثير من البشر ينقلها زمانا بعد زمان . لما فيهما من الخيال الجامح العجيب الذي عز عن النظير والشبيه في شعر الانسانية جمعاء حتى يومنا هذا ، وهما قصيدتان موضوع أولاهما المرأة الفاسدة التي هجرت بيتها ، وفرت مع عشيقها ، فاضطربت لذلك بلاد اليونان ، فعبأت الجيوش ، وحشدت الأساطيلَ التي سارت إلى مدينة (طروادة) بلد الفتى (باريس) الذي صحب (هيلانة) اليها ، فقامت حول أسوارها حرب استمرت سنين طويلة ، هلك فيها كثير من أبطال الطرفين ، وظلت

(طروادة) منيعة بأسوارها حتى اهتدى (أوليس) اليوناني الى حيلة عجيبة ، اذ صنع حصانا خشبياً ضخماً اختبأ فيه عدد من شجعان اليونان الذين ركبوا سفنهم ، وأقلعوا بها عن الساحل ، فخرج الطرواديون من مدينتهم ليشاهدوا هذا الحصان الخشبي الذي أعجبهم منظره ، فقرروا إدخاله في مدينتهم التي ضاق بابها عنه ، فهدموا الباب ، وأدخلوا الحصان مدينتهم لسوء حظهم ، وعندئذ عادت سفن اليونان بالجيش الذي أصبح الباب مفتوحاً أمامه ، وخرج أبطال اليونان من حصانهم العجيب ، وبذلك تمت الغلبة لليونان ودُمِّرت (طروادة) .

وقد سميت القصيدة التي روت هذه الأحداث العجيبة في آلاف الأبيات الشعرية بـ(الألياذة) .

أما موضوع القصيدة الثانية فهو المرأة الصالحة (نيلوب) التي خرج زوجها (أوليس) مع الخارجين الى تلك الحرب الضروس ، ولم ينفعه ادعاؤه الجنون ، فقد اكتشف اليونان حيلته ، وحملوه على أن يصحبهم تاركا زوجته وطفله وراءه ، وكان صاحب الحيلة التي أنهت تلك الحرب الطاحنة ، وعاد من بقي حيا من أمراء اليونان إلى بلادهم ما عداه ، فقد أغرقت الأمواجُ العالية رجاله ، وبقي هو في اليمِّ المتلاطم الأمواج ، متنقلاً بين جزر البحر وشطآنه . حتى يئس أهل جزيرته من عودته ، فالتف حول قصره عشاق زوجته يطالبونها أن تختار واحداً منهم ليكون زوجاً لها . ويمنعها وفاؤها وطهارتها من ذلك ، مدعية أنها تنسج ثوباً لوالدها على عادة اليونان ، ولن تتزوج قبل أن تتم الثوب ، ولكنها تنقض في الليل ما تعمل في النهار ، ويخرج ولدها يبحث عن أبيه في البحار المضطربة والجزر النائية ، ويرسل عشاقها خلفه من يحاول اغتياله ، فتشتد لوعتُها ويزداد حُزْنها . وفجأة يصل زوجها ويعود ولدها فينتقمان من أولئك الأشرار ، ويبقى لبيتها طهارتُهُ ولولدها شرفه ولزوجها عِزَّهُ وفخاره ، وقد سميت هذه القصيدة الطويلة بـ(الأوديسة) .

ولما كتب المعلم الأول (أرسطو) كتاب «السياسة» لم ينس دور المرأة في حياة الأمم والشعوب ، فقرر بحقٍ أن المرأة الفاسدة أشد على بلدها من الغزاة وأعظم ضرراً ، وضرب لذلك أمثلة كثيرة .

معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية

(٤٨)

المطابع والصحافة والمكتبات في معجم المطبوعات العربية السعودية

في معجم المطبوعات لسركيس .

١ ـــ ص ٥٠٥ «محمد سعيد بن الشيخ محمد بابصيل مفتي الشافعية بمكة المحمية» . رسالة في اذكار الحج المأثور وآداب السفر والزيارة ، طبع حجر مكة ١٣١٠ و١٣٢٣؛ ص ٦٢» .

٢ ـــ ص ٩٩٠-٢ «زيني دحلان ١٢٣٢ ـــ ١٣٠٤ مفتي السادة الشافعية بمكة المشرفة .. **خلاصة الكلام** في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام

وفي تاريخنا نساء كثيرات أتين من الأعمال الجليلة ما دل على شجاعتهن ، وذكائهن ، واخلاصهن لدينهن وبلادهن ، وحفاظهن على شرفهن ، وسأقص عليك في الحلقات القادمة قصة المرأة التركية التي أنقذت زوجها بذكائها ، والفلاحة الحلبية التي فرحت بمقتل ولدها الفاسق ، وجزت شعرها وسوّدت شعرها لما درت بنجاته ، والمرأة التي قتلت زوجها لِتَعَاوُنه مع الصليبيين أعداء قومها .

وذلك لترى أنَّ مجدنا الباذخ وتاريخنا المشرق ودولتنا التي قامت زمنا طويلاً تحكم الدنيا كانت للمرأة فيها أدوار مهمة بجانب الرجل في تحقيق ذلك .

الكويت **محمد علي العبد**

(٤٨)

المطابع والصحافة والمكتبات
في معجم المطبوعات العربية السعودية

في معجم المطبوعات لسركيس .

١ — ص ٥٠٥ «محمد سعيد بن الشيخ محمد بابصيل مفتي الشافعية بمكة المحمية» . رسالة في اذكار الحج المأثور وآداب السفر والزيارة ، طبع حجر مكة ١٣١٠ و١٣٢٣؛ ص ٦٢» .

٢ — ص ٩٩٠-٢ «زيني دحلان ١٢٣٢ — ١٣٠٤ مفتي السادة الشافعية بمكة المشرفة .. **خلاصة الكلام** في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام

وفي تاريخنا نساء كثيرات أتين من الأعمال الجليلة ما دل على شجاعتهن ، وذكائهن ، واخلاصهن لدينهن وبلادهن ، وحفاظهن على شرفهن ، وسأقص عليك في الحلقات القادمة قصة المرأة التركية التي أنقذت زوجها بذكائها ، والفلاحة الحلبية التي فرحت بمقتل ولدها الفاسق ، وجزت شعرها وسوّدت شعرها لما درت بنجاته ، والمرأة التي قتلت زوجها لِتَعَاوُنه مع الصليبيين أعداء قومها .

وذلك لترى أنَّ مجدنا الباذخ وتاريخنا المشرق ودولتنا التي قامت زمنا طويلاً تحكم الدنيا كانت للمرأة فيها أدوار مهمة بجانب الرجل في تحقيق ذلك .

الكويت　　　　　**محمد علي العبد**

فإلى وقتنا بالتمام. بهامشه الإعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين النهروالي ــ الميرية ١٣٠٥ ص ٣٣٢ ، مكة ١٣١١» .

شرح الآجرومية ... مكة ١٣١٤ .

الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ــ بهامشها خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام جزء ٢ مكة ١٣١١ .

رسالة.. في الرد على الشيخ سليمان أفندي (فقه شافعي) ــ مط الأميرية مكة المكرمة ١٣٠١ ص ١٣ .

٣ ــ ص ١٠٣٢ «السقّاف ــ السيد علوي بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف (من علماء القرن الثالث عشر) .. **علاج الأمراض** الردية بشرح الوصية الحدادية (مواعظ) ــ شرح به المنظومة التائية للشيخ عبدالله بن علوي الحداد ــ فرغ من هذا الشرح سنة ١٣٠٢ .. مكة ١٣١٧ .

٤ ـ ص ١٠٥٢ «أبو الحسن علي بن عبدالله بن أحمد. . السمهودي الشافعي نزيل طيبة (٨٠٤ ــ ٩١١) .. **خلاصة الوفا** في أخبار المصطفى (وهو مختصر كتابه وفاء الوفا) .. فرغ من تأليفه سنة ٨٩٣ .. وبهامشه **حسن التوسل** في آداب زيارة أفضل الرسل للفاكهي ــ المط الميرية بمكة ١٣١٦ ص ٢٨٦ ..

٥ ــ الشيخ عبد الحميد قدس ١٣٣٥ .. كان مدرساً بالمسجد المكي .. **دفع الشدة** في تشطير البردة ، مكة ١٣١٣ ص ٣١ .

ملاحظة ص ٨١ «أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد.. الهيثمي :. الشافعي ص ٨٤ **مناسك الحج**.. بلغني أنه طبع بمكة» .

ص ١٦٨٢ «الشيخ محمد علي المالكي بن حسين مفتي المالكية ومدرس بالحرم المكي ــ **أنوار الشروق** في أحكام الصندوق ــ أي الحاكي بالأصوات (الصندوق الفونوغراف) فقد مالك جدة ١٣٢٩ .

٢ ــ **المطبعة الماجدية** : ويقول الضبيب في مقالته المذكورة ... في سنة ١٣٢٧ هـ أنشأ محمد ماجد الكردي مطبعة الترقي الماجدية . وقد أسهمت هذه المطبعة في تغذية

الحاجة الأهلية لطباعة الكتب وكانت معظم كتبها رسائل صغيرة وفتاوي خاصة لعلماء الحرمين وبعض الأجوبة والردود. وفي سنة ١٣٣٢ هـ أصدرت الماجدية بياناً بأسماء «بعض الكتب العربية المطبوعة بالأحرف بمطبعة الترقي الماجدية العثمانية بمكة المحمية والموجودة بها ومن أراد شيئاً منها فليخابر صاحبها محمد ماجد الكردي المكي». اشتمل هذا البيان على أكثر من تسعين مؤلفاً لعله يشكل معظم ما طبعته هذه المطبعة خلال الخمس سنوات الأولى من عمرها. وعندما نفتشّ بين هذا العدد من الكتب عن نصيب كتب التراث نجد عدداً قليلاً منها إذ أن معظم ما نشرته هو فتاوي تختص ببعض الأمور الفقهية وعلى رأسها مسائل الحج والعمرة ومعظم هذه المؤلفات كتبها علماء معاصرون أو بعض المفتين السابقين لبلاد الحرمين الشريفين. ولعل من أهم ما نشرته هذه المطبعة من كتب التراث ما يأتي:

ــ متن التهذيب في المنطق للسعد التفتازاني.

ــ الأشباه والنظائر في أصول الفقه لجلال الدين السيوطي.

ــ أخصر المختصرات على مذهب الإمام أحمد بن حنبل للبلباني.

ــ إثارة الحَجُون لزيارة الحجون للفيروز أبادي.

ــ المسك المتقسط في المنسك المتوسط. وهو شرح ملا علي القاري على لباب المناسك للشيخ رحمة الله السندي. وبهامشه كتاب أدعية الحج والعمرة وما يتعلق بهما جمع العلامة قطب الدين الحنفي».

وقد اكتفى الدكتور الضبيب من مطبوعات مطبعة الترقي الماجدية التي نيفت على التسعين بهذه الكتب الخمسة لأنه يبحث في موضوع خاص هو «كتب التراث»، ولا شك في أن «البيان» ذكر كذلك الكتب التي سبق أن ذكرناها من مطبوعات الترقي الماجدية ... ولكن يبقى ــ مع ذلك ــ عدد لا بأس به جدير بالذكر وقد يمدنا به من يملك تفصيلات البيان بالكتب التي نيفت على التسعين وقد يكون الدكتور الضبيب في مقدمة المتطوعين بالفضل. وقد يتجرد الأستاذ يحيي الساعاتي لعمل فهرس خاص بالكتب التي طبعت في الحجاز وغيره قبل دخول السلطان (الملك) عبد العزيز آل

سعود . فهناك كتب أخرى ذكرنا عدداً منها خلال المعجم لدى ورود أسماء أصحابها ، ويمكن تكوين فكرة عنها بمراجعة كتاب عمر عبد الجبار «دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام» .

ويقول الشامخ :

«أما مطبعة الإصلاح الأهلية بجدة فلم تقفل بعد احتجاب الجريدة فقد عثرت على كتابين صغيرين طبعاً في هذه المطبعة في عامي ١٣٢٠ هـ و١٣٢٩ هـ . أما الأول فهو (كفاية المحتاج في معرفة الاختلاج وضع ذي القرنين عليه السلام) للإمام عبد الرحمن السيوطي ، وأما الثاني فهو (أنوار الشروق في أحكام الصندوق) للشيخ محمد علي المالكي مفتي المالكية .

وإلى جانب جريدة «الإصلاح الحجازي» صدرت في الحجاز جريدة صفا الحجاز ، من الباحثين من قال أنها صدرت في مكة المكرمة ومنهم من قال أنها صدرت في جدة ويبدو أن «جدة» هي الصحيحة ، وقد يرد الحديث عنهما باسم جريدة «الصفا» ــ وهي على كل حال ليست بذات شأن فقد قيل إنها لم تصدر غير عددين ، وإنها كانت خطية تطبع على الجلاتين .

وأسهمت المدينة المنورة في العهد العثماني بإصدار جريدة الرقيب ، يبدو أن عددها الأول صدر في يناير ١٩٠٩ وكانت خطية تطبع على الجلاتين لعدم وجود مطابع في المدينة آنذاك .

وجريدة «المدينة المنورة» يبدو أن عددها الأول صدر في ١٦/ ١١/ ١٩٠٩ وهي تصدر «على مطبعة البالوزة» .

وليس للجريدتين شأن يذكر لا في تاريخ الصحافة ولا في تاريخ الطباعة» .

وأهم ما يجدر الكلام عليه من تاريخ المدينة في صلة بالطباعة والصحافة في العهد العثماني أو الحكم العثماني : المطبعة العلمية وجريدة الحجاز .

وعن المطبعة العلمية يقول الدكتور الشامخ : «لقد تأخر ظهور الطباعة في المدينة

المنورة حيث لم تؤسس فيها المطبعة الآ عام ١٣٢٩ هـ (١٩١٠ م) وذلك حينما أنشأ — كما قال عثمان حافظ — الشيخ كامل الخجا رئيس تجار المدينة المنورة (مطبعة صغيرة تدار بالرجل)، وأضاف بأن الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي أحد علماء المدينة المنورة كان يشرف على إدارتها (وربما كان له بعض الأسهم فيها).

ولم يذكر عثمان حافظ اسم هذه المطبعة كما لم يشر إلى شيء مما طبعته. ولكن من الأرجح أنه هي (المطبعة العلمية) التي كانت موجودة بالمدينة المنورة عام ١٣٢٩ هـ والتي قامت هذا العام بطبع كتاب (الأقاويل المفصلة لبيان حال حديث الابتداء بالبسملة) للسيد محمد بن جعفر الكتاني، وكتاب (أحكام تجويد القرآن) للشيخ حسن الشاعر وقد ذكر في الكتاب الأول أن هناك كتابين آخرين تحت الطبع في نفس المطبعة هما: (ذروة الوفاء فيما يجب لحضرة المصطفى ﷺ) للسمهودي، وكتاب (السبيل الواضح لبيان أن القبض في الصلوات كلها مشهور وراجح) لأبي عبدالله المناوي.

وفي عام ١٣٣٠ هـ قامت المطبعة العلمية كذلك بطبع كتاب (نخبة فتح المنعم الوهاب لشرح عمدة الطلاب في علم أصول الفقه) تأليف عباس بن محمد بن أحمد بن السيد رضوان المدني الشافعي ...»

هذا عن المطبعة العلمية أما جريدة الحجاز فصحيح أنها صدرت في ظل السلطان العثماني إلّا إنها صدرت أيام كان أكثر الحجاز في حوزة الملك حسين، وكانت المدينة بيد الأتراك وهم الذين أصدروا فيها الجريدة، لذا يحسن تأجيل الكلام على جريدة الحجاز إلى الكلام على الطباعة (والصحافة) في العهد الهاشمي — الشامخ.

ويختم الدكتور الشامخ بحثه عن نشأة الصحافة في الحجاز (آخر العهد العثماني) بقوله: «لقد كانت سنة ١٩٠٨ بداية حقبة جديدة في تاريخ الحياة الفكرية في الحجاز إذ صدرت ست صحف محلية في الفترة ما بين ١٩٠٨ — ١٩٠٩».

«لم تشبه المطبعة الماجدية المطبعة الميرية من حيث غلبة العصور المتوسطة على ما طبع فيها. وقد بحث الدكتور أحمد محمد الضبيب عن كتب التراث العربي التي طبعت في هاتين المطبعتين خلال هذه الحقبة فوجد أنه لم يكن بينها شيء من الكتب الأصول

القديمة ، ثم وصف مطبوعات هاتين المطبعتين قائلاً : «والناظر في مجموع ما نشرته المطبعتان من كتب التراث ، يجد أن كتب الفقه ويدخل فيها كتب المناسك والأدعية هي أكثر الكتب رواجاً عند المكيين ، تليها كتب النحو والصرف والتجويد والتصوف ثم متفرقات التاريخ والبلاغة .. وبناء على ما اطلعنا عليه من مطبوعات الأميرية والماجدية فاننا نلاحظ أن الكتب الأصول القديمة في الفقه والحديث واللغة لم يطبع منها شيء في هذه الفترة ، وأن جل ما طبع هو من مؤلفات القرون المتأخرة ، وقد طبعت بعض هذه الكتب ضمن الحواشي أو على هوامش الشروح التي ألفها علماء الحرمين . ومن الملاحظ أن كتب المتون ثم شروح هذه الكتب وحواشيها التي وضعت عليها هي أكثر الكتب رواجاً بين القراء ، وتلك هي بقايا ثقافة عصور الانحدار وخاصة العصر العثماني حيث يشيع التقليد وتنشط الخرافة وينعدم الابتكار والتجديد .

ترجع هذه الأخبار الحجازية عن الطباعة والمطبوعات إلى آخر العهد العثماني ١٣٢٦ — ١٣٣٤ /١٩٠٨ — ١٩١٦ وكان الحجاز ولاية تابعة لتلك الدولة ومن هنا صح تسمية الفترة بالعهد العثماني (أو آخر العهد العثماني) .

يضاف إلى تلك المطبوعات الداخلية ما كان يطبعه حجازيون خارجاً في مصر والهند — وما كان يردهم من مصر على وجه الخصوص .

واذا رجعنا إلى نجد فيما حوالي هذا التاريخ لم نجد للعثمانيين أثراً يذكر فما هي من العهد العثماني أو آخره في شيء . لقد كانت في حكم الدولة السعودية (الثالثة) التي بدأ تأسيسها عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود سنة ١٣١٩ بأخذه الرياض من آل الرشيد .

ولم يكن في نجد طباعة أو صحافة ، ولكن كان فيها عدد من المؤلفات المطبوعة في أمور الدين خاصة والمذهب الحنبلي على وجه أخص منها آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابن تيمية وابن القيم وما الى ذلك ...

وقد بدأ نجديون «موسرون» يطبعون هذه الكتب خارج البلاد كالهند ومصر منذ العشر الأولى من القرن .

بل أن «المطبوع» النجدي في مصر والهند أكثر من المطبوع الحجازي فيها (كما سنرى).

ونرجع إلى بحث الدكتور أحمد محمد الضبيب في الدارة فنقرأ — فيما نقرأ:

«لم تدخل المطبعة الجزيرة العربية قبل سنة ١٨٧٧ م حين أنشأ الأتراك العثمانيون مطبعة في اليمن ... وعندما أنشئت مطبعة الولاية في مكة سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) لم تكن تفي بالغرض ... و... اتجهت الأنظار ... إلى ... الهند ومصر...

ولقد تهيأ للمطابع الهندية أن تخرج في العقدين الأول والثاني من القرن الرابع عشر الهجري بعض كتب التراث التي نشرت بواسطة أبناء الجزيرة العربية. وكانت كتب الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وكذلك بعض الكتب السلفية الأخرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ولتلميذه ابن القيم أهم هذه الكتب.

وعلاقة الهند بالدعوة الإصلاحية السلفية ... تتمثل في عدة وجوه منها تبادل الزيارات بين علماء نجد وعلماء الهند وتأثر بعضهم ببعض. فمن المعروف أن العلامة الشيخ سعد بن عتيق سافر إلى الهند في نهاية القرن الثالث عشر (١٢٨٨ هـ) وهناك استقر به المقام في بهو بال واجتمع بالعلامة السلفي واللغوي الكبير صديق حسن خان وقرأ على عدد من علماء الحديث، وقد مكث هذا العالم الجليل في الهند تسع سنين.

ومن ذلك ما يذكر من أن الشيخ إسحاق بن العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ قد سافر إلى الهند سنة ١٣٠٩، وفي أخبار الشيخ إبراهيم بن عيسى المؤرخ المشهور (ت ١٣٤٣ هـ) إنه قام برحلات إلى الهند، وكذلك الشيخ عبدالله بن بليهد (ت ١٣٥٩ هـ) ... ومن علماء الهنود الذين ينهجون نهج السلف الصالح ... شاه ولي الله الدهلوي ... ومن علماء السلف المشهورين العلامة النواب صديق حسن خان نواب بهو بال ... وله تآليف كثيرة ... ونضيف إلى هؤلاء الشيخ محمد بشير السهسواني ... ومن شيوخه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٢٧ هـ) النجدي نزيل مكة. ومن أشهر تآليف هذا العالم الهندي مؤلفه «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» رد به على السيد أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة..

ولسنا نعلم على وجه الدقة في أي عام بدأ نشر الكتب السلفية في الهند ولكننا لم نطلع على كتب طبعت قبل عام ١٣٠٨ هـ وهي السنة التي طبع فيها كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وفي عام ١٣١٠ هـ طبع كتاب «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس» للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (مطبعة دير سات بومباي) ولا نستبعد وجود كتب أخرى طبعت قبل هذين الكتابين.

وفي العقد الثاني من هذا القرن طبع كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ـــ المطبع الأنصاري في بلدة دهلي) سنة ١٣١١ هـ.

ويذكر أحمد علي أن هنالك شرحاً آخر لكتاب التوحيد بقلم حمد بن حسن النجدي طبع في مدينة دهلي هذا العام بعنوان «الدر النضيد» ولم أطلع على هذا الكتاب، ولعله كتاب «فتح المجيد» بعينه إذ أن العنوان الكامل لهذا الكتاب كما بدا في طرة الكتاب هو «الحمدلله الذي وفقنا لطبع الدر النضيد والعقد الفريد ذكرى كل شقي وسعيد المسمى بفتح المجيد بشرح كتاب التوحيد».

وقد طبعت مجموعة التوحيد النجدية في المطبع الأنصاري بدهلي ولم يذكر تاريخ الطبع والمرجح أنه مقارب لتاريخ نشر فتح المجيد فقد اطلعنا في نهاية كتاب «أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» لابن دقيق العيد المطبوع في نفس المطبعة، سنة ١٣١٣ على إعلان يذكر «مجموعة التوحيد» ضمن كتب سلفية أخرى منها مجموعة الحديث وكتاب الرد على المنطقيين «لابن تيمية» وإعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم.

ومن شروح كتاب التوحيد التي نشرت في الهند كتاب «فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد» للعلامة حامد بن محمد بن حسن بن محسن وقد طبع في مطبع القران والسنة في بلدة أمر تسر ولم يذكر تاريخ طبعه ولكن أحمد علي يذكر (في كتابه: آل سعود) أنه طبع سنة ١٣١٥.

ومما طبع في هذه المطبعة كتاب «البيان المبدي لشناعة القول المجدي» للشيخ سليمان بن سحمان ومعه كتاب «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ولم

يذكر تاريخ طبعه .

وبعد العقد الثاني وحتى العشرة الرابعة من القرن الرابع عشر تنشط دار أخرى في طباعة كتب علماء الدعوة وخاصة ردود الشيخ سليمان بن سحمان وهي المطبعة المصطفوية في بمبي ونعد من هذه المؤلفات عشرة ردود وديوان الشيخ سليمان طبعت جميعها في هذه المطبعة وفي مطبعة أخرى اسمها المطبع المجتبائي في دهلي .

بعض المؤلفات التي طبعت في المصطفوية غير مؤرخة مثل :

ـــ مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الايمان والإسلام للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ .

ـــ كشف غياهب الظلام عن أوهام وجلاء الأوهام وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب للشيخ سليمان بن سحمان .

ـــ الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد .

ومن الكتب المؤرخة وكلها للشيخ سليمان بن سحمان :

ـــ تأييد مذاهب السلف وكشف شبهات من حاد وانحرف ودعي باليماني شرف سنة ١٣٢٣ هـ .

ـــ كشف الشبهات التي أوردها عبد الكريم البغدادي في حل ذبائح الصلب وكفار البوادي سنة ١٣٣٥ هـ .

ـــ تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين سنة ١٣٣٥ هـ .

ـــ الرد على من أنكر الجهر بالذكر بعد الفرائض سنة ١٣٣٥ هـ .

ـــ الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية سنة ١٣٣٥ هـ .

ـــ عقود الجواهر المنضدة الحسان ـــ ديوان الشيخ سليمان بن سحمان سنة ١٣٣٧ هـ

ـــ إقامة الحجة والدليل وايضاح المحجة والسبيل على ما موه به أهل الكذب والمين

من زنادقة البحرين ـــ المطبع المجتبائي في دهلي سنة ١٣٣٢ هـ .

ونخلص من هذا إلى أن نشر كتب العقيدة السلفية في الهند قد تركز غالباً في ثلاثة مواضع :

١ ـــ مدينة دهلي وقد أسهمت فيها داران : المطبع الأنصاري والمطبع المجتبائي .

٢ ـــ مدينة أمر تسر وفيها مطبع القرآن والسنة .

٣ ـــ مدينة بمبي وفيها المطبعة المصطفوية ومطبعة دير سات .

لقد نقلنا هنا الكثير مما ورد في بحث الدكتور الضبيب لشدة صلته بالموضوع عموماً ولصعوبة الحصول عليه في مكان آخر ، ولأن كثيراً من أعلام المؤلفين والمؤلفات في البحث وردا ـــ ويردون ـــ بمواد مستقلة من هذا المعجم ، وتأتي المعلومات التي قدمها الدكتور الضبيب مؤيدة أو متممة (وربما مفندة) .

ثم يتحدث الدكتور الضبيب عن « طباعة التراث في مصر» فيقول : «يذكر سنوك هرجرونيه في كتابه عن مكة [وقد أقام بها] زهاء ستة أشهر من عامي ١٨٨٤ ـــ ١٨٨٥ م بأن معظم الكتب التي كان يقرؤها المكيون في ذلك الوقت كانت ترد إليهم من مصر... ولعل من أقدم ما طبع من مؤلفات علماء الحرمين هو كتاب «العقد الثمين في فضل البلد الأمين» للشيخ أحمد الحضراوي (مط . شاهين ١٢٧٨ هـ) وكتاب « الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد الصحاح » لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربي نزيل مكة ومدرسها ، وقد طبع في بولاق سنة ١٢٨١ هـ وصححه الشيخ نصر الهوريني ويبدو أن الكتاب قد طبع في حياة مؤلفه[1] . وكتاب «جواهر الإكليل في مفاخر دولة الخديوي اسماعيل للسيد أحمد بن اسماعيل البرزنجي وقد طبع في الاسكندرية ، سنة ١٢٩١ هـ» .

ومما نشره علماء الحرمين بمصر ـــ وهو قليل ـــ «حاشية أحمد زيني دحلان (ت

(١) في الهامش : «طبع الكتاب طبعة أخرى على هامش صحاح الجوهري في مصر سنة ١٢٩٢» .

١٣٠٤) على ألفية ابن مالك (طبعت في مصر، المطبعة السنية سنة ١٣١٩) ... ومن هذه الكتب والحواشي «حاشية النفحات على شرح الورقات» لمؤلفها السيد أحمد بن عبد اللطيف الخطيب المدرس بالمسجد الحرام (ت ١٣٣٤) وهي حاشية على شرح الورقات للشيخ جلال الدين المحلي.

ومنها كتاب: «إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين» للشيخ أبي بكر عثمان بن محمد شطا البكري وبهامشه «فتح المعين على قرة العين» لزين الدين المليباري في الفقه الشافعي (بولاق ١٣٠٠). ولنفس المؤلف شرح بعنوان: «كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء» شرح به المنظومة المسماة: هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء (في التصوف) لزين الدين المليباري. طبعت سنة ١٣٠٢.

تلك أمثلة على بعض كتب التراث التي نشرت في مصر وكانت لعلماء الحرمين فيها يد تذكر.

ونضيف إلى ذلك ما كان يطبعه بعض التجار من محبي عقيدة السلف ويوزعونه في الحرمين أو غيرهما من بلاد العالم الإسلامي، ونخص بالذكر الشيخ عبد القادر بن مصطفى التلمساني أحد تجار جدة ومن ذوي الأملاك في القطر المصري فقد كان، بعد اتصاله بالشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى قاضي المجمعة (ت ١٣٢٨) ونزيل مكة واعجابه بسلوكه وتعرفه على الدعوة السلفية، كان من أكثر الناس حباً لنشر هذه الكتب وقد قص الشيخ محمد نصيف رحمه الله قصة اتصال التلمساني بالشيخ أحمد بن عيسى ومناظراته له في مقدمته لكتاب الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى «الرد علي شبهات المستعينين بغير الله»[1] الذي تولى نشره وكان التلمساني أشعرياً ... وبعد مناظرة له مع الشيخ ... يتحول إلى داعية من دعاة العقيدة. ويطبع على نفقته كثيراً من كتب السلف يوزعها بالمجان. يحصي الشيخ نصيف منها الكتب الآتية:

(١) في الهامش «ويذكر الشيخ محمد نصيف في المقدمة أن سبب اتصاله بالدعوة السلفية هو اتصاله بهذا الشيخ ويذكر أن الشيخ أبو بكر خوقير الكتبي ممن تأثروا به أيضاً.

١ ـــ الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي .

٢ ـــ القصيدة النونية المسماة الشافية لابن القيم ـــ طبعت بالمطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣١٩ .

٣ ـــ الاستعاذة من الشيطان الرجيم لابن مفلح ـــ طبع في مطبعة محمد أفندي مصطفى بمصر سنة ١٣١١ هـ .

٤ ـــ المؤمل في الرجوع إلى الأمر الأول لابن أبي شامة المؤرخ .

٥ ـــ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية .

٦ ـــ الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي مع رسائل أخرى ضمن الرد الوافر .

٧ ـــ غاية الأماني في الرد على شواهد النبهاني للسيد محمود شكري الألوسي ـــ هو رد على كتاب يوسف بن إسماعيل النبهاني بعنوان «شواهد الحق» .

... وقد شارك الشيخ محمد نصيف قبل توحيد الجزيرة الشيخ عبد القادر التلمساني في بعض الكتب كما استقل بنشر بعضها ومنها كتاب «العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها» للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨) وقد نشر في مصر عن نسخة حجرية طبعت في الهند وصححه السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار وذلك سنة ١٣٣٢ هـ وكان السيد نصيف آنذاك وكيلاً لإمارة جدة .

وبما أن المطابع المصرية كانت تلبي احتياجات سكان الحرمين من الكتب التي تتفق ومذاهبهم الفقهية وآراءهم الدينية ... فقد كان هؤلاء في وضع لا يحتاجون فيه إلى القيام بطبع كتب التراث على نفقتهم الخاصة ... وعلى العكس من ذلك كانت الحاجة ملحة بالنسبة لسكان وسط الجزيرة وشرقيها لطبع الكتب السلفية ونشرها كما يبدو أن الفقه الحنبلي قد أصيب في العهد العثماني بركود شديد ... أن علماء الحنابلة في الحرم المكي قليلون ...

ولذلك كان نشر التراث السلفي والفقهي لسكان وسط الجزيرة وشرقها ضرورة ... وقد رأينا كيف أن الهند قد تولت طبع النشرات الأولى ... ولا نعلم على وجه الدقة متى

بدأت مصر تطبع كتباً على نفقة تجار شرق الجزيرة لكن من أقدم المطبوعات التي اطلعنا عليها كتاب «نيل المآرب بشرح دليل الطالب» للشيخ الإمام عبد القادر بن عمر الشيباني على مذهب الإمام أحمد ، وهو شرح «لدليل الطالب» في الفقه الحنبلي للشيخ مرعي بن يوسف المقدسي وقد صدر هذا الشرح في مجلدين طبعا على سنة ١٢٨٨ هـ وكانت هذه الطبعة على ذمة الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم من أهالي الكويت .

وفي مطلع القرن الرابع عشر يبزغ نجم تاجر من أضخم تجار الجزيرة العربية وأكثرهم تأثيراً في هذا المجال ذلك هو الشيخ مقبل بن عبد الرحمن الذكير ... فنشر كتاب «كشاف القناع عن متن الاقناع» للشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي وطبع في المطبعة الشرقية سنة ١٣١٩ هـ ووزعه مجاناً . وقد صدر في أربعة أجزاء ضخام مجموع صفحاتها ١٧٩٢ صفحة وحشي بكتاب من أهم الكتب في الفقه الحنبلي هو كتاب «شرح منتهى الإرادات» لنفس المؤلف .

لقد نشر مقبل الذكير عدداً غير قليل من كتب التراث نذكر منها مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨) وقد بدىء بطبعها بمطبعة كردستان العلمية في القاهرة ١٣٢٦ هـ في خمسة أجزاء انتهت عام ١٣٢٩ هـ ويضم الجزء الخامس منها (وقد سمي ملحق الجزء الرابع) كتابين لشيخ الإسلام هما «بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية» و«شرح العقيدة الأصفهانية» .

ومن مطبوعات مقبل الذكير الكبرى من كتب التراث كتاب «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن القيم وكتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» للمؤلف نفسه ... ونشر الذكير كتاب «الحيدة» للكناني ضمن مجموعة فريدة من الكتب السلفية .

ومما طبع في مصر من الكتب عام ١٣١٩ هـ على نفقة بعض التجار كتاب «التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولى الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» وقد نسب الكتاب إلى الشيخ سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانفق على طباعته «صالح بن دخيل الجار الله» الذي قدم له بمقدمة تحدث فيها عن معنى دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب ونسبه الدعوة إليه وشيء من سيرته

ومؤلفاته . وقد رجح الشيخ سليمان الصنيع في ورقة الصقها بنسخته الخاصة من الكتاب أن يكون قد اشترك في تأليف هذا الكتاب كل من الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب والشيخ حمد بن ناصر بن معمر والشيخ أحمد بن محمد بن غريب ، وأن نسبته إلى الشيخ سليمان بن عبدالله بن عبد الوهاب غلط من الطابع ووهم منه » ...

وتبرز في أواخر هذه الفترة التي سبقت توحيد الجزيرة العربية دار في مصر كان لها أكبر الأثر في نشر كتب العقيدة والفقه الحنبلي تلك هي مطبعة دار مجلة المنار التي كان يصدرها السيد محمد رشيد رضا .. وأكثر هذه الكتب .. وأهمها هي ما أمر بطباعته المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود قبل بلوغه مكة ، فقد بدىء في عام ١٣٤١ هـ بطبع كتاب « المغني » و« الشرح الكبير » . وكتاب « المغني » من تأليف موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المتوفي سنة ٦٢٠ هـ شرح به مختصر أبي القاسم عمر بن الحسين الخرقي في الفقه الحنبلي .. أما « الشرح الكبير » فهو لشمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامه المقدسي المتوفي سنة ٦٨٢ هـ شرخ به متن « المقنع » لموفق الدين عبد الله بن قدامه صاحب المغني ـــ هذا المتن » .

ولم يكن لنا بد من هذا النقل عن بحث الدكتور الضبيب للأسباب التي سبق ذكرها ، فالبحث قيم جداً ، ويهمنا أن يتضمن « المعجم » أكثر ما يمكن من المعلومات المتصلة بالطبع والنشر والتأليف ليهيىء لمراجعه أكبر فائدة ممكنة .

وفي حلقة ثانية (الدارة ـــ العدد الرابع السنة الثالثة ـــ صفر ١٣٩٨ هـ/ يناير ١٩٧٨) يضيف الدكتور الضبيب الى « المغني » و« الشرح الكبير » مما طبع على نفقة الملك عبد العزيز قبل بلوغه الى مكة « كتابي » « تفسير ابن كثير » و« البغوي » .

ومعلوم أن هذه الكتب متعددة الأجزاء ، ولا يعني الخبر أكثر من طبع الأجزاء الأولى .. وعاد الدكتور الضبيب في حلقة ثالثة (العدد الثالث ، السنة الرابعة شوال ١٣٩٨ هـ/ سبتمبر ١٩٧٨ م) ليقول (ص ٩) : « ..تفسير ابن كثير القرشي ... من أضخم التفاسير بالمأثور .. وكذلك تفسير البغوي (معالم التنزيل » ..

ويذكر الدكتور الضبيب (ص ١٠) مرة الحلقة الثانية : « قد كانت المطبعة السلفية

المصرية تطبع بعض كتب التراث للملك عبد العزيز رحمه الله ومن مطبوعاتها كتاب روضة الناظر وجنة المناظر» في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد وقد طبع سنة ١٣٤٢ هـ» .

وقد اطلعت على هذه الطبعة ونقلت عنها هذه المعلومات ، وهي انها : لشيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي (المتوفى سنة ٦٢٠) ومعها شرحها «نزهة الخاطر العاطر للأستاذ الشيخ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بدران الدومي ثم الدمشقي . أمر بطبعه الإمام القائم على حدود الشريعة محيي آثار السلف السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود . وقف على طبعه محب الدين الخطيب . مصر — المطبعة السلفية ١٣٤٢) (٤) أجزاء .

ونضيف الى ما ذكره الدكتور الضبيب ما طبع في هذا التاريخ : مجموعة الحديث النجدية .

تشتمل على تسع كتب ورسائل :

١ — الأربعين النووية وشرحها .
٢ — عمدة الأحكام من كلام خير الأنام .
٣ — أصول الإيمان تأليف أبي عبدالله محمد بن عبد الوهاب .
٤ — فضل الإسلام تأليف إمام المجددين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٤٢ .
٥ — كتاب الكبائر تأليف المتيقن المدقق المتورع الزاهد فريد دهره ووحيد عصره أبي حسن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ص ص. ٢٥٨ — ٣١٠ .
٦ — نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين تأليف الإمام المحمود الشيخ أبي عبدالله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأرضاه ص ص ٣١٢ — ٤٤٤ .
٧ — الرسالة السنية في الصلاة لأحمد بن محمد بن حنبل .
٨ — الصلاة للمحقق ابن القيِّم .
٩ — الوابل الصيب في الكلم الطيب للمحقق ابن القيِّم .

أمر بطبعها مع طائفة أخرى من كتب التوحيد والتفسير والفقه ناصر السنة ومحيي آثار

الأئمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود امام نجد وملحقاتها إحياء للعلم وخدمة للدين الخ.. السيد محمد رشيد رضا ، ط ٢ ، مطبعة المنار ١٣٤٢ ، (كان الطبعة الأولى هي الطبعة الهندية التي اتخذت أساساً للطبع ، وهي «طبعة كثيرة الغلط والتحريف فصححناها قدر الإمكان» .

وليلاحظ أن مركز اهتمام الدكتور الضبيب هو طبع كتب التراث ، وربما أكثر ما همه — بعد ذلك — الكتب المتعلقة بالدعوة خاصة في صلتها بمؤلفين نجديين .

ولو أردنا أن نوسع الدائرة ونتحدث عن الطباعة عموماً وفي مختلف ما طبعت من كتب لحجازيين خاصة .. لو فعلنا ذلك لرأينا المطابع إزاءنا أكثر مما وقفنا عنده ولجاءت «الاستانة» متقدمة من الناحية الزمنية فلقد طبعت مثلاً سنة ١٢٨٧ ، ١٢٨٩ ، ولرأينا مطابع مصرية كثيرة ربما جاءت في مقدمتها الميمنيّة ، واحتلت «بولاق» مكاناً واضحاً ثم هناك : الاعلام (الاعلامية) الجملية ، التقدم ، الآداب ، الحسينية ، السعادة ، الخيرية ، محمد مصطفى ، محمد شاهين ، عبد الرزاق .

وتذكر من المطابع «قازان» (آسيا) ورام فور (الهند) .. وترد الشرقية (ولعلها مصرية) .. فضلاً عن «الهند» و«بمبي» .

من الممكن الوقوف على أسماء هذه المطابع بمراجعة «لمعجم» سركيس (تنظر الصفحات ٤٣٩ ، ٩٢٩ ، ١٢٣٢ ، ٥٩٩ ، ١٢٧٥ ، ١٢٩٠ ، ١٣٨٤ ، ١٥٨٧ ، ١٦٧٢ ، ١٧٣٢ ، ١٧٣٣ ، ١٨٣٨)

هذا في معجم واحد ، ولو عنى «عمر عبد الجبار» بذكر المطبوع والمطبعة لرأينا ما هو أكثر وأكثر) .

و«شهد الحجاز ورود جرائد عربية أخرى مما كان يصدر خارج ولاية الحجاز ... إن جمهور القراء في الحجاز قد تعرضوا حينئذ لتأثير فكري مفاجيء أحدثه إطلاعهم على عدة صحف محلية وخارجية كانت تمثل مصالح متنوعة وتعبر بجرأة عن وجهات نظر مختلفة ... ومن الممكن أن يقال بأنه قد كان لجريدة «حجاز» أهمية أدبية واضحة ... أما أهمية صحف هذه الفترة من الوجهتين السياسية والاجتماعية ، فإنه من الواضح أن

«حجاز» و«شمس الحقيقة» و«الإصلاح الحجازي» كانت مشغولة أصلاً بالشؤون السياسية والاجتماعية وأنها كانت تدعو بحماس إلى التطور الاجتماعي والتعليمي . ولقد ثار بين «شمس الحقيقة» و«الإصلاح الحجازي» جدل سياسي عبرت فيه كل صحيفة عن آراء فئات معينة متنافسة ... و... الشيخ نصيف وبكر شرف قد أكدا إقبال الجمهور على بعضها ، واهتمامه الشديد بما كان يناقش فيها من موضوعات ...

إن أثر هذه المنشآت الصحفية لم ينقطع بانقطاع صدور صحفها ذلك أن مطابعها التي كانت تنتقل حينئذ من يد إلى يد لم تتعطل عن العمل ، بل ظلت تؤدي وظيفتها المهمة في الحياة الثقافية في الحجاز» .

وبعد فقد قسم الدكتور الشامخ كتابه إلى ثلاثة فصول ، احتوى الأول «آخر العهد العثماني ١٣٢٠ ــ ١٣٣٤/ ١٩٠٨ ــ ١٩١٦ ، وإذ تنتهي هذه المرحلة نكون قد رأينا من المطابع في الحجاز :

١ ــ مطبعة الولاية (الأميرية أو الميرية) في مكة .
٢ ــ مطبعة شمس الحقيقة (في مكة) .
٣ ــ المطبعة الماجدية (في مكة) .
٤ ــ المطبعة العلمية (بالمدينة) .
٥ ــ مطبعة الحجاز (بالمدينة) .

ويذكر الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه «الحركة الأدبية» ... ص ٦٥١ ، أن كتاب مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود لأمين الحلواني . «المطبعة الحسينية بمكة ١٣٠٤ هـ» ولا بد من أن يعزى ذلك إلى الخطأ أو السهو لأن الذي في أوراقي (ينظر أمين الحلواني) أن المطبعة الحسينية في الهند .

هذا وألممنا بما صدر عن هذه المطابع من صحف ، وكتب ولا سيما الميرية والماجدية ، وبما صدر مطبوعاً في الهند أو مصر وما زال البحث بكراً أو يكاد ، ينتظر من يسد ثغراته .

ينتهي العهد العثماني ١٣٤٤/١٩١٦ .

* * *

وإذ يقوم العهد الهاشمي (١٣٣٤ — ١٣٤٤/ ١٩١٦ — ١٩٢٥) ويقضي الشريف حسين على الحكم العثماني بمكة ، تصدر بمكة — بعد خمسة أسابيع من تاريخ ١٠ يوليو ١٩١٦ وهو التاريخ المرجح لاختفاء جريدة حجاز — جريدة «القبلة» أولى صحف العهد الهاشمي . ثم صدرت جرائد : الحجاز ، والفلاح ، وبريد الحجاز ، ومجلة واحدة هي «مجلة مدرسة جدول الزراعية» .

صدرت القبلة بمكة في ١٥/ ١٠/ ١٣٣٤ — ١٥/ ٨/ ١٩١٦ وكان محبّ الدين الخطيب [وهو مصري] أول «مدير مسؤول» لها ثم خلفه «حسين الصبّان» . وقد ترك الخطيب العمل في الجريدة عام ١٣٣٧/ ١٩١٩ وتولى التحرير في «القبلة» وشارك في الكتابة فيها كذلك أحمد شاكر الكرمي ، فؤاد الخطيب (وهو لبناني) وعبد الملك الخطيب ومصطفى فهمي والطيب الساسي .

يقول خير الدين الزركلي — وهو أحد المشاركين في تحرير القبلة — «إن الحسين نفسه قد كتب مقالات كثيرة يعرفها قرّاؤه بأسلوب كتابته الذي لا يتغير ولا يتبدل» ويقول الشيخ محمد نصيف كذلك أن الحسين كان يحرر بعض افتتاحيات «القبلة» ولا سيما تلك التي تتعلق بالقضايا السياسية العامة ، وأن القارىء يستطيع معرفة أسلوبه بما يتسم به من إكثار في استخدام مثل هذه الكلمات : «حساسيات» و«كماليات» و«معنويات» .

ويقول الأستاذ عثمان حافظ في كتابه «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية» ص ٧٢ «وكان معروفاً لدى المعاصرين أن الملك حسين نفسه كان يهتم اهتماماً كبيراً بما ينشر في القبلة — ويشرف على تحريرها اشرافاً كاملاً ، فلا تصدر الجريدة إلا بعد أن عرضها عليه قبل طبعها . وكان يحرر أو يملي كثيراً من الأخبار والتعليقات السياسية ، وكان — كما علمنا من المعاصرين — كثيراً ما يحذف بعض المواد ويعيد تحريرها بنفسه» .

ويذكر الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية» المطبوع ١٣٩٢/ ١٩٧٢ ، ص ١٠٨ «القبلة ... حتى الشريف حسين كان

يشترك في تدبيج مقالات سياسية وأدبية ، ويوقعها باسم مستعار ، وغالباً ما يكون «ابن جلا»...»

كانت الجريدة — وهي تني كونها جريدة رسمية وأنها لسان حال للحكومة الهاشمية — تتبع أي سياسة يتبناها الشريف حسين ، فهي لسان حاله وهو وحده الذي يرسم سياستها» . وقد كانت الجريدة «مشغولة في سنتيها الأوليين بالإشادة بمن قاموا ضد الأتراك ، وبمدح الحلفاء ومهاجمة جمعية الاتحاد والترقي وحلفائها الألمان .

ولدى فتح دمشق عام ١٩١٨ بقيادة فيصل «أخذت القبلة في تمجيد العرب والتبشير بمستقبلهم الزاهر» وعندما أعلن بعض السوريين أنهم لا يريدون الارتباط بحكومة الحجاز شرعت الجريدة «تهاجم المنشقين من السوريين وتدعو إلى جمع الكلمة» .

ثم لما خان الحلفاء صاحبهم شرعت في حسابهم ومهاجمتهم ويبدو أنها تخلت بعد ذلك (١٩٢١) — ولو موقتاً — عن السياسة واتجهت للإرشاد والوعظ حتى قال محررها «رأينا أن تشتغل «القبلة» في هذه الآونة بنشر السيرة النبوية ...» وأخذت تنشر سلسلة من المقالات الدينية المطولة تحت عنوان «للعظة والذكرى» . واستمرت في ذلك حتى عام ١٩٢٣ ... وبدأت في مناقشة موضوع الخلافة ... وحين بويع الحسين بالخلافة في ١١ مارس ١٩٢٤ شغلت ... بهذا الحدث» ... وأوقفت نشر سلسلة ... «للعظة والذكرى» التي بلغت حينئذ ١٢٥ حلقة ... و... ما لبثت القبلة أن احتجبت عن الصدور في ٢٥/ ٢/ ١٣٤٣ — ٢٥/ ٩/ ١٩٢٤ وإذ ما لبث الحسين أن تنازل عن السلطة لابنه علي في ٥ أكتوبر ١٩٢٤» .

« ... في سنتها الأولى كان فؤاد الخطيب ومحبّ الدين الخطيب غالباً ما يحرران مقالاتها الافتتاحية ... وكانت افتتاحيات فؤاد الخطيب — الذي كان مسؤولاً عن الشؤون الخارجية في الحكومة الهاشمية ... — تتميز بأسلوبها الخطابي الأدبي . أما مقالات محبّ الدين الخطيب فيبدو أنها كانت أقرب إلى طريقة التحرير الصحفي الحديث ، إذ أن أسلوبها كان أقل تأنقاً ...»

«كانت المقالات التي نشرت فيها تتسم بالجزالة وتتميز باستخدام طرق التعبير الأدبية».

أسهم في الكتابة بها كتاب في مختلف البلاد العربية وكانت تقرأ خارج نطاق الحجاز من العالم العربي.

كانت «القبلة» تحرر جيداً، ولكن ... كانوا يميلون إلى الإطناب وإلى جزالة الأسلوب العربي القديم، ولذلك فقد كانت المقالات التي نشرت فيها تتسم بهذه الجزالة وتتميز باستخدام طرق التعبير الأدبية ...

إن جريدة القبلة التي ظلت تصدر مدة تزيد على ثماني سنوات هي أهم صحف العهد الهاشمي وأشدها تأثيراً في الحياة الثقافية والاجتماعية في الحقبة، أنها سجل للحياة الفكرية والسياسية التي عاشها الحجاز في تلك الحقبة».

يقول الأستاذ عثمان حافظ ص ٧٢ — ٧٣ «كان أسلوبها في التحرير يتصف بالأسلوب الصحفي الأدبي الرزين خلافاً لما كانت عليه صحف العهد العثماني لأن محرريها كانوا من الشخصيات الصحفية والعلمية والأدبية».

وقد كانت القبلة محافظة على التقاليد والآداب في نقاشها الأدبي والسياسي وإن كانت عنيفة في بعض حملاتها على الاستعمار والمستعمرين».

ويرى الدكتور بكري شيخ أمين ص ١٠٨ أن «القبلة» كانت مدرسة للآداب والبلاغة وفن الكتابة ... وكانت افتتاحيات فؤاد الخطيب مثالاً يحتذي أدباً وفكراً، وحسن عرض وتحليل.

لقد كانت جريدة «القبلة» المنبر الحر الذي أذاع منه الأدباء العرب في الحجاز وفي العالم العربي والمهجر أروع إنتاجهم القومي ... دون أن يخشوا رقيباً ... ولهذا فإنه يبدو لنا أن جريدة «القبلة» عامل مباشر يشترك وعوامل أخرى في نهضة الفكر والأدب في شبه جزيرة العرب.

بقي أن نعلم أن «القبلة» كانت تطبع في المطبعة الحكومية — مطبعة الحكومة

(الهاشمية) وهي «المطبعة الأميرية» ، «الميرية» الواقعة بحارة «جياد» من مكة (ينظر محمد ناصر بن عباس : موجز تاريخ الصحافة ... ص ٣١٠) . وكان أمر المطبعة بيد الحسين كما كان أمر الجريدة ... وربما كان المدير المسؤول عن المطبعة هو نفسه المدير المسؤول عن الجريدة .

وفي هذا مثل يبين شدة الارتباط بين الطباعة والصحافة .

وصدرت في العهد الهاشمي جريدة «الحجاز» في المدينة المنورة تطبع هناك بمطبعتها الخاصة (مطبعة جريدة الحجاز) ، صدر عددها الأول في ٩/ ١٢/ ١٣٣٤ — ٧/ ١٠/ ١٩١٦ كجريدة «سياسية أدبية اقتصادية اجتماعية» «كان حمزة غوث هو المدير المسؤول ... لكن يبدو أن شؤون التحرير كانت منوطة بالصحفي السوري بدر الدين النعساني ... ولولا ذلك الأسلوب المشرق البليغ الذي كان يكتب به محررها بدر الدين النعساني لكانت موادها أقلّ إمتاعاً» .

وقد احتجبت قبل أول يناير ١٩١٩ والمهم تاريخياً بشأنها أنها كانت تمثل سياسة العثمانيين ضد الملك حسين وقد قامت بالمدينة لأن الملك حسين استولى على معظم أجزاء الحجاز وبقيت المدينة بيد العثمانيين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى .

«كانت جريدة الحجاز تطبع منذ صدورها في مطبعة خاصة بها سميت (مطبعة الحجاز) ... عثمان حافظ قال بأن السلطات العثمانية عندما فكرت في إصدار جريدة الحجاز جلبت لها مطبعة الحجاز (من دمشق على الخط الحجازي ... وصلت إلى المدينة مع بدر الدين النعساني ... وقد أعيدت إلى دمشق في عام ١٣٣٥ ... مع بدر الدين النعساني بعد توقف الجريدة عن الصدور) . ولعل مطبعة الحجاز هذه هي التي عناها خليل صابات عندما قال بأنه خلال الحرب العالمية الأولى (صادرت الحكومة التركية مطبعة زحلة الفتاة ونقلتها إلى الحجاز لتدعم بها مطبعتها الرسمية) .

ويبدو أن أهم ما قامت مطبعة الحجاز بإنجازه هو طبع جريدة الحجاز التي جندها الأتراك للدعاية السياسية والحربية . وربما تكون قد طبعت بعض المنشورات الحكومية الأخرى ولكن من غير المتوقع أن تكون قد أسهمت حينئذ في طبع شيء من الكتب

الثقافية ذلك لأن قوات الشريف حسين كانت تحاصر المدينة المنورة طوال فترة الحرب العالمية الأولى .

وبينما يؤكد عثمان حافظ بأن مطبعة الحجاز قد أعيدت إلى بلاد الشام ... يذكر رشدي ملحس بأنه كان موجوداً في المدينة المنورة بقايا مطبعة حكومية تركية عام ١٣٤٧ هـ ولم يسم الكاتب هذه المطبعة ، ولكن حديثه عنها ينطبق على جريدة الحجاز إلى حد ما حيث يقول : (وفي عام ١٣٣٥ هـ أسس فخري باشا قائد حامية المدينة ابان الحرب العامة مطبعة صغيرة ، ولا تزال بقاياها موجودة حتى اليوم)...»

وأصدر في مكة المكرمة عمر شاكر السوري الهارب من حكم الفرنسيين بدمشق ، جريدة « الفلاح » استمراراً لإصداره إياها بدمشق في ٣١ أكتوبر ١٩١٩ وكان يطبعها بالمنطقة المخصوصة «ولم تقصر نفسها على المقالات السياسية بل كانت تنشر مقالات اجتماعية وعلمية وفكاهية» وكانت مقالاتها تكتب «بأسلوب أدبي مؤثر ، فأسلوب تحريرها يشبه أسلوب « القبلة » من حيث الإشراق والوضوح ، ومن حيث تأثره القوي بطرق التعبير الأدبية الجزلة ... لقد كانت جريدة « الفلاح » شبيهة بسائر صحف العهد الهاشمي من حيث تأثرها بظروف الحرب ... ومن حيث غلبة روح الحماسة والاستثارة العاطفية على ما كان ينشر في صفحاتها ...» .

يقول الاستاذ عثمان حافظ ص ٨٥ « الفلاح ... » جريدة عربية جامعة تخدم العرب والعروبة» كما أشار إلى ذلك صاحبها في رأس الجريدة» .

ويقول ص ٨٩ : «وعلى ما علمت فانها كانت تصدر بمطبعة الحكومة التي كانت تصدر جريدة القبلة» .

ويقول ص ٩١ : «... أما المقال الأدبي والتوجيهي فقليل جداً إذ لم يكن في البلاد في ذلك العصر كتاب هواة أو محترفون ... ومعظم ما كان ينشر في الفلاح هو من تحرير صاحبها ...

ولعل الاستعارات الأدبية والمحسنات البديعية والسجعات المتتابعة كانت هي طابع الأدب والصحافة في ذلك العصر.

وافتتاحية ... تصور لنا هذا اللون من أسلوب الجريدة ...

«ماكادت ذكاء تجر ذيولها الذهبية وتحتجب عن أبصار من بهرتهم طول النهار بعينها الحارة حتى برز القمر من كوة الأفق كأنما يتبعها في سيرها ... وكأنها تداعبه أيضاً — وهي إذ هرعت تهيىء له وفود المستقبلين ، وأجواق المنشدين ، من نبات وطير وإنسان» .

وصدرت في جدة جريدة «بريد الحجاز» في ٢٩/ ٤/ ١٣٤٣ — ٢٦/ ١١/ ١٩٢٤ لتكون لسان حال « الحزب الوطني الحجازي» . وقد أنكرت صلتها بالحكومة الهاشمية ... ووعدت بأنها ستنتقدها وستظهر لها مواطن الخلل»... — ولم يكن لها اهتمام بغير السياسة — كانت تطبع بالمطبعة الشرقية بجدة .

«كان محمد صالح نصيف صاحب امتياز «بريد الحجاز» ... وذكرت اسم رئيس تحريرها في «٩ ديسمبر ١٩٢٥ حين أصبح الطيب الساسي — الذي كان محررا سابقاً لتحريرها» .

ولكن الجريدة «احتجبت ... حين تنازل الملك علي عن العرش وغادر جدة في ٦ — ٦ — ١٣٤٤ هـ (١٢/ ١٢/ ١٩٢٥ م) (وكان والده قد تنازل له في ١ ربيع الأول ١٣٤٣) .

ويقول الأستاذ عثمان حافظ ص ٩٧ ، ١٠٣ عن «بريد الحجاز» صدرت في عهد الملك علي بن الحسين الذي تنازل له والده عن العرش في ١ ربيع الأول ١٣٤٣» : «والدارس لصحيفة (بريد الحجاز) يجد أن أسلوبها تحرر من قيود السجع أكثر من زميلاتها التي سبقتها إلى الصدور في العهد الهاشمي وهما (القبلة والفلاح) كما أن موضوعاتها كانت أرفع مستوى ولعل سبب ذلك يعود إلى وجود ناشئة في البلاد اهتمت بالأدب الحديث وقد قامت بالإسهام في تحرير الجريدة إلى جانب رئيس تحريرها» .

بقي أن نعلم شيئاً عن المطبعة الشرقية . ويمكن أن نتذكر بهذه المناسبة مطبعة الإصلاح التي كانت بجدة تطبع جريدة الإصلاح الحجازي في العهد العثماني وقد «ذكر

الشيخ محمد نصيف بأن هذه المطبعة قد بيعت بعد موت مؤسسها راغب مصطفى توكل ، وأن المساهمين تنازلوا عن حقوقهم لورثة توكل عندما تبين لهم أن الشركة مثقلة بالديون . وقد أكد رشدي ملحس بأن ملكية مطبعة الإصلاح قد انتقلت بعد توكل إلى الشيخ محمد علي زينل الذي عهد بإدارتها إلى مدرسة الفلاح بجدة ، وأضاف بأن رمزي أفندي كان في عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) تولي أمرها مقابل أجرة شهرية يدفعها إلى المدرسة . ويذكر عثمان حافظ بأن محمد رمزي أفندي قد اشترى مطبعة الاصلاح فيما بعد وسماها المطبعة الشرقية ...»

وبعد أن يتحدث الدكتور الشامخ عن أول مجلة صدرت في الحجاز وهي «مجلة مدرسة جدول الزراعية» مكة في مطلع رجب ١٣٣٨ (٢١ مارس ١٩٢٠) يقول في خاتمة بحثه عن الصحافة في العهد الهاشمي : «... كان إسهام الكتاب الحجازيين المحليين في الصحف الهاشمية قليلاً إذا ما قورن بما أسهم به زملاؤهم العرب المهاجرون ... أن إنتاج هؤلاء الكتاب والصحفيين المهاجرين قد كان من أهم العوامل التي أثرت في كتاب الحجاز الناشئين . وكانت تلك المقالات البليغة الجزلة التي كتبها فؤاد الخطيب وزملاؤه مصدراً من المصادر التي أوحت لهؤلاء الشباب بالتعلق بالصحافة والأدب ...»

ونعود إلى المطبعة بعد الذي رأينا من أمر المطبعة الشرقية وعلمنا من أمر مطبعة الحكومة (الميرية) لنستمع إلى الدكتور الشامخ يقول وهو يتحدث عن الطباعة في المدينة المنورة : «يظهر أن آثار المطبعة العلمية ومطبعة الحجاز سرعان ما درست ، إذ لم يكن بالمدينة المنورة عام ١٣٤٠ هـ سوى مطبعة (صغيرة تدار باليد) تلك هي مطبعة طيبة الفيحاء التي أسسها في هذه السنة أحمد الفيض آبادي وعبد الحق النقشبندي ...»

وما زالت مطبعة الترقي الماجدية بعهدة صاحبها الشيخ محمد ماجد الكردي (بمكة المكرمة) — يا حبذا لو وقفت على ثبت الكتب التي طبعتها في العهد الهاشمي .

مهما يكن من أمر الصحافة وما يمكن أن يقال في بدايتها أو ضعفها أو اضطرابها ، فالذي لا شك أنها — حتى ما كان منها في العهد العثماني — أيقظت الفكر عموماً والفكر الأدبي خصوصاً ، فإذا أضفت إليها ما كان يرد من صحافة البلاد العربية وما أسهم به

السوريون والمصريون في قيام صحافة الحجاز ... رأيت هذا الذي رأيته في الصحف نفسها من قدرة على الكتابة وانعتاق تدريجي عن «الأسلوب» الجامد اللفظي القائم على التزويق الشكلي والتوجيه إلى متانة التركيب ورصانة البناء العام مع دلالة خاصة على موهبة لدى هذا أو ذاك تشير إلى التحويد في كتابة المقالة الأدبية في أقل تقدير ثم الشعر والرأي النقدي والتفكير بالدراسة ثم الشعور بالشخصية والعمل المخلص الجاد على أن تكون الشبيبة شيئاً وأن تحقق مكانة تذكر في الأدب العربي ... ولا بأس في أن تتأثر بهؤلاء وهؤلاء من مصريين ومهجرين سعياً إلى الوقوف على الأقدام ضمن جو من الفكر والحرية والوطنية — وقد اقترن ذلك كله بالتعليم الأهلي زيادة على التعليم الديني في مكة والمدينة ، ونشوء مكتبة البيع زيادة على ما كان من مكتبات عامة للمخطوطات ومكتبات يملكها الخاصة فيها المخطوطات والمطبوعات .

إننا يمكن أن نؤلف كتاباً مهماً من مختار المقالة في صحافة العهد العثماني ، ونؤلف أكثر من كتاب من مختارات العهد الهاشمي يظهر فيها التقدم الذي أحرزه مفهوم المقالة ، والتقدم الذي أحرزه أسلوب النثر (والشعر) .

إن الرعيل الأول لأدباء الحجاز تكون في العهد الهاشمي ناثراً أو شاعراً أو «ناقداً» ، لقد كان ناشئة واعية لذاتها تغار على حاضرها ومستقبلها الأدبي (والوطني) مستمدة عوامل النهضة من الماضي وما يصل إليها من أخبار الحاضر وأفكاره .

وكان من ذلك ما ضمنته الكتب الثلاثة الآتية :

١ — **أدب الحجاز** أو صفحة فكرية من أدب الناشئة الحجازية شعراً ونثراً جمعه ورتبه محمد سرور الصبان (ينظر) وقد أعده خلال العهد الهاشمي وكان آنذاك صاحب «المكتبة الحجازية» صدر بالقاهرة ، المطبعة الأدبية ١٣٤٤ .

٢ — **وحي الصحراء** صفحة من الأدب العصري في الحجاز جمعه محمد سعيد عبد المقصود وعبدالله عمر بلخير (ينظران) ، صدر في القاهرة ١٩٥٥ .

٣ — **نفثات من أقلام الشباب الحجازي** (مختارات شعرية ونثرية) عملها هاشم يوسف الزواوي وعلي حسن فدعق وعبد السلام طاهر الساسي (ينظرون) .

القاهرة ، المكتبة العزيزية ومطبعتها . تاريخ المقدمة ٤/ ٢/ ١٣٥٥ .

وواضح إن هذه الكتب طبعت في مصر بعد العهد الهاشمي .

وقد يكون الذي طبع من الكتب في العهد الهاشمي قليل العدد إلّا أننا نبقى — على أي حال — نحتاج إلى قائمة مدروسة تشبه — في الأقل — ما رأينا فيما طبع أواخر العهد العثماني فلا بد من أن تكون المطبعة الميرية (الهاشمية) قد طبعت كتباً نذكر منها هنا : كتاب خليفة النبهان (ينظر) لمعرفة الأوقات الشرعية ، في علم الميقات بالدرج وبالحساب ، يليها جدول الجيب والظل المنكوس الستيني والظل المبسوط الاثني عشر والسهم ، ونبذة في معرفة رسم البسائط ، ورسالة صغرى في معرفة الميقات من النسبة الستينية ، وجدول أول النسبة بالتمام ومختصر الوسائط في رسم البسائط .

مكة المكرمة ، المطبعة الأميرية ١٣٣٨ هـ على نفقة الحكومة الهاشمية .

ولا بد من أن تكون المطبعة الماجدية قد واصلت ضروباً من نشاطها . ويمكن أن يعزى إلى هذا العهد رسالة في المناسك لعبدالله بن حميد (مفتي الحنابلة بمكة . ولد سنة ١٢٩٠ في عنيزة) ، وقدم مع والده إلى مكة ... توفي سنة ١٣٤٦ — ينظر عمر عبد الجبار) طبعت بالماجدية .

واستمر الطبع — كذلك — في مصر والهند ...

* * *

ـ هذا في الحجاز .

أما نجد فقد بقيت بعيدة عن الطباعة والصحافة ، ومنطقيٌ أن يواصل النجديون الموسرون طبع الآثار الدينية على نفقتهم في مصر او الهند .

واننا إذ نقول العهد الهاشمي فإننا نقصد — بالطبع — العهد الهاشمي في الحجاز ، والا فقد رأينا نجدا في حكم الدولة السعودية (الثالثة) التي أسسها عبد العزيز ، ومضى يوطد الحكم ويتوسع فيحتل الأحساء ويتجه الى الحجاز وقدخل مكة في ٧ جمادى الأولى ١٣٤٣ هـ ويستولي على المدينة وجدة في جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ .

جبل قطن

«قِطَن»

تنطق به العامة بكسر القاف وفتح الطاء ثم نون ، أما في القديم فإن قافه مفتوحة .

جبل أحمر شديد الحمرة حتى أن بعض الأعراب يسمونه الجبل الجديد لأنه يبدو للناظر أحمر كأنما خرج من معمل أو تشبيهاً بالثوب الجديد الأحمر .

يقع (قطن) في غرب القصيم على بعد حوالي ١٧٠ كيلاً من مدينة بريدة يراه المسافر من القصيم الى المدينة المنورة على يمينه قبل أن يصل الى «عقلة الصقور» وكان مشهوراً في القديم حتى قال فيه الجاحظ : إنه جبل معروف(١) .

وكذلك قال ابن دُرَيْد مِنْ بعده(٢) .

انتهى العهد الهاشمي بتنازل علي بن الحسين عن العرش في ٦ جمادي الثانية ١٣٤٤ هـ/ ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٥ وصار عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود سلطان نجد والحجاز وملحقاتها ... ثم ملك المملكة العربية السعودية .

وقد طبعت على نفقة الملك كتب مهمة كثيرة ولا سيما في مطبعة المنار بمصر .

كما أن الصحافة تقدمت وتنوعت وتعددت إلا أنها بقيت لمدة غير قصيرة محصورة في الحجاز ؛ تقرب هذه المدة من ثلاثين عاماً .

كلية الآداب — جامعة بغداد

علي جواد الطاهر

---

(١) الحيوان ج٦ ص ٢٨٣ .
(٢) الاشتقاق ص ٢٩٣ .

من جبال القصيم

جبل قطن

«قِطَن»

تنطق به العامة بكسر القاف وفتح الطاء ثم نون ، أما في القديم فإن قافه مفتوحة .

جبل أحمر شديد الحمرة حتى أن بعض الأعراب يسمونه الجبل الجديد لأنه يبدو للناظر أحمر كأنما خرج من معمل أو تشبيهاً بالثوب الجديد الأحمر .

يقع (قطن) في غرب القصيم على بعد حوالي ١٧٠ كيلاً من مدينة بريدة يراه المسافر من القصيم الى المدينة المنورة على يمينه قبل أن يصل الى «عقلة الصقور» وكان مشهوراً في القديم حتى قال فيه الجاحظ : إنه جبل معروف[١] .

وكذلك قال ابن دُرَيْد مِنْ بعده[٢] .

انتهى العهد الهاشمي بتنازل علي بن الحسين عن العرش في ٦ جمادي الثانية ١٣٤٤ هـ/ ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٥ وصار عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود سلطان نجد والحجاز وملحقاتها ... ثم ملك المملكة العربية السعودية .

وقد طبعت على نفقة الملك كتب مهمة كثيرة ولا سيا في مطبعة المنار بمصر.

كما أن الصحافة تقدمت وتنوعت وتعددت إلا أنها بقيت لمدة غير قصيرة محصورة في الحجاز ؛ تقرب هذه المدة من ثلاثين عاماً .

كلية الآداب — جامعة بغداد

علي جواد الطاهر

---

(١) الحيوان ج٦ ص ٢٨٣ .

(٢) الاشتقاق ص ٢٩٣ .

وقال أبو حنيفة : قَطَنٌ : جبل في نجد في بلاد بني أسد ، على يمينك إذا فارقت الحجاز ، وأنت صادر من النُّقْره[1] .

اقول : يريد أنه يكون على يمين القاصد الى العراق من الحجاز .

وقال لغدة الأصبهاني : هو جبل لبني عبس ، وأنشد[2] :

أين انتهىٰ يا ٱبن الصُّمَيْعَاء السَّنَنْ ليس لِعَبْسٍ جبلٌ غير قَطَنْ[3]

وقال ابن اسحاق : قطن : ماء من مياه بني أسد بنجد ، بعث اليه رسول الله ﷺ أبا سلمة بن عبد الأسد في سريَّة ، فقتل فيه مسعود بن عروة[4] .

أقول : هذا صحيح لأن في جبل قطن ماءً بل مياها كثيرة ، ويطلق الاسم على الجبل والماء كما سيأتي .

وبقطن كان يومٌ من أيام العرب[5] .

وهو أحد أيام العرب في الجاهلية من الأيام التي نتجت عن حرب داحس والغَبْراء وقد بسط الميداني رحمه الله القول فيه[6] .

وقبل الميداني لخص ابن عبد ربه حديث يوم قطن بقوله : (يوم قطن) وقفت بنوعبس (بقطن) وأقبل حصين بن ضمضم فلقي تَيحان أحد بني مخزوم ابن مالك فقتله بأبيه ضمضم ، وكان عنترة بن شدَّاد قتله بذي المريقب[7] فأشارت بنوعبس وحلفاؤهم بنوعبدالله بن غطفان ، فقالوا : لا نُصَالحكم ما بَلَّ البحر صوفة ، وقد غدرتم بنا غير

---

(١) البكري : رسم (قطن) .

(٢) بلاد العرب ص ٤٣ .

(٣) الصميعاء : تصغير صمعاء وهي — في الأصل — العنز الصغيرة الأذن . والسنن : الطريق .

(٤) البكري : رسم «قطن» .

(٥) راجع لهذا اليوم الفاخر ص ٢٣٠ .

(٦) مجمع الأمثال ج٢ ص ٦٦ .

(٧) ذو المريقب ذكر أنه في الشُّربة وسيأتي كما تحديدها في رسم (وادي الجرير) وأنها ما كان بين خط الجريب وخط الرمة حتى يلتقيا .

مرة ، وتناهض القوم عبس وذبيان ، فالتقوا (بقطن) فقتل يومئذ عمرو بن الأسلع عيينةَ ، ثم سفرت السفراء بينهم ، وأتى خارجة بن سنان أبا تيّحان بأبنه فدفعه اليه ، فقال : في هذا وفاء من ابنك ! فأخذه فكان عنده أياما ، ثم حمل خارجة لأبي تيحان مائة بعير قادها اليه ، واصطلحوا وتعاقدوا ، قال أبوعبيدة : فاصطلح الحيان الا بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فإنهم أبوا ذلك وقالوا : لا نرضى حتى يودوا[1] قتلانا ، أو يهدر دم من قتلها ، فخرجوا من (قطن)[2] .

وقال أبو اسحاق الحربي وهو يتكلم على طريق الحاج البصري الى المدينة المنورة : ثم يسيرون الى الفَوّارة ، فيصبحون بها ، وبها عيون ونخل كثير ، كانت لعيسى بن جعفر ، ثم يخرجون ، فإذا جاوزوها ستة أميال عرض لهم (قطن) عن أيمانهم ، فإذا جاوزوه اتسعت لهم الأرض ، وتنحّت الجبال ، في ذلك الموضع مضلّة ، فمن لم يضل قصد الى بطن الرمة فنزلوه ، وفيه غدير الدهر لا يكاد يعدمه ماء ، وليس به أنيس[3] .

أقول : حدثني بعض أهل الفَوّارة أن أعلام طريق الحاج لا تزال موجودة في الجهة الجنوبية من قطن في السهل بعد الجبل مباشرة .

وذكره الموسوي في رحلته مع الحجاج من المدينة الى العراق قال : فأتينا بعد ثلاثة أيام على وادي الرمة ، وبتنا ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد يومين على أرض (قطن) وهي أرض بها الأنس قطن ، فأقمنا بها يوماً وليلة ، ونحن في عيشة مرضية[4] .

وقال الهجري : وهو يتكلم على أسماء الجبال التي تسامى «شُعَبَى»[5] : قطن العُشيرة : جبل أحمر عن يمينه الظهران ، جبل أحمر[6]

ونقل ياقوت عن أبي عبيدالله السكوني قوله : قَطن : جبل مستدير ، ململم ، يجري

---

(١) يودوا : يعطوا الدية .
(٢) العقد الفريد ج٦ ص ٢١ .
(٣) المناسك ص ٦٠٧ .
(٤) نزهة الجليس ج١ ص ٩١ .
(٥) راجع رسم «شعبى» .
(٦) أبو علي الهجري ص ٣٣٠ .

من رأسه عيون لبني عبس من[1] الحاجر والمعدن ، وبه ماء يقال له السليع[2] .

وقال نصر : قطن آخره نون : جبل في ديار عبس بن بغيض عن يمين النباج والمدينة بين أثال وبطن الرمة[3] .

أقول : لعل أصل العبارة عن يمين طريق النباج الى المدينة .

كما ذكر في أحداث حروب الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه : ذكر الهمداني في خبر طليحة الأسدي أنه اجتمعت معه بنو أسد فبعث اليه أبو بكر فحاربته طيء مع مكنِف بن زيد الخيل ، وبنو عبس ، وكان معه الحطيئة فكتب مكنف الى أبي بكر فوجّه اليه خالد بن الوليد في عُصْبَة من الأنصار فاكتنفوا طليحة ، فقتلوا أكثر من معه وهرب نحو الشام ، وكان لهم لقاء بالغَمْر وهو ماء لبني أسد وماء يقال له «قطن»[4] .

أقول : يشير الى الماء بل المياه الموجودة في قطن لأن الماء والجبل كان كل منهما يسمى قَطَناً كما أن العامة في الوقت الحاضر اذا سُئلوا في قرية «عقلة الصقور» القريبة من (قطن) من أين يشربون ؟ أجابوا : إننا نشرب من (قطن) وقد تقدم إيضاح ذلك .

وورد ذكر (قطن) في كُتُب المغازي والسِّيَر بل قال ياقوت : إنَّ ذكره في المغازي

نقل ياقوت عن الواقدي قوله : غزوة «قطن» قُتل بها مسعود بن عروة ، وأمير جيش رسول الله ﷺ أبو سلمة بن عبد الأسد .

وقال ابن حَبيب : وفي سنة ثلاث بعث صلى الله عليه أبا سلمة بن عبد الأسد المخزوميَّ الى (قطن) فاستشْهِد فيها عروةُ بن مسعود الفزاري[5] .

أما المَسْعُوديُّ فقد قال في حوادث سنة أربع من الهجرة :

---

(١) كذا فيه ، ولعل الصحة من وراء الحاجر — وذلك لمن يأتي من الحجاز إلى العراق .

(٢) المشترك وضعا ص ٣٥٣ .

(٣) الأمكنة ق ١٢٤ .

(٤) شرح الدامغة ق ١١٤/أ .

(٥) التنبيه والإشراف ص ٢٤٥ .

ثم سَرِيَّة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي في المحرم الى (قطن) وهو جبل بناحية فيد من آخر بلاد نجد[1] .

أقول : القول بأن (قطنا) في ناحية فيد ، ليس بصوابٍ لأنه بعيد جداً عن فيد[2] ولعل الصواب بناحية نجد .

ولعل رواية الإمام محمد بن سعد في خبر سرية ابي سلمة بن عبد الأسد أتم وأوضح وهذا نصها :

ثم سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي الى (قطن) وهو جبل بناحية فيد[3] به ماء لبني أسد بن خزيمة في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن طليحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومَنْ اطاعهما يدعوانهم الى حرب رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ أبا سلمة وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار ، وقال : سر حتى تنزل أرض بني أسد فأغِرْ عليهم قبل أن تلاقي عليك جموعهم ، فخرج فأغَذَّ السير ، وَنكَّب عن سَنَن الطريق ، وسبق الأخبار وانتهى الى أدنى (قطن) فأغار على سرح لهم فضموه ، وأخذوا رِعَاء لهم مماليك ثلاثة ، وأفلت سائرهم ، فجاؤوا جَمْعَهُمْ فحذَّروهم ، فتفرقوا في كل ناحية ففرَّق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق في طلبِ النَّعَم والشَّاء فآبوا اليه سالمين قد اصابوا إبلاً وشاءً ولم يلقوا أحداً ، فانحدر[4] أبوسلمة بذلك كله الى المدينة[5] .

كما ذُكر قَطَن في الحديث عن طريق حاج الكوفة وان لم يكن على القصد للطريق

---

(١) المحبر ص ١١٧ .

(٢) انظر الكلام على «فيد» في معجم شمال المملكة ص ١٠٤٧ — ١٠٥٢ .

(٣) ربما كان الراوي لا يعرف مكاناً معروفاً للذين يحدثهم أقرب إليه من فيه معرفة بهذا التعريف .

(٤) الوجه : أن يقال : عاد ، وإذا كان لا بد من ذكر الانحدار أو الصعود فان الصعود إلى المدينة من تلك الجهة هو ، الذي كان مستعملاً في الحديث عن طريق الحاج . ولعل المتحدث قال ذلك ومن هو ذهنه كون المدينة هابطة عن نِد .

(٥) الطبقات الكبرى ج٢ ص ٥٠ .

السلطانية قال أحد الرُّجاز يصف ذلك الطريق بعد أن ذكر أنهم ارتحلوا من «فيد» ثم غمر مرزوق :

وسار لم يلْبَثْ هناك لُبْثَا ... نحثها الرحلة عنها حَثّاً
حتى إذا سار الى (العُنَابَةْ) ... كالسامع المسرع في الإجابة
قالوا: ببطن الرُّمَة النزول ... فَمَنْ اتاها قَطَنُ قليل[1]

والجدير بالذكر أنه يريد ببطن الرمة ما كان فوق عقلة الصقور اليوم إذْ أن ذلك الطريق أي طريق الحاج الكوفي السلطاني بمعنى الرئيسي يدع (قطناً) جنوباً ، وإنما الطريق الذي يمر بالقصيم هو طريق حاج البصرة . وطريق حاج البصرة الى مكة لا يمر بوادي الرُّمةِ بعد القصيم بل يتياسر من القريتين قرب عنيزة الى الرمادة فرامة فإمَّرة فطخفة ، فضرية الخ .

وقال زهير بن أبي سُلْمَىٰ يصف ظعائن كانت قادمة من الشرق الى (قطن) وقد جعلن جَوَّ سلمى عن أيمانهن وماء شرج الذي هو ماء لبني عبس عن شمائلهن[2] .

قد نكَّبَتْ ماء شرج عن شمائلها ... وجوَّ سلمى على أركانها اليُمُن
يَقْطَعْنَ أجواز أميال الفلاة كما ... يَغْشَىٰ النّواتي غمار اللُّجِّ بالسُّفُن[3]
يَخْفَضها الآل طورا، ثم يرفعها
كالدَّوم يَعْمِدْنَ للأشراف أو (قَطَن)[4]

وقال أعرابيّ[5] :

---

(١) المناسك ص ٥٦٤ ولست على يقين من كلمة (قطن) هذه أنها تعني جبل قطن إذْ ربما كانت فطن بالفاء .

(٢) شرح ديوان زهير ص ١١٧ — ١١٩ . وماء شرّج هو الذي أصبح اسمه (شري) بالياء وتقدم ذكره في حرف الشين وأنه في شمال القصيم .

(٣) أجواز الفلاة . أوساطها . والندامى الملّاحون : أي : ملاحو السفن .

(٤) الآل : السراب . والدَّوْمُ : شجر المقل . وقد شبَّه الهوادج بالدَّوم ويعمدن يقصدن . والإشراف : أرض .

(٥) ياقوت : وهي في المنازل والديار مثل ج٢ ص ٣ عدا البيتين الأخيرين . والأبيات كلها في الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ج٢ ص ٢٥٦ محرقة .

سَلِّمْ على (قَطَنٍ) ان كُنْتَ تألَفُه[1] سَلاَمَ مَنْ كان يَهْوَى مرَّة (قطَنا)
أحبَّهُ والذي أرسى قواعده حُبّاً إذا ظهرت آياته بطنا
ياليتنا لا نريم الدهر ساحته وليته حيث سرنا غُرْبة معَنا
ما من غريب وان أبدى تَجَلُّده الا سيذكر بعد الغربة الوطنا

انظر وانت بصير هل ترى (قطنا)
من رأس حوران، مَن آت لنا (قطنا)؟
يا ويحها نظرة ليست براجعة خيراً، ولكنها من » غيره قِمنا

وقال امرؤ القيس في معلقته المشهورة وهو يصف غيثاً :

علا (قطنا) بالشَّيم ايمنُ صوبه وأيسره على الستار فيذبل

وقد قدمنا في رسم «ضاري» توجيه أبيات امرىء القيس التي منها هذا البيت وأوضحت فيما لا يدع مجالاً للشك ان المراد به هو «قطن» هذا ليس غيره والله أعلم.

وقال عباد بن عوف المالكي ثم الأسدي :[2]

لِمَنْ ديار عَفَتْ بالجزع من رِمَمٍ الى قصائرة، فالجَفْر فالهِدَم[3]
الى المجيمر والوادي[4] الى قَطَنٍ كما يخطُّ بياض الرَّقِّ بالقَلَمِ

وقال كثير عزة من أبيات[5] :

مُوَلِّيَةً أيسارها قَطَن الحمى تَواعِدْنَ شِرْباً من حمامة مُعْظَما

وسماه قطن الحمى لأنه في الحدود الشرقية الشمالية لحمى ضرية أما حمامة التي ذكرها

---

(١) في الزهرة (لاقيه) بدل «تألفه» وهو أوجه.
(٢) ياقوت رسم (المجيمر).
(٣) راجع رسم «الهدام» في «شمال المملكة» ص ١٣٨٤.
(٤) يقصد وادي الرمة العظيم. راجع رسم «وادي الرمة والمجيمر راجع له رسم «المصيقر».
(٥) ديوانه كثير.

معه فهي ماء ذكر الأقدمون انه من مياه بني أسد .

وقال الشَّمَّاخ بن ضرارٍ يذكر عُقَابا تنتمي الى وكْر منيع في (قطن) قال[1] :

تُطارد سيدَ صاراتٍ، وَيوماً على خِزَّان قارات الجموع[2]

تَلُوذُ ثَعالِبُ الشَّرفَيْن منها كما لاذ الغَرِيمُ من التَّبيعِ[3]

نَماها العِزُّ في (قَطَنٍ) نماها الى فَرْخَيْن في وكْرٍ رفيع

ترى قِطَعاً من الأحناش فيها جماجِمُهُنَّ كالْخَشَل النَّزِيع

وقد فسَّر الجاحظ بعض هذه الأبيات فقال : (قَطَنٌ) : جبل معروف ، والأحناش الحيات ، وأحناش الأرض : الضَّبُّ ، والقُنْفُذ ، واليربوع ، وهي أيضاً حشرات الأرض .. وأراد رؤس الحيَّات بأعيانها لأنَّ أرؤس الحيَّات سخيفة ، قليلة اللحم والعظام . فلذلك شبهها بالخشل النزيع ، والخَشَلُ : المُقْل[4] السخيف اليابس الخفيف[5] .

وقال ياقوت : قَطَنٌ بالتحريك ، وآخره نون : قال ابن السِّكيت : القَطَنُ : ما بين الوَرْكين » ثم قال :

وقطن : جبل لبني أسد في قول امريء القيس :

أصاح ترى بَرْقاً أُريك وَميضه كلمع اليدين في حَبِيٍّ مُكَلَّل

ثم يقول بعد أبيات :

على قطنٍ بالشيم أيمنُ صوبه وايسره على السِّتَار فيذبل

---

(١) الحيوان ج٥ ص ٢٨٢ وديوان الشماخ ص ٢٢٨ — ٢٣٠ . وقد شرحنا هذه البيت في رسم صارة .

(٢) تقدم ذكر «صارة» . ورسم «القور» فلعلها هي «قارات الجموع» .

(٣) الشَّرَفانِ : هما الشرَف والشُّرَيفُ وقد بسط القول فيها الشيخ سعد بن جنيدل في معجم العالية (حرف الشين) والغَرِيم : الذي عليه الدَّيْنُ ، والتبيع : صاحب الدَّيْن .

(٤) المقل : ثمر الدَّوْم .

(٥) الحيوان ج٥ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ .

وقال الأصمعي : وفيما بين الفَوَّارة وهي قرية ذكرت في موضعها — والمغرب جبل يقال له «قطن» به مياه اسماؤها السليع والعاقرة ، والثَّيلة ، والمِمْها وهي لبني عبس كلها . وقال الزمخشري : هو لبني عبس وأنشد :

أين انتهى يـــا ابن صـــمـــيـــعـــاء السَّـنَنْ
لـــيس لـــعـــبس جـــبـــل غير قـــطـن

ثم قال : وقال ابن السِّكِّيت : قَطَنٌ : جبل لبني عبس ، كثير النخل والمياه ، بين الرُّمَة ، وبين أرض بني أسد .

أقول : هذا الوصف لموقع (قطن) صحيحٌ الصِّحَّة كلَّها فهو يقع بين وادي الرمَةِ الى الجنوب الغربي وبين الأرض التي كانت لبني أسد ومن أشهرها جبل القنان الذي أصبح يسمى الآن «الموشم» كما سيأتي في حرف الميم إن شاء الله ، وهو الى الشمال الشرقي من قطن .

ثم قال ياقوت : وذُكر عنه أي : ابن السِّكِّيت — أنه قال : قطنٌ : جبل في ديار عبس بن بغيض عن يمين النباج والمدينة ، بين أُثال ، وبطن الرمة .

أقول : قوله عن يمين النباج والمدينة ليس صحيحاً كما هو واضح وأعتقد أنه محرف صوابه : في طريق النباج الى المدينة ، أو عن يمين من يسير من النِّباج الى المدينة لأنَّ هذا هو نَصُّ كلام الإمام الحربي رحمه الله : إذ قال : وهو يتكلم على طريق حاج البصرة من النباج (الأسياح حالياً) الى المدينة : ثم عرض لهم «قَطَنٌ» عن أيمانهم .

وقول ابن السِّكِّيت : بين أثال وبطن الرمة ، صحيح فَقَطَنٌ يقع بين بطن الرُّمَةِ أي وادي الرُّمة بالنسبة لمن يكون في الحجاز أو مُتَّجِهاً مع طريق حاج البصرة الى المدينة إذْ وادي الرمة في المنطقة التي فيها «عقلة الصقور» في الوقت الحاضر وبين «أثال» الواقع في شمال القصيم كما تقدم ذكره في حرف الألف .

ثم قال ياقوت : وقال الواقدي : قطن : ماء ويقال : جبل من أرض بني أسد ، بناحية فيد .

أقول : قطن يقع في أرض بني عبس ، ولكنه مجاور لأرض بني أسد ، وليس هو في ناحية فيد وقوله : ماء أو جبل ، الصحيح فيه أنه جبل فيه ماء بل مياه ولا يزال أهالي بعض القرى المجاورة له يشربون من ماء قطن تحمله اليهم وزارة الزراعة في سيارات نقل المياه وهو ماء عَذْبٌ نمير.

وقد أنشئت عام ١٣٤٧ هـ في (قطن) هجرة سميت بآسمه (قطن) أول من أحدث فيها عمارة رجل يقال له شديد الدِّيري من مزينة من بني سالم من قبيلة حرب ، وهي في الهضاب الطِّوال من (قطن) أي في الهِضَاب الرئيسية فيه الى الشمال الغربي من بكرة قطن وأميرها في الوقت الحاضر نايف بن عبيد الديري .

وكان قطن قبل ذلك مأوى للذئاب غير مسكون من الأناسي إلاَّ من يردون الماء فيه ، وكانت فيه الوعول الكثيرة فكان أناس من أهل الفَوَّارة معروفين بِتَطَلُّبها وصيدها ومنهم رجل يقال له رشَيْد الأشقر من ذوي سَعد من مزينة من حرب وهو شاعر عامي[١] يقال إنه كان يذهب الى (قطن) للصَّيْد وانه قد بلغ عدد الذئاب التي قتلها في قطن أكثر من مائة ذئب وذلك احتساباً للأجر حتى يريح الناس من شرِّها .

ولشهرة (قطن) وكونه أصبح معروفاً كان البلدانيُّون يُعَرِّفُون بعض المواضع الواقعة في منطقة (قطن) بقربها أو بعدها منه أو نسبتها اليه .

قال ياقوت : الثَّيِّلة : بالفتح ثم التشديد : اسم ماء بقطن[١] وقال أيضاً : السُّلَيّع : تصغير سلْع : ماء بقطن .

وقال ياقوت : صُحَير : بشمالي جبل قطن[٣] .

وقال الأصمعي : خَوّ : وادٍ قرب (قطن) يَصُبُّ في ذي العشيرة[٤] : وادٍ به نخل

---

(١) سنورد أبياتاً له في رسم «المضيح» في حرف الميم بذكر البارود الذي جلبه لبندقيته .

(٢) رسم «الثَّيِّلة» .

(٣) ياقوت : رسم «صحير» .

(٤) راجع رسم «المباري» من هذا المعجم (حرف الميم) .

ومياه لبني عبدالله بن غطفَان ، وهو يصب في الرُمَة ، مستقبل الجنوب ، وفوق ذي العشيرة مُبْهل[١]

ونظراً الى أن (قطنا) جبل أحمر ، جميل المنظر جعله الأعراب المحدثون معشوقاً لهضبة طَمِيَّة الحمراء التي تُجاوره من جهة الغرب يفصل بينهما حوالي ستين كيلاً ، وهي تقع فوقه مناوحة له يراهما معاً مَنْ يكون في (عقلة الصقور) وهما ظاهران له متناوحان .

يقول الأعراب : إن طمية كانت قد تزوجت (عكاش) الجبل الأسود الذي يقيم بجانبها غير أن لونه الأسود لم يعجبها فكانت ترى (قَطَنًا) أحمر اللون ، مشرق الطلعة ، لا سيما إذا رأته ينعكس البرق على صفحة وجهه فهجرت زوجها (عكاشا) المسكين ، ونادَتْ بقلبها (قَطَنًا) فاستجاب لندائها العاطفي ، وتناول (الرُّحَيْل) وهو جبيل صغير بقربه[٢] ووضعه على البكرة وهي إحدى هضابه أي : هضاب (قطن) سميت بهذا الاسم بعد هذه الحادثة — كما يزعمون — وسار اليها فقضى كل منهما من صاحبه وطرا ، إلاّ أن الخرافة لم تذكر أن هذا الحب أثمر أولاداً . وانما كانت ذكرت ان زواج طمية بعكاش كان قد أثمر ولدين صغيرين هما اللذان يسميان (ديمات) بالجمع بمعنى ديمين بالتثنية أو ديم بالإفراد[٣] .

أما عكاش زوج طمية فإنه وهو ينظر الى حليلته تتبادل العبارات التي يستحيا منها مع غريم له أكثر شباباً ، وانظر جلدا فإنه كاد يتقطع من الغيظ ، وقد ازداد وجهه الأسود لهذا السبب سواداً على سواد .

هذه هي الخرافة أو هذه إشارة اليها . ولها أصل قديم فيما يتعلق بطمية وعشقها عند الاعراب المتقدمين فقد ذكروا أن عكاشاً تزوجها ، وكما قال شاعرهم :

تـزوَّج عَـكَّاشٌ طـمـيـة بعدما   تـأَيَّـم عَـكَّـاشٌ وكـاد يشيب

---

(١) ياقوت : رسم «العشيرة» و«مبهل» سيأتي ذكره في رسم «المحلاني» وذو العشيرة : هو «المباري» وكلاهما في حرف الميم .

(٢) سبق رسم (الرحيل) في حرف الراء .

(٣) سبق رسم (ديم) في حرف الدال .

وسبق بيان ذلك في رسم عكاش .

واما عشقها لقطن فإنني لم أر من ذكره عن المتقدمين من الأعراب ولعله من الأشياء التي لم يسجلها العلماء . ولكن المحدثين من الأعراب سجلوها في أشعارهم واسمارهم حتى اتخذ بعضهم من ذلك لغزاً في شعر له عامي قال وهو يحاور شاعراً آخر وهما جميعاً من قبيلة عتيبة :

أَنْشِـــدْك عن بِـــنْت مْـــهـــاويها خْـــدُورْ
وْهَـــيـــهْ سْـنُود وجـــات مـــنـــحـــيـــة تـــبـــاه
لـــبست الـــبـــخـــنق ولا لـــبست خصـور
وراعـي الهوى مـــا يـــنـــعـــدل لـــه عن هـــواه

فهو يقول لصاحبه : أنشدك ، أي : أسألك وهي بمعنى حاجيتك عن بنت يريد بها طمية مهاويها حدور أي : قد تبادلت الهوى مع آخر منحدر عنها في الموقع ، والانحدار في تلك المنطقة الى جهة الشرق ويريد به جبل (قطن) .

وهيه سنود ، أي : وهي في السند أي المكان المرتفع بالنسبة اليه وجات منحية : أي : جاءت منتحية عامدة (تباه) أي : تبيه بمعنى تبغيه وتريده .

هذا وقد أخذت زينتها للقاء من تبادلت الهوى معه فلبست البخنق وهو غطاء الرأس ولكنها لم تلبس خصوراً ، وهي أساور من الخرز كانت النساء تلبسنها في القديم .

والسبب في كل ما فعلته أن راعي الهوى أي : صاحب الهوى والغرام لا يعدله عن هواه شيء .

فأجابه زميله الآخر الذي وَجَّهَ هذا اللغز اليه بقوله :

هـــذي طِـــمـــيّـــة عن مـــكـــانَـــهْ مـــا تـــغـــور
في ســـــدٍّ ضـــلـــعـــان تمّر بـــه من وراه
مـــغـــيـــبـــنـــه في حـــفـــيـــظـــات الصـــدور
واللي يـــردّ الـــقـــاف نـــلـــعـــب لـــه علاه

فذكر أنه قد عرف اللغز وان المراد بالبنت التي شعف الهوى قلبها هو (طمية) وان حل هذا اللغز من قصة عشق طمية لقطن كان قد حفظه في صدره عن ظهر قلب .

ثم ذكر أنه مستعد لمن يرد عليه القاف أي القافية من الشعر ولو بلغز ان يلعب له علاه ، أي : عليه ، وذلك بأن يرد عليه الشعر بشعر مثله ، وان ينشد ذلك إنشاداً بصوت منغم شأن من يلعب عند انشاء القصائد .

على أن هناك خرافة للأعراب تقول : ان الدافع لقطن الى ان يذهب الى طمية ليس هو تلبية النداء العاطفي الغرامي لطمية وانما هو بدافع النخوة والحمية ، وبناء على نداء استغاثة تلقاه من (طمية) وذلك عندما ركب (عكاش) بسحنته التي لا تحبها طمية جبلاً أسود في المنطقة نفسها اسمه (الحبلى) اتخذه مطيته لهذا الغرض .

قالوا : فصاحت طمية وقالت : «قطن يا رَجَّالي ، عكَّاش عقر جمالي» .

قالوا : وكانت استجابة قطن لهذه الاستغاثة سريعة اذْ ركب هضبة البكرة وأفتكها من عكاش .

شعر عامـي :

قال الشاعر ابن غازي الشمري :

أَمْسَ الضَّحَىْ عـدّيت راس المنيف ... وأصبحت من رقي الرِّجوم تْعَبان[1]
أخيـل مظهور الحبيِّب يهيف ... بأيسر (قطن) بين الموشم وأبان[2]

وقال الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله :

قَطن : جبل معلوم قريب الفَوَّارة ، وهو جبل أحمر ، وعنده أكمة بيضاء يقال لها

(١) عديت : صعدت . والمنيف : الجبل ، أو المرتفع من الأرض . والرجوم : الآرام . جمع رجم عندهم وهو العلم من الحجارة ينصب فوق الاكام ونحوها ، وتعبان : تعب .

(٢) أخيل : أنظر من خال السحاب ، إذا نظر الى من يقع مطره ، والمظهور : الظعائن أي : النساء في الهوادج والحبيب : بتشديد الياء على لفظ تصغير «الحبيب» ويهيف : يختفي . والموشم هو الجبل الذي كان يدعى قديماً بالقنان وسنذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى وبعضهم يرويها لطلال بن فريج .

الربع الخالي : ماذا كان يسمى قديمًا ؟

رجعت إلى ما استطعت الرجوع إليه من الكتب الجغرافية واللغوية المؤلفة قديماً فلم أرَ لاسم (الربع الخالي) ذكراً .
فهل من الممكن إيضاح الاسم القديم لهذه الصحراء الواسعة الواقعة في الجنوب الشرقي من بلادنا . ومتى أطلق عليها ذلك الاسم ؟؟

وادي الدواسر — فهد بن عشبان

«العرب» : يظهر من استقراء المؤلفات القديمة أن اطلاق اسم الربع الخالي على تلك الصحراء كان في العصور المتأخرة ، إذ تلك المؤلفات ، ومنها ما أُلف في القرن السابع الهجري تطلق على تلك الجهة اسم صَيْهد ، واسم (وبار) وتورد عن الاسم الأخير أخباراً خرافية ، نقل ياقوت في «معجم البلدان» طرفاً منها وتَبَرَّأَ من عُهْدتها .

وكلمة (الربع الخالي) من مصطلحات ربابنة سُفن الخليج العربي وخليج عُمان ، يقصدون بها الجهة الفرعية الواقعة بين جهتين أصليتين كجهة الجنوب والغَرب ، فإذا

«خيمة قطن» لبياضها ، وهو في بلاد غطفان ، يقع شماليَّ وادي الرمة وغربي أبان الأسود وهو لبني عبس في الجاهلية قال الشاعر :

أين انتهى يا ابن الصميعاء السَّنَنْ
ليس لعبس جَبَلٌ غير قطن[1]

أقول : قطن كان في صدر الإسلام لعبس كما قال فهو إذاً ليس في بلاد غطفان إلاَّ إذا أراد بذلك كون عبس من غطفان هو لهم فذلك له وجه صحيح .

الرياض — محمد العبودي

---

(١) صحيح الأخبار ج١ ص ٢٢ . .

الربع الخالي : ماذا كان يسمى قديمًا ؟

رجعت إلى ما استطعت الرجوع إليه من الكتب الجغرافية واللغوية المؤلفة قديماً فلم أرَ لاسم (الربع الخالي) ذكراً . فهل من الممكن إيضاح الاسم القديم لهذه الصحراء الواسعة الواقعة في الجنوب الشرقي من بلادنا . ومتى أطلق عليها ذلك الاسم ؟؟

وادي الدواسر — فهد بن عشبان

«**العرب**» : يظهر من استقراء المؤلفات القديمة أن اطلاق اسم الربع الخالي على تلك الصحراء كان في العصور المتأخرة ، إذ تلك المؤلفات ، ومنها ما أُلف في القرن السابع الهجري تطلق على تلك الجهة اسم صَيْهد ، واسم (وبار) وتورد عن الاسم الأخير أخباراً خرافية ، نقل ياقوت في «معجم البلدان» طرفاً منها وتَبَرَّأَ من عُهْدتها .

وكلمة (الربع الخالي) من مصطلحات ربابنة سُفن الخليج العربي وخليج عُمَان ، يقصدون بها الجهة الفرعية الواقعة بين جهتين أصليتين كجهة الجنوب والغَرب ، فإذا

«خيمة قطن» لبياضها ، وهو في بلاد غطفان ، يقع شماليَّ وادي الرمة وغربي أبان الأسود وهو لبني عبس في الجاهلية قال الشاعر :

أين انتهى يا ابن الصميعاء السَّنَنْ
ليس لعبس جَبَلٌ غير قطن (١)

أقول : قطن كان في صدر الإسلام لعبس كما قال فهو إذاً ليس في بلاد غطفان إلاَّ إذا أراد بذلك كون عبس من غطفان هو لهم فذلك له وجه صحيح .

الرياض — محمد العبودي

---

(١) صحيح الأخبار ج١ ص ٢٢ ..

أراد الرُّبَّان من الملاّح الذي يتولّى توجيه السفينة ، وكانت متوجهة للجنوب مثلاً وأراد أن يُحْرِفها قليلاً نحو الغرب قال : (الرُّبع الخالي) أي احرفها إلى الجنوب الغربي — والراء في الربع مضمومة ، لا مفتوحة كما يرى بعض المتحذلقين .

ولعل من المفيد أن نورد ما جاء في كتاب : (المنطقة الشرقية — البحرين قديماً) عن صحراء صَيْهد . ومنه يتضح أن تلك الصحراء تشمل أعظم أجزاء (الربع الخالي) .

صَيْهَد : قال البكري في «معجم ما استعجم» : بفتح أوله وإسكان ثانيه ، بعده هاءٌ مفتوحة ودالٌ مهملة : أرض باليمن ، وهي ناحية منحرفة ما بين بيّحان ، فَمأرب ، فالجوف ، فنَجْران ، فالعقيق[1] ، فالدهناء ، فراجعاً إلى عبْر حَضَرموت .

وجاء في كتاب «المعجم الجغرافي» قسم (المنطقة الشرقية — البحرين قديماً) ما هذا نصه : نورده كاملاً وإن كان فيه تكرار لبعض ما تقدم :

الرُّبع الخالي :

بضم الراء وإسكان الباء الموحدة بعدها عين مهملة ، والخالي بالخاء المعجمة من الخلو — وهذا اسم حديث للجانب الجنوبي من الدهناء ، وما كان يعرف قديماً برمال وبَار ، وقسم من صَحْراء صيْهد ورمل الحُوش والاسم حديث يرى بعضهم أنه مأخوذ من تعبير يستعمله أصحاب البحر فيما بين عُمان وشواطىء الأحساء ، فهم يعبرون بكلمة (الربع الخالي) ويقصدون بها الجهة الفرعية الواقعة بين الجهات الأربع الشمال والجنوب والشرق والغرب ، فالشمال الغربي والشمال الشرقي والجنوب الغربي والجنوب الشرقي يُعبَّر عن كل جهة من هذه الجهات بكلمة (الربع الخالي) وذلك حينما يكونون سائرين في البحر ، عندما يريدون توجيه السفينة إلى ناحية من تلك النواحي .

ونظراً لأن أكثر المرافىء في الخليج تقع في الجنوب الغربي منه بالنسبة لمن في شواطىء الإمارات الغربية ، فقد كثر إطلاق كلمة (الربع الخالي) على تلك الجهة .

---

(١) العقيق هنا هو (عقيق عُقيل) و(عقيق جَرْم) و(عقيق تمره) وهو (وادي الدواسر) الآن .

• هذا ما رأيت أحد الباحثين من المتأخرين ذكره في تعليل هذا الاسم .

وهذا الموضع صحراء عظيمة واقعة بين اليمن وحضرموت وعمان وسواحل الإمارات العربية وبين يبرين وبلاد نجران ، وهي داخلة في حدود المملكة .

والعمران في هذه الصحراء لا أثر له ، وقد عُثِر على آبار للنفط في الربع الخالي . ولا يزال كثير منها تحت التجربة . وليس من المستبعد أن تصبح هذه الصحراء العظيمة القاحلة في يوم من الأيام مزدهرة العمران ، متى ثبت وجود النفط فيها بمقدار مُرْبح .

ولقد كانت هذه الصحراء قديماً وإلى عهد غير بعيد من الأماكن التي يألفها أبناء البادية لجودة مراعيها ، وكانت مَرَبًّا لبقر الوحش وللنعام وللظباء ، أمَّا الآن فقد انقرضت منها .

والمناهل في الربع الخالي قليلة ، والرمال التي تسفوها الرياح بقوة من أعظم عوائق اجتياز هذه الصحراء ، التي يفخر غربيان باجتيازها[1] دون غيرهما باستثناء البدو الذين يعيشون في أماكن تتصل بها ، ويتوغلون فيها بعض الأوقات .

وقبيلة آل مُرَّة[2] تتجول في الربع الخالي فيما بين خطي الطول ٤٨° و٥٣° للرعي وورود المناهل في الدكاكة ، حيث حفروا بعض الآبار ، وبعثوا بعضها ومن آبارهم :

١ — بئر سالم
٢ — معمورة
٣ — بئر الأذاني
٤ — بئر هادي
٥ — الحارَّة
٦ — الخشبي .
٧ — بئر صبغة
٨ — بئر طريوة .
٩ — بئر شنة .
١٠ — بئر زويرة
١١ — القغدة .
١٢ — أبو وريقة
١٣ — بئر مبارك .
١٤ — خور ابن رشدان .

(١) هما برترام توماس وفلبي .
(٢) أنظر مجلة «العرب» س ٤ ص ٦١٧ وما بعدها .

١٥ ــ أبا الحيايا .

ومن آبار الربع الخالي .

١ ــ القعاميَّات ٢ ــ الحوايا
٣ ــ الشويكلة ٤ ــ الأوراك .
٥ ــ كرش البعير .

ومنذ عَهْدٍ قريب استُنْبِطَت في الربع الخالي آبار ارتوازية ، وعُبِّدت بعض الطرق في جوانبه ، عندما ظهر النفط في بعض جهاته .

والواقع أن صحراء الربع الخالي الواسعة تحتاج الى دراسة وافية .

وفي كتاب «دليل الخليج»[1] الربع الخالي : تقع هذه الصحراء الكبرى جنوبي شبه الجزيرة العربية وتتاخم عُمان على طول حدودها الغربية ، ومعظم قبائل البدو في عمان يرعون إبلهم في أطرافها وعددهم قليل لأنه لا يوجد بها سوى الماء الذي يبقى في المنخفضات بعد هطول الأمطار ، وبعض الينابيع الملحية التي تظهر هنا وهناك . ويقال : إن التربة من الجهة المجاورة لعمان ملحية ويوجد في معظم أجزاء هذه الصحراء المها والحمار الوحشي وأنواع من الغزلان .

والرسُّ المذكور في التنزيل بناحية صَيْهَد ، قال الهمدانيُّ : ذهب في صَيْهَد بعهدنا قِطَارٌ فيه سبعون مَحْمَلاً من حاج الحضارم[2] ، صادرين من نجران ، كانت في أعقاب الناس ، ولم يكن فيهم دليل ، فساروا الليلة وأصبحوا قد تياسروا على الطريق ، وتمادى بهم الْجَور ، حتَّى انقطعوا في الدهناء فهلكوا . انتهى . وهذا في كتاب «الاكليل» .

وقال الهمداني في «صفة جزيرة العرب»[3] : فلاة اليَمَن وتسمى الغائط : أما فلاة

(١) ص ٢٩١٧ .
(٢) في «معجم ما استعجم» : الخصام خطأ والتصحيح من «الاكليل» ج١ — ١٣١
(٣) : ١٦٦

اليمن وغائطه فإنه صَيْهد ، وهي فلاة تتفرق من الدَّهناء من ناحية اليمامة والفَلَج ، وتشرع عليها جُزُرُ اليمن من مَصَامَةِ بني عامر بناحية تَرج فَتَثْلِيث فيما بين تَثْلِيث ودُثينة[1] وتفرق هذه الفلاة بين جُزر اليَمن من أسافل هذه الأودية وبين حَضْرموت من أربع مراحل وخمس فيما بين نجران وبَيْحان ، وأمَّا ما خلفَ نَجران إلى الشمال فأكثر ، لأنَّ صَيْهَدَ يقبل عن فرقين من الدَّهناء أحدهما من شرقي اليمامة ويبرين ، والثاني : من غربيٍّ اليمامة وما بينهما وبين جبل الحَضَن . انتهى .

وأورد قصيدة لابن الأشعَث الجَنْبيِّ يصف مفازه صَيْهَد وكان سلكها من وادي نجران[2] :

هَلاَّ أرِقْتَ لِبَـارقٍ مُـتَـهـجِّـدِ ... بَـرْقٌ تَـوَلَّـع في حَـبـيٍّ مُـنْجِد
بَـرْقٌ يُـذَكِّـرُكَ الـخَـرِيـدَةَ إنَّـهـا ... علِقت علائِقُها طِوَال المُسْنَدِ
عَلِقَتْ عَلاَئِقُـهَا فَمَا إنْ بُعْدُهَا ... عِنْدِي بِنَاقِصِها إذَا لَمْ أزْدَد
فَلَقَدْ ذكَرْتُكِ ثُمَّ راجَعْتُ الهَوَى ... يَوْمَ السُّرَى ودَعَوْتُ ألاَّ تُبْعدي
وعَشِيَّةٌ قَبْلَ الطَّرِيْق يَمَانياً ... حَلَّ العَرائِسَ صادِراً مِنْ مِذْودِ
جَزأتْ حَوازِيَ في حَيَاتِي أنْ أرىَ ... ما كُنْتُ أُوْعَدُ من مَفَازَة صَيْهدِ
فـإذَا مَـفَـازَةُ صَيْهَدٍ بِتَنُوفَةٍ ... تِيهٍ تَظَلُّ رِيَاحُهَا لا تَهْتَدِي
وتَـظَلُّ كُـدْرٌ مِنْ قَطَاهَا وُلَّهاً ... وَتَرُوْح مِنْ دُوْن المِيَاهِ وتَغْتَدِي
بَلَدٌ تَخَالُ بِهَا الغُرَابَ إذا بَدَا ... مَلِكاً يُسَرْبِلُ في الرِّياطِ ويَرْتَدِي
فَسَألْتُ حِيْنَ تَغَيَّبَتْ أعْلامُنَا ... مِنْ حَضَرَمَوْت أيُّ نَجْم نَقْتَدِي
قَالُوا المَجَرَّةَ أو سُهَيْلاً بَادِياً ... ثم اهْتَدُوا بقُفُولِهِمْ بِالْفَرْقَد
نَتَجَشَّمُ الأهْوال نَبْغي عامِراً ... مُتَحَزِّنِيْنَ عَلَيْهِ إنْ لَمْ يُوجَدِ

---

(١) كذا ولعله (رنية) . وجزر اليمن .

(٢) : ٣٨٣ .

وذكر الهجريّ[1] أن العبر من دار صُدَاء وهو منهل ، وبه يُفَوِّز حاج حضرموت منه الى صَيْهَد ، وهي طرف الأُدَمى إلاّ أنها في هذا الموضع أبعد ، وهي من بين يَبْرِيْنَ الى الفَلَج ، غائِطٌ أَمَقُّ ، بِهِ حَصًا أَحْمَرُ ، يأْكُلُ سمراء الخُفِّ . انتهى .

وقال الأستاذ محمد بن علي الأكوع[2] : وصَيْهَدُ : والعامة تقدم الهاء على الياء وعليه وَهِمْتُ في تعليقنا للجزء الأول من «الاكليل» ١٢١ .

والعامة تتبخت بِنَوءِ صَيْهد وبروقها — قال بعض الأعراب في ذلك : (بارق برق صَيْهد ، قم خيّله يا حيدي ، على تُرَهْ والرِّيدي ، كَسَّر رِقَابَ الصَّيْد) ، فيقال إنه لما قال هذا الكلام ذهبوا عند منبلج الصباح يتبعون مساقط الغيث الذي هطل في تلك الأماكن ، فوجدوا المطر غزيراً بشدة ، والوحوش وحيوانات الصيد صرعى متناثرة هنا وهناك لغزارة الأمطار ودخول السيول الى أوجارها وأماكنها ، ومعنى يا حيدي : الحيد : الجبل الشاهق ، يكنى به عن الملجإ والملاذ الذي هوكالحيد ، والجبل . والرِّيْد وتُرَه : قرى من عنس ، ومن أمثال العرب في فلاة صيهد للإنسان المتوحِّش الذي لا يأنس بأحد : (أنت مثل غراب صيهد) أي ليس بجانبك حيوانات ولا طيور لتوحشك . انتهى .

وأورد ياقوت الاسم في (صَهِيد) ولكنه صححه بقوله : والذي عليه النحويون أنه صَيْهَد على وَزْن فَيْعَل ، وقال في تعريف الموضع : مفازة بَيْنَ مأرب وحضرموت — عن سَيْف في كتاب «الفتوح» .

وذكر الهمداني المعنى اللُّغَوِيَّ للكلمة فقال في شرح قول الرداعي :

تَعْتَسِفُ الْفَدْفَدَ بَعْدَ الْفَدْفَدِ
والصَّيْهَدَ الأَجْرَدَ بَعْدَ الصَّيْهَدِ

الصَّيْهَدُ : القاع المطمئنُّ ، يصهد فيه الْحَرُّ ، ويَصْخَدُ . انتهى . وذكر الهجريّ[1]

---

(١) ٣٣٢ .

(٢) حاشية «صفة الجزيرة» ص ١٥٠ .

الأمثال العامية في نجد

— ١ —

[عُني الأستاذ الجليل المحقق الشيخ محمد العبودي ، بجمع الأمثال المتداولة بين سكان وسط الجزيرة ، جمع دراسة وتقصٍّ ، فجمع نحو ثلاثة آلاف مثل ، ورتَّبها على الحروف ، وشرحها ، وقارنها بأمثالها من أمثال سكان الأقطار العربية الأخرى ، وأرجع كثيراً منها إلى أصولها القديمة ، وصنَّفها في كتاب «الأمثال العامية في نجد» صدر منه ثلاثة أجزاء تحوي ٢١٣٥ مثلاً .

وترى «العرب» في عرض نماذج من هذا المؤلف الطريق امتاعاً للقارىء الكريم ، وإشادة بجهد عالم جليل في سبيل خدمة ثقافتنا العامة] .

صحد الحرُّ من حرّ صخد ، وصخدته وصهدته ، وصَيْهَدُ — الفلاة التي بين نجران وحضرموت من هذا ، لأنها في طرف الدهنا ، وفيها رَمْلٌ ، حارَّة في القيظ . انتهى .

على أن كلمة الصَّيْهَد لا تزال مستعملة ، تجمع على صَيَاهِدَ ، ويقصدون بها الأرض الرَّمْلِيَّةُ التي تنخفض عن حِبَال الرِّمال ، والدِّعَاص وترتفع عن مَقَّار السُّيُول ، ومجاريها ، وهي ما ارتفع من الْجَرَدِ .

أمَّا صَيْهَدُ الموضع الذي تقدم تحديده في كلام العلماء فهو الجانب الغربيُّ مما يعرف الآن باسم الرُّبع الخالي .

وهو — كما وصف الهمداني — امتدادٌ للدهناء إلا أنَّ قوله عن فَرْقِي اليمامة : والثاني من غربيٍّ اليمامة وما بينها وبين جبل الحضن ، غير واضح ، فاليمامة يفصل بينها وبين الدهناء جبل العارض الذي هو امتدادٌ لها والدَّهناء لا تتجاوزه غرباً إلى جهة حضن والرمال الواقعة غرب جبل العارض ، أي بين اليمامة وبين حضن لا تتصل بالدهناء .

وكذلك قوله : أن فلاة صيهد تفرق بين جزر اليمن ، وأسافل أودية تَرْجِ وتَثْلِيْثَ ورَنْيَة . وكأنه يقصد الرمل الواقع غرب وادي الدواسر ، الذي حجز بين هذا الوادي ووادي تَثْلِيْثَ .

الرياض — حمد الجاسر

---

(١) ٣٣٢ .

الأمثال العامية في نجد

— ١ —

[عُني الأستاذ الجليل المحقق الشيخ محمد العبودي ، بجمع الأمثال المتداولة بين سكان وسط الجزيرة ، جمع دراسة وتقصٍّ ، فجمع نحو ثلاثة آلاف مثل ، ورتّبها على الحروف ، وشرحها ، وقارنها بأمثالها من أمثال سكان الأقطار العربية الأخرى ، وأرجع كثيراً منها إلى أصولها القديمة ، وصنّفها في كتاب «الأمثال العامية في نجد» صدر منه ثلاثة أجزاء تحوي ٢١٣٥ مثلاً .

وترى «العرب» في عرض نماذج من هذا المؤلف الطريق امتاعاً للقارىء الكريم ، وإشادة بجهد عالم جليل في سبيل خدمة ثقافتنا العامة] .

صحد الحرُّ من حرّ صخد ، وصخدته وصهدته ، وصَيْهَدُ — الفلاة التي بين نجران وحضرموت من هذا ، لأنها في طرف الدهنا ، وفيها رَمْلٌ ، حارَّة في القيظ . انتهى .

على أن كلمة الصَّيْهَد لا تزال مستعملة ، تجمع على صَيَاهِدَ ، ويقصدون بها الأرض الرَّمْلِيَّةُ التي تنخفض عن حِبَال الرِّمال ، والدِّعَاص وترتفع عن مَقَّار السُّيول ، ومجاريها ، وهي ما ارتفع من الْجَرَدِ .

أمَّا صَيْهَدُ الموضع الذي تقدم تحديده في كلام العلماء فهو الجانب الغربيُّ مما يعرف الآن باسم الرُّبع الخالي .

وهو — كما وصف الهمداني — امتدادٌ للدهناء إلا أنَّ قوله عن فَرْقي اليمامة : والثاني من غربيِّ اليمامة وما بينها وبين جبل الحضن ، غير واضح ، فاليمامة يفصل بينها وبين الدهناء جبل العارض الذي هو امتدادٌ لها والدَّهناء لا تتجاوزه غرباً إلى جهة حضن والرمال الواقعة غرب جبل العارض ، أي بين اليمامة وبين حضن لا تتصل بالدهناء .

وكذلك قوله : أن فلاة صيهد تفرق بين جزر اليمن ، وأسافل أودية تَرْجٍ وتَثْلِيثَ ورَنْيَة . وكأنه يقصد الرمل الواقع غرب وادي الدواسر ، الذي حجز بين هذا الوادي ووادي تَثْلِيثَ .

الرياض — حمد الجاسر

---

(١) ٣٣٢ .

١٤٠٩ — «غَابَتْ، لا غابت لنا بحَبِيب، وَلاَ بَراعِيَات حَلِيب»

الضمير فيه للشَّمْس، وراعيات الحليب: أي: ذوات الحليب، والمراد: النُّوقُ ذَواتُ الحليب، من قولهم: هُوَ راعي كذا، أي: ذو كذا أو المختص كذا.

وهذا المثل من أمثال البادية، يقال عند غروب الشمس، على سبيل الدعاء والرجاء بأن الشمس، عندما تغيب، لا يغيب مع غيابها لهم حَبِيبٌ، أو نياقٌ لهم ذَوَاتُ حَلِيبٍ.

١٤١٠ — «غَارٍ أَظْلَمْ»

يقولون: فلان غار أظلم، إذا كان كَتُوماً لأسرار نفسه، وشؤون ماله. أوكان شخصاً ذا أهمِّيَّة لا يطلع أحداً على خططه للتعامل مع الآخرين. وهذا عكس المثل السابق: «صاع كرعته فرعته» وتقدم في حرف الصاد.

١٤١١ — «غَالي طَلَبْ رخِيص»

أي: هو شخص غالي القَدْرِ عَزِيزٌ، طلب شيئاً رخيصاً والمُراد: فكيف لا يُجاب طلبه؟

يضرب في سرعة إجابة الطلب. وهو موجود في الأمثال العامية المصرية بلفظ: «غالي والطلب رخيص»[١].

١٤١٢ — «الغَالِي ما به رِبْحَين»

المعنى: أنَّ المَتَاع الغالي المُعَدّ للتجارة، ليس فيه رِبْحَان، أَحَدُهما لِمَن يَبِيعُهُ، والآخر لِمَنْ يشتريه منه ليبيعه أيضاً. ويوضحه المثل التالي.

---

(١) أمثال المتكلمين ص ١١٣.

١٤١٣ — «الغالي ماخُوذ زَايْده»

أي : أن المتاع الغالي قد أخذ بائعهُ ما يمكن أن يزيد في قيمته من ربح أو فائدة عن طريق ارتفاع سعره فلا ترجى الزيادة فيه . وهو في المعنى كقول التونسيين : «الغالي ما يتباعش مرتين»[١] وهذا والذي قبله من امثال التجار يضربان في النهي عن المتاجرة في السلعة المرتفعة الثمن .

١٤١٤ — «الغالي نَغَلْ»

النَّغْلُ : الفاسد ، وقد يقولون للرجل القاسي القلب الذي يَنْطوي على الحقد والغِلِّ : «نَغَل» وعلى هذا يكون من باب الكناية . وكلمة «نغل» فصيحة بمعنى فسد ، كما أن استعمال كلمة «نغل» قديم في الفصحى من المجاز : غلام نغل ، وجارية نغلة لزنية ، ونغل عليه ضغن ، وفلان دغل نَغل»[٢] .

١٤١٥ — «الْغَايِبْ حِجَّته معه»

الغايب سهلوا همزتها كعادتهم ، وهذا مثل قديم ذكره الميداني والأبشيهي والعاملي في أمثال المولدين بهذا اللفظ[٣] .

وورد في كلام شيخ الإسلام بن تيمية بلفظ : «الغايب عذره معه»[٤] .
ولا يزال مستعملاً عند العامة في مصر[١] والشام[٢] وتونس[٣] .

١٤١٦ — «غَايِبْ شَيْطَان»

يقولون : فلان غايب شيطان أي : شيطانه الذي يأمره بالشر غائب دائماً .

---

(١) منتخبات الحميري ص ١٩٧ .
(٢) الأساس (نغل) .
(٣) مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٤ والمستطرف ج ١ ص ٢٩ والكشكول ص ١٥٩ .
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ج ٢٨ ص ٤٩ (طبع الرياض) .
(٥) أمثال المتكلمين ص ٤٦ وأمثال تيمور ص ٣٦٧ .
(٦) أمثال العوام ص ٣٣ .
(٧) منتخبات الحميري ص ١٩٧ .

كناية عن كونه محباً للخير، مبغضاً للشر.

قالوا ذلك كما قال المصريون عن حضور الشيطان مع الإنسان، «كل إنسان شيطانه في عبه»[1].

ويقول السودانيون في ضد المثل النجدي: «ابليسه حاض» أي: حاضر[2].

وورد المثل في هذا الشعر العامي النجدي القديم لراشد الخلاوي من قصيدة[3]:

وَنَفْس إذا حَدَّثْتها أريحيَّةٌ شيطانها عند المروَّات غايب
أبو كلمة وان قالها ما تَغَيَّرَتْ كِنَّك على ما قال بالخمس قاضب[4]

١٤١٧ — «الْغَبْشَة بْصَاع والصُّحبة في محلَّها»

الغَبْشه: الفَتْرَةُ من الوقت بين صلاة الفجر إلى الضُّحَى وهي فصيحة اذ في الفصحى أغباش الليل بقاياه[1]. يقولون في أصله إنَّ فلاحاً كان يشغل عنده عامل صديق له وقت الغَبَش لِقاء صاع من الشَّعير فطلب منه الفلاح أن يخفض من الأجرة إن لم يُلْغِها من أجل صحبته له فأجابه العامل بهذه التي ذهبت مثلاً: «الغبشه بصاع والصحبة في محلها» يريد أنه لن يشتغل عنده إلاَّ بالأجرة المذكورة يضرب في عدم التغاضي عن شيء من المال وهو كالمثل القديم: «تعاشروا كالأخوان، وتعاملوا كالأجانب»[2] ويشبهه قول الشاميين: «أحب احبابه وكل شيء بحسابه»[3].

١٤١٨ — «الغبنْ في طاعة الله»

معناه: أنَّ المرء يَغْبن غيره إذا كان أكثر طاعة لله منه، وبالعكس، وهذا كما قالوا:

---

(١) أمثال العوام ص ١٠١.
(٢) الأمثال السودانية ص ٧.
(٣) الشوارد ج ٢ ص ٢٩.
(٤) أبوكلة، ذو كلمة. قاضب: ممسك.
(٥) الأساس (غبش).
(٦) التمثيل والمحاضرة ص ١٩٩.
(٧) الأمثال الاجتماعية والفكاهية ص ٧٩.

«البخيت من طاع الله» وتقدم .

١٤١٩ — «الْغَدَا الْجَيِّد يْعَشِّي»

الغدا : الغداء — بالمد — وهو الطعام الذي يؤكل في الغدة . والمعنى : أنه إذا كان طعام الغداء جيداً في نوعه ومقداره فإنه يكفي آكله عن طعام العشاء فيما لو اضطر الى عدم تناوله .

يضرب للاكثار من الطعام الجيد .

وهو شبيه بمثل عامي أندلسي قديم لفظه «العُشَىَّ الطَّيِّب من بَكْرِي تظهر»(١)

ولعل للمثلين أصلاً مشتركاً .

ويقول السودانيون : «حديث مروي عن أبي جدي ، العشوه العديله تغدى»(٢) .

١٤٢٠ — «غَدَا بَالْحُصَين»

أي : كغداء أبي الحُصَيْن . وأبو الحصين : كنية الثعلب وهي كنية قديمة معروفة للعرب .

قالوا : أصله أن الثعلب والغراب اتفقا على أن يُغَدِّي أحدهما صاحبه ، فجعل الثعلب غداءه عصيدة رقيقة كالمرق وصَبَّه على أرض صخرية ، ثم جعل يلحسه بلسانه أما الغراب فإنه لا يستطيع أن ينال منه شيئاً .

قالوا : ولكن الغراب قابل ذلك بأن جعل غداءه قطعاً صغيرة من التَّمْر ودَسَّها في داخل شجرة شائكة : وأخذ يدخل منقاره بين الأشواك ويلتقطها ، أما الثعلب فإنه لا يستطيع الوصول إليها بسبب الأشواك .

يضرب المثل للطعام الرقيق .

وهو موجود عند العامة في شمال العراق بلفظ : «عزيمة اللقلق والحصيني» ذكره

---

(١) أمثال العوام في الأندلس ص ٧٠ .

(٢) الأمثال السودانية ص ١٩٧ .

الدفاغ وذكر قصته شبيهة بما أوردنا[1] .

ويشبه في المعنى قول أحدهم في قلة الحَظِّ (دور)[2] :

لم أجد لي من رفيق أبداً في حال ضيق
كم أنادي بحريق لي نصيبٌ كدقيق
بين شوك بدّدوه
ثم نادوا بسحفاةٍ يوم ريح يجمعوه
عَظُمَ الأمر عليهم فأعادوا تركوه
من شقاه الله يوماً كيف أنتم تُسعدوه

١٤٢١ — «غَذِّ جُرَيَّك يأكلك»

غذ : أمر من التغذية : والجري : تصغير جرو وهو الصغير من الكلاب . أصله المثل العربي الفصيح «سَمِّن كَلْبَك يأكُلك»[3] وقصَّته : أن رجلاً من طَسم من العرب البائدة كان له كلب ، فكان يَسقيه اللبن ، ويطعمه اللحم ، ويُسَمِّنُهُ ، يرجو أن يصيد به ، أو يحرس غنمه ، فأتاه الكلب ذات يوم وهو جائع فوثب عليه ، فأكله[4] قال طرفة بن العبد[5] :

ككلب طَسْم ، وقد تَرَبَّبهُ يُعِلُّه بالحليب في الغَلَس[6]

(١) أمثال الموصل ص ٢٧٠ .

(٢) نديم الأحباب ورقة ٧٣ .

(٣) أمثال العرب للمفضل بن محمد الضبي ص ٧٤ والحيوان ج ١ ص ١٩١ وص ٢٩٠ والبخلاء ص ١٤٧ وعيون الأخبار ج ٢ ص ٨١ وجمهرة الأمثال ص ١١٩ والعقد الفريد ج ٣ ص ١١٧ وخاص الخاص ص ١٨ وثمار القلوب ص ٣١٤ والمستقصى ج ٢ ص ١٢١ ، ومجمع الأمثال ج ١ ص ٣٤٦ ومحاضرات الراغب ج ٢ ص ٢٩٥ وفصل المقال ص ٣٣٢ وص ٣٨٥ والمحاسن والأضداد ص ٢٦ وأساس الاقتباس ص ١٤٧ والمحاسن والمساويء ص ١٢٦ .

(٤) هذا هو المشهور في أصله ولكن الميداني ذكر قصة طويلة نعتقد أن المثل ورد فيها للاستشهاد به فقط .

(٥) الروض الأنف ج ٢ ص ٦٣ والحيوان ج ١ ص ١٩١ وهما في أمثال العرب ومجمع الأمثال والمستقصى عند ذكر المثل وديوان طرفة ص ١٦٥ (دار الكتاب) .

(٦) تربية ، رباه : من التربية ، ويعله : يعيد سقيه اللبن .

ظَـلَّ عـلـيـه يومـاً يُـفَـرْفِـرُهُ إلاَّ يَلَغْ في الدِّماء يَنْتَهِس[1]

وقال حاجب بن دينار[2] :

وكم مِنْ عدُوٍ قد اعتَنْم عليكُمُ بمالٍ وسلطانٍ إذا أُسلم الحَبْلُ
كذي الكلب لما اسمن الكلب نابَهُ بإحدى الدواهي حين فارقه الهزل

وقال عوف بن الأحوص[3] :

وإنّي وقيساً كالمُسَمِّن كلبَه فـخـدَّشَـهُ أنـيـابُـهُ وأظـافِـرُهُ

وأنشد ابن الأعرابي لبعضهم[4] :

وهُمْ سَمَّنُوا كلباً ليأكل بعضهم ولو ظفروا بالحزم ما سمَّن الكلبُ

كما أنشد أبو زيد[5] :

مَنْ ذا يُسَمِّنُ كلباً سوف يأكله يَعْدُو عليه كعدو الباسل الضاري

يضرب المثل في العامية والفصحى للوضيع الذي تحسن إليه فيسيء اليك .

١٤٢٢ — «الْغَرْب غَرْب حْمَيِّر، والْبُطِنْ بَطْن بْعَيِّر»

الغَرْبُ : الدَّلو الكبيرة التي يُسْتَقَى بها الماء من البئر على الدَّابَّة : فصيحة .
وحميِّر (بتشديد الياء) : تصغير حمار . وبعيِّر : كذلك تصغير بعير .
أي : أنَّ الغربَ غَرْبَ حمار ، والبَطْنَ بطْنُ بعيرٍ . يضرب لِمَنْ يأكل كثيراً ، ويعمل قليلاً .

---

(١) أي : إذا ترك الولوغ في دمه نهش لحمه ، والمراد : أنه يلغ في دمه مرة وينهش لحمه مرة أخرى : يفرفره (بفائين) أي يحرك رأسه عند أكله وفي مجمع الأمثال يقرقره (بقافين) : تحريف .

(٢) المستقصي عند ذكر المثل .

(٣) معجم الشعراء ص ٢٧٨ والتمثيل والمحاضرة ص ٣٥٦ وذكره الضبي والزمخشري والميداني عند ذكر المثل .

(٤) أخبار القضاة ج ٣ ص ١٥٨ والمفوات النادرة ص ١٩ ومحاضرات الراغب ج ١ ص ٢٨٣ وجمهرة الأمثال ص ١١٩ .

(٥) المستقصي ج ٢ ص ١٢١ .

وأصله أنَّ غَرْب البعير يكون كبيراً ، وغرب الحمار صغيراً .

يريدون أنَّ من كان كذلك فإنه يكون كمن يحمل غَرْب حمار ، ويأكل ببطنه كما يأكل البعير.

ويشبهه من الأقوال القديمة في وصف غلام : «يأكل فارها ، ويَعْمل كارها»(١) .

١٤٢٣ — «الغُربة كرْبه»

هو مثل قديم أورده الجاحظ والحريري والثعالبي وابن شمس الخلافة بهذا اللفظ (٢) وذكره الراغب الأصبهاني بلفظ : «الغُرْبَةُ ذِلٌّ وكُرْبَةٌ»(٣) ويروى : «الغربة كربة ، والقلة ذلّة»(٤)

وأصله القديم عند العرب من كلام أكثم بن صيفي : «كاد ذو الغربة ، يكون في كربة»(٥) .

قال الشاعر(٦) :

ما أهنأ الإنسان في عيشه ما بين أهليه وفي منزله
الذّلّ في الغربة ياكربها وكرب مَنْ قوّض عن معقله

وللإمام الشافعي(٧) :

إنَّ الغريب له مخافة سارقٍ وخُضوع مَديُونٍ، وذلَّةُ وامق
واذا تذكر أهله وبلاده ففؤاده كجناح طير خافق

---

(١) مختصر ربيع الأبرار ص ١٨٧ .
(٢) الحنين إلى الأوطان ص ١١ وشرح المقامات ج ٤ ص ٢٥١ واللطائف والظرائف ص ٩٥ والآداب ص ٦٩ .
(٣) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٢٧٣ .
(٤) رسائل الجاحظ ج ٢ ص ٣٩٠ (نشر عبد السلام هارون) .
(٥) المعمرين لأبي حاتم ص ١٥ .
(٦) نفح الطيب ج ٨ ص ١٠٧ .
(٧) الجوهر اللماع ص ٨١ .

وقال آخر[1] :

لا ترغبوا – إخوتي – في غُرْبة أبداً　　إنَّ الغريب ذليل حيثما كانا

١٤٢٤ — «غرَضْ رَوْق»

رَوْق : اسم رجل ، وغَرَضُه : مطلوبه الذي يتمناه . يقولون : أصله أنَّ رجلاً يسمى رَوْقا كان — في عهود الإمارات — وكان يحب امرأة مُحَجَّبَةً ، ويُحِبُّ أن يَرَى منها ما تستره عنه ، ولكنه لا يستطيع أن يبوح بذلك . وذات مرة كانت راكبة على حمار ، في رفقة بينهم روق ذلك الرجل ، فعثر بها الحمار في جحر فسقطت على الأرض ، وانكشف منها بعض ما كانت تستره ، فأخذ مُرافقها يواسيها يُهَوِّنُ عليها ما حدث لها من ضرر السقطة ، فقالت : ذلك لا يهمني إنما الذي يهمني أنَّ رَوْقا قد تأذَّى برؤية ما يكرهه مني ، فقال روق في صوت خفيض : «غرض روق» فذهب قوله مثلاً يضرب للفعل الذي يصادف هوى في نفس المرء .

١٤٢٥ — «غزَالْ ، والشَّر زالْ»

يُقال لمن خَفَّ من مرضه ، أو من هو في دَوْر النَّقاهة منه ، على سبيل التفاؤل والتشجيع . والمراد : أنت كالغزال في العافية ، لأن الغزال كما يقولون : هو أصح الحيوانات ولذلك قالوا في أمثالهم : «أعفى مِن الظبي» وقد ذكرنا أصله القديم عند العرب في حرف الألف .

١٤٢٦ — «غزْو الحكاك»

الحكاك : الحكاكة : وهي عندهم ، ما يلزق بأسفل القِدْرِ من الطعام . وتسمى في الفصحى الكدادة .

يضرب للقوم الذين يذهبون ولا يرجعون .
أصله فيما يقولون أنَّ جماعة من العبيد وكثيراً ما يجعلونهم مضرب المثل في التخفيل ،

---

(١) رسائل الجاحظ ج ٢ ص ٣٩٠ (نشر عبد السلام هارون) .

ذهبوا للغزو كغيرهم ، وأخذوا زادهم شيئاً من الطحين .

فلما جاءوا وجدوا أنهم لم يأخذوا قِدْراً فرأوا بئراً ضيقة فيها قليل من الماء في نظرهم . فنثروا الطحين فيها ليكون عصيدة ثم أنزلوا أحدهم ليحضره لهم فغاص في أسفل الماء وغرق فلما استبطأوه قالوا : لقد غاص ليأكل الحكاكة ، ثم نزلوا معه ، وغرقوا جميعاً في البئر[1] .

١٤٢٧ — «غزو هلَيِّلْ لا يبيتْ ولاَ يقيِّلْ»

المراد بالغزو هنا : الغُزَّى : جمع غاز لا مصدر غزا ، وهو جمع عامي غير فصيح . وهليل بصيغة تصغير هلال .. اسم رجل ويبيت ، ويقيل : أي : يستريح أو ينام في الليل أو في وقت القائلة .

والمعنى : كجماعة الغازين ، لا يستريحون ليلاً ولا نهاراً . وهليل هذا — كما يقولون — شيخ قبيلة من العرب ، كان إذا غزا بجماعته أدلج بهم ، ولم يسترح في أوقات الراحة المعتادة .



يضرب المثل للعمل المتواصل .

وهو كالمثل العربي القديم : «غَزْوٌ كوَلَغ الذئب» قال الميداني : الولغ : شرب السباع بألسنتها ، أي : غَزو متدارك متتابع[2] وقال العباس بن الأحنف في المعنى[3] .

سألونا عن حالنا : كيف أنتم؟   فَقَرَنَّا وَدَاعَهم بالسؤال
ما حللنا حتى ارتحلنا   فما يفرِّق بين النزول والارتحال

١٤٢٨ — «غطوُ جمَيّعه»

الْغَطْوُ : الكلام المُغَطَّى ، والمراد : به المُعَمَّى ، أي : الابهام في الكلام وعدم

---

(١) ذكرت قصة غزو الحكاك في كتابي «مأثورات شعبية» الذي لا يزال مخطوطاً .

(٢) مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣ .

(٣) الغيث المسجم ج ١ ص ١٥٩ .

الإفصاح بالحقيقة . وجميعه : اسم امرأة وهو بصيغة تصغير «جُمْعَة»

أي : كتَعْمية جُمَيْعَة . وهي — فيا قالوا — أمة من البادية غَابَتْ عن أهلها . فلما سألوها من أين جاءت ؟ أجابتْ : جئت من هذا الوادي حيث كنت فيه أزني ، تريد إبعاد التهمة عن نفسها لأنَّ من تفعل مثل ذلك في العادة لا يعقل أن تُقرَّ بمثل هذه السهولة والسرعة فذهبوا إلى الوادي ، فوجدوا أثرها مع الرجل ، ثم لحقوه وتحققوا من ذلك .

يضرب المثل للتعمية المكشوفة .

١٤٢٩ — «غطُّوا شَحَمْكُم نِمرّ»

وبعضهم يقول : «غطوا لحمكم نمر» .

يقولون : أصله أنَّ الهِرّ رأى شحماً أو لحماً مكشوفاً ، فقال لأربابه — مظهراً البراءة . وعدم الرغبة في أكله : غطوا لحمكم فسوف أمُرُّ قريباً منه ، وأخاف أن تلحقني تهمة تناول شيء منه .

يضرب لمن يُظهر الزَّهادة في أمر هو أشد الناس رغبة فيه .

١٤٣٠ — «الْغَلْبْ عِنْد صِديق»

يضرب في عدم الاستقصاء في اقتسام المال ونحوه مع صديق أو قريب .

يريد قائله : إذا غُبنت في القسمة فإن الذي غلبني على السهم الجيد هو صديق لا آسف على ما وصله من خير .

١٤٣١ — «الْغَلَطْ مَرْدُودْ»

أصله مثل مولد لفظه : «الغَلَطُ يُرْجَعُ»(١) وذكر الثعالبي من أمثال التجار في زمنه : «الغلط يُرجع النَّسيئة»(٢) ولا يزال المثل مستعملاً في مصر(٣) والشام

---

(١) مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٤ .
(٢) خاص الخاص ص ٦٤ .
(٣) أمثال تيمور ص ٣٧١ .

والسودان[1] باللفظ النجدي.

١٤٣٢ — «الغَلَطْ يُرْجِعْ لَوْ مِنْ مَصر»

وقد جاؤا بكلمة مصر دليلاً على البعد اذ كانوا يضرون المثل ببعدها كما سبق قولهم: أبعد من مصر، ولم يكونوا يصلون إلى ما بعدها إلى جهة الغرب من أقطار في غالب أمرهم.

وقد نظم الأحدب المثل المُوَلَّد السابق ذكره بقوله[2]:

غَلِطتْ أنّي قد سلوتُ والغلط يُرْجَعُ يا غزال، فاغفر ما فَرَطْ

١٤٣ — «الْغَلِيهْ شَيْنَهْ ولو بْلِعْبَ الْكْعابْ»

الغليبه: أن يُغلب المرء على أمره في لعبة معينة أو يهزم في مباراة.

وشينه: من الشين: ضد الجمال أي: قبيحة والمراد به سيئة والكعاب: جمع كَعْب والمراد به: كَعْبُ الضَّأن أو المعزى وهو العظم.

ومن عادة صبيانهم أنْ يَلْعَبُوا بها. وهي لعبة للعرب قديمة فقد ذكر الزمخشري لعب الصبيان بالكعاب[3].

يضرب في عدم الصبر على الغبن في البيع والشراء وهو موجود عند العامة في العراق بلفظ الغلب غلب لو لعب كعاب»[4].

١٤٣٤ — «الْغَنَم أُمْ لَيْله»

أي: الغنم ذات الليلة الواحدة.

يضرب في عدم صبر الغنم على الجوع المتواصل.

وأصله أنهم يقولون إنَّ الغنم إذا جَاعت ليلةً واحدة بان ذلك فيها بخلاف الإبل التي

---

(١) أمثال العوام ص ٣٣.

(٢) فرائد اللآل ج ٢ ص ٥٢.

(٣) الأساس ج ٢ ص ٢٠٦ (كعب) وانظر تنزيه الشريعة ج ٢ ص ٢٢٣.

(٤) أمثال وأقوال بغدادية ص ١٠.

ما اتّفق لفظه وافترق مسمّاه
من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي
(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

(٦)

حرف التاء

١٣٧ — بَابُ تَارَمَ وَيَارِم[1]

أَمَّا الأَوَّلُ بالتَّاءِ وَقَبْلَ الْمِيمِ رَاءٌ — : صُقْعٌ عَجَمِيٌّ مِن ناحِيَةِ زِنْجَان ، تُجْلَبُ مِنْهُ

(١) هذا الباب لم يرد في كتاب نصر.

لا يبين فيها إلا الجوع المتواصل .

١٤٣٥ — «الْغَنَم تَرَخَّصُها شحومها»

أي : إذا سمنت الغنم بعد أن تَرْعَى الربيع رَخصَتْ قيمتها ، وذلك لأن عددها يكثر فترخص .

١٤٣٦ — «غَيْمةٍ بَادَّه»

بادَّة : شاملة ، كأن معناها في الأصل مُتبدِّدة أي : متفرقة في أنحاء البلاد غير قاصرة على جهة منها وقد سبق استعمالهم الكلمة في قولهم «جربوع بَدّ على غزو» وذكرنا تخريجها هناك .

والمعنى : هي غيمة منتشرة في البلاد ، شاملة لها ، قد بلغ مطرها الجميع . يضرب للخير يعم كثيراً من الناس .

الريــاض　　　　محمد بن ناصر العبودي

(١) أنظر «العرب» س ١٤ ص ٤٧٥ .

ما اتّفق لفظُه وافترق مُسمّاه
من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي
(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

(٦)

حرف التاء

١٣٧ — بابُ تارَمَ ويَارِم [١]

أَمَّا الأَوَّلُ بالتَّاء وقَبْلَ الْمِيمِ رَاءٌ — : صُقْعٌ عَجَميٌّ مِن ناحِيَةِ زِنْجَان ، تُجْلَبُ مِنْهُ

(١) هذا الباب لم يرد في كتاب نصر.

لا يبين فيها إلا الجوع المتواصل.

١٤٣٥ — «الْغَنَم تَرْخِّصُها شحومها»

أي : إذا سمنت الغنم بعد أن تَرْعَى الربيع رَخصَتْ قيمتها ، وذلك لأن عددها يكثر فترخص .

١٤٣٦ — «غَيْمةٍ بَادَّه»

بادَّة : شاملة ، كأن معناها في الأصل مُتبدِّدة أي : متفرقة في أنحاء البلاد غير قاصرة على جهة منها وقد سبق استعمالهم الكلمة في قولهم «جربوع بَدّ على غزو» وذكرنا تخريجها هناك .

والمعنى : هي غيمة منتشرة في البلاد ، شاملة لها ، قد بلغ مطرها الجميع . يصرب للخير يعم كثيراً من الناس .

الريــاض — محمد بن ناصر العبودي

(١) أنظر «العرب» س ١٤ ص ٤٧٥ .

فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى التَّارِمِيُّ الْمُقْرِي ، ذَكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْفَضْلِ الْبَاطِرْقَانِيُّ فِي «طَبَقَاتِ الْقُرَّاءِ»[1] .

وَأَمَّا الثَّانِي : — أَوَّلُهُ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ — : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى إِصْبَهَانَ ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا أَيْضاً قَالَهُ لِي أَبُو مُوسَى الْحَافِظُ[2] .

١٣٨ — بَابُ تَبْرِيزَ وَنَيْرِيزَ[3]

أَمَّا الْأَوَّلُ — بِفَتْحِ التَّاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ثُمَّ رَاءٌ مَكْسُورَةٌ وَآخِرُهُ زَايٌ — : مِنْ أَشْهَرِ بِلَادِ أَذَرْبِيْجَانَ يُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالرِّوَايَةِ . قال أَبُو الْفَضْلِ بْنُ نَاصِرٍ : سَمِعْتُ أَبَا زَكَرِيَّاءَ التَّبْرِيزِيَّ يَقُولُ : تِبْرِيزُ بِكَسْرِ التَّاءِ[4] .

وأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُهُ نُونٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ مُعْجَمَةٌ بِاثْنَيْنِ مِنْ تَحْتِهَا وَالْبَاقِي

---

(١) عَدَّ ياقوت في «معجم البلدان» تارم — بفتح الراء — كورة واسعة في الجبال بين قَزوين وجيّلان ، ذات قرى ونسب إليها المقرىء — كما ذكر الحازمي — وذكر أيضاً : تارم بُلَيدة في آخر حدود فارس من جهة كرمان ، بينها وبين شيراز اثنان وثمانون فرسخاً — وذكر أن أهل شيراز يسكنون الراء (تَارْم) .

(٢) نص كلام ياقوت : يارِمُ — بكسر الراء — من قرى أصبهان ، ينسب إليها أبو موسى الحافظ . ويَارِم في شعر أبي تمّام موضع . انتهى ويظهر أن في كلام ياقوت خطأً أو نقصاً ، إذ أبو موسى هو شيخ الحازمي ، والحازمي لم ينسبه الى القرية ، وهو أعرف به ، وإنما ذكر أنها يُنسب اليها ، ولم يذكر المنسوبين .

وأبو موسى الحافظ هو محمد بن عمر بن أحمد الأصبهاني المدينيُّ (٥٠١ — ٥٨١ هـ) من كبار حفاظ الحديث ومشاهير العلماء ، منسوب الى مدينة إصبهان التي فيها ولد وتوفى .

(٣) هذا الباب في كتاب نَصْرٍ : (باب تَبْرِيز ، ونَيْرِيز ، وتَيْزين ، ويَبْرين) .

(٤) من كلمة : (ينسب اليها) إلى آخر الكلام على تبريز ليس في كتاب نصر ، وياقوت ضبط الاسم — نقلاً عن السمعاني — بكسر التاء ، وأحسن وصفها ومما قال : ولَمْ أرَ — فيما رأيْتُ — أطْيَب من مشمشها المُسَمَّى بالموصول ، وشريته بها في سنة ٦١٠ كل ثمانية أمنان بالبغدادي بنصف حبّة ذَهَب وأطال الوصف وقال : وقد خرج منها جماعة وافرة من أهل العلم ، منهم إمام الأدب أبو زكرياء يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، قرأ على أبي العلاء المَعَرّي بالشام — وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي وتوفي في بغداد سنة ٥٤٠ .

وأبو الفضل بن ناصر هو محمد بن ناصر بن محمد السلامي — نسبة إلى مدينة السلام ، بغداد (٤٦٧/٥٥٠ هـ) مُحَدِّث مشهور .

والتبريزي يحيى بن علي (٤٢١ — ٥٠٢ هـ) من كبار أئمة الأدب واللغة ، له مؤلفات مشهورة .

نَحْوَ الْأَوَّل ـــ : مِنْ أَعْمَالِ شيرَاز ، يُنْسَبُ إِلَيها أَبو نَصْرٍ الْحَسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ النَّيريزيُّ ، حَدَّثَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَن بْنِ العَباس بْنِ مُحَمَّدٍ الخَطِيْب ، وأَبِي الْحَسَن عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بن جَعْفَرٍ ، قال الْأَمِيْرُ أَبو نَصْر : حَدَّثَنا عنهُ خُدَادَاذ النَّشويُّ وَبَيَّنَهُ لي[1] .

١٣٩ ـــ بَابُ تَبَالَة وَنِبَالَة

أَمَّا الْأَوَّلُ ـــ بِفَتْح التَّاء بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ـــ : مَوْضِعٌ عَلَى طَرِيْقِ الْيَمَنِ لِلْخَارِج مِنْ مَكَّة ، كَثِيْرُ الْخِصْبِ ، لَهُ ذِكْرٌ كَثِيْرٌ فِي الْأَخْبَارِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَشْعَارِ ، وَمِنْ أَمْثَالِه : ما نَزَلْتَ تَبَالَةَ لِتَحْرِمَ الْأَضْيَافَ وَقَال لَبِيْدٌ :

فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْغَرِيْبُ كَأَنَّمَا ... هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِبٌ أَهْضَامُهَا[2]

وَأَمَّا الثَّاني ـــ أَوَّلُهُ نُونٌ مَكْسُورَةٌ وَالبَاقي مِثْلُ الْأَوَّل ـــ : قِيْلَ مَوْضِعٌ تِهَامٍ ولاَ

---

(١) في كتاب نَصْرٍ : (وما أوله نون مكسورة ثم ياء تحتها نقطتان وآخره زايٌ أيضاً : من بلد فارس) . وما أورده الحازمي نقله عن الأمير أبي نصر علي بن هبة الله بن ماكولا (٤٧٥ هـ) صاحب كتاب «الإكمال» من كتابه هذا (ج ١ ص ٥٤٤) .
ويظهر أن ياقوتا نقل عن الحازمي وزاد : (بلد من نواحي شيراز له رستاق واسع ، ووقع في اسم (خداداذ) تصحيف فجاء (خدّاد) والاسم فارسي .

(٢) تبالة : وادٍ فيه قرية تدعى تَبَالَة . وقرية الهَضبة ، وهي قرية تبالة القديمة ، والوادي من روافد وادي بيشة ، يجتمع به فيا قريتي الروشن والدَّحو وطريق اليمن المتجه الى نجران وصعدة يجزع الوادي .
وشرح المثل على ما ذكر علماء اللغة إن خصب تبالة نعمة من الله منحها أهل هذا الوادي ليجودوا بها على الناس ، لا ليمنعوهم . وأرى للمثل معنى آخر وهو أن تبالة تقع على مجتمع طرق كثيرة ، ولهذا فعلى من نزلها أن يتحمل ما يجب للضيف من إكرام .
وبيت لبيد بن ربيعة من معلقته المعروفة :
عَفَتِ الدِّيَار مَحَلُّها فمُقَامُها ... بمِنىً تأبَّد غَولها فَرِجامُها
والأهضام : جمع هَضَم المُطمئنُّ من الأرض ، فأهضام تَبالة ما انخفض من أرضها بين جبالها حيث القرى . وأطال ياقوت القول في تبالة ، وفرّق بين تبالة الحجاج ، وتبالة التي في اليمن ، ولا وجه للتفريق (وانظر مجلة «العرب» س ٥ ص ٢١٠ وما بعدها) .

أَعْرِفُ لَهُ صِحَّةً(٢)

١٤٠ — بَابُ تُبَّتَ وَتِنَّبَ وَتَيْبَ

أَمَّا الأَوَّلُ — بِفَتْحِ التَّآءِ بَعْدَهَا بَآءٌ مُوحَّدَةٌ مَضْمُومَةٌ مُشَدَّدَةٌ ، هَكَذَا يَقُوْلُهُ عَوَامُّ النَّاسِ وقال بَعْضُهُمْ : هُوَ بِضَمِّ التَّآءِ وفَتْحِ البآءِ الْمُوَحَّدَةِ — : مَوْضِعٌ من وَرَاءِ النَّهْرِ فِيْ بِلاَدِ التُّرْكِ يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْمِسْكُ الْفَائِقُ والدَّرَقُ الجِيَادُ(١) .

وَأَمَّا الثَّانِيْ — بِكَسْرِ التَّآءِ بَعْدَهَا نُوْنٌ مُشَدَّدَةٌ — : مَوْضِعٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْعَوَاصِمِ ، قُرْبَ قِنَّسْرِيْنَ(٢) .

وأَمَّا الثَّالِثُ بِفَتْحِ التَّآءِ بَعْدَهَا يَآءٌ تَحْتَها نَقْطَتَانِ تُشَدَّدُ وَتُخَفَّفُ : جَبَلٌ قَرِيْبٌ مِنَ الْمَدِيْنَةِ(٣) .

---

(١) لا أرى اسم (نبالة) بالنون الا تصحيف (تبالة) بالتاء المثناة الفوقية وياقوت قلد الحازمي في هذا فقال : نبالة بالكسر واللام — قال الحازمي : موضع يماني أو تهام : وقيل بالنون والكاف . انتهى فهل اطلع على نسخة أخرى من كتاب الحازمي ؟؟

وهناك من عد نبالة من تهامة كالأزهري في «تهذيب اللغة» والواقع أنها ليست من مُسمَّى تهامة ، فهي شرق جبال السراة وتهامة غربها محاذية للبحر .

(٢) أورد ياقوت اسم (تُبَّت) بالضم ثم قال : وكان الزمخشري يقوله بكسر ثانيه ، وبعض يقوله بفتح ثانيه ، ورواه أبو بكر محمد بن موسى — يعني الحازميَّ — بفتح أوله وضم ثانيه مشدد في الروايات كلها — ثم أطال الكلام ومما قال : وفي أهله رقة طبع ، وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاهي وأنواع الرقص ، حتى أن الميِّت ، إذا مات لا يُداخل أهله كثير الحزْن كما يلحق غيرهم — ثم حاول تعليل الاسم بإرجاعه إلى أصل عربي ، وما أراه مصيبا ، وعلّل جودة المِسْك التُّبّي والدَّرق — جمع درقة — وهي قطعة من حديد يتّقي بها الفارس ضربة السيف يحملها بيده .

(٣) تِنَّبُ — في مخطوطتي كتاب الحازمي — تنت ، وأراه تصحيفاً ، وتِنَّبُ — بالكسر وآخره باء موحدة — قال ياقوت : قرية كبيرة من قرى حَلَب ، وذكر بعض من نُسِبَ إليها (وانظر «الأنساب» للسمعاني ، ج ٣ ص ٨٤ تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي .

(٤) تيبُ — الجبل الذي يقرب المدينة يعرف الآن باسم (ثيم) بإبدال الباء ميماً ، ككثير من الأسماء المماثلة له لتقارب مخرجي الباء والميم كالرقم المعروف الآن باسم (الرقب) ويسمى أيضاً تيأب (وانظر كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ص ٥٥٠) وهو واقع في شرق المدينة يشاهد من سد العاقول رأي العين .

١٤١ ـــ بَاب تَبُوك ، وَنُبُوك

أَمَّا الأَوَّلُ ـــ بِفَتْحِ التَّاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مضمُومةٌ مُخَفَّفَةٌ وَآخِرُهُ كَافٌ ـــ : قَرْيَةٌ نَاحِيَةَ الشَّامِ بَيْنَها وَبَيْنَ وَادِي الْقُرى مَرَاحِلُ ، وَإِلَيْهَا انْتَهَى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لَـمَّا أَرَادَ غَزْوَ الرُّومِ ، وَبِئْرُ تَبُوكَ لها قِصَّةٌ تُذْكَرُ في أَعْلاَمِ النُّبُوَّةِ ، وكانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَمَرَ ابْنَ عَرِيْضٍ الْيَهُودِيَّ أَنْ يَطْوِيَ بِئْرَ تَبُوكَ ، لِأَنَّها كَانَتْ تَنْطمُّ كُلَّ وَقْتٍ[١] .

وَأَمَّا الثَّاني ـــ أَوَّلُهُ نُونٌ مَضْمُومَةٌ وَالْبَاقي نَحْوَ الأَوَّلِ ـــ : اسْمُ مَوْضِعٍ بِهَجَر[٢] .

١٤٢ ـــ بَابُ تَرْقُفَ وتُرْقَبَ

أَمَّا الأَوَّلُ ـــ بِفَتْحِ التَّاءِ بَعْدَ الرَّاءِ السَّاكِنَةِ قَافٌ مَضْمُومَةٌ وَآخِرُهُ فَاءٌ ـــ : اسْمُ بَلَدٍ ، قَالَهُ الأَزْهَرِيُّ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي عِيسَى التَّرْقُفِيُّ ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْحَدِيْثِ ، وَكَانَ يُعَدُّ مِنَ الْعُبَّادِ ، وهُوَ كَثِيْرُ الْحَدِيثِ وَاسِعُ الرِّوَايَةِ .

وقِيْل : تَرْقُفُ اسْمُ امْرَأَةٍ[٣] .

(١) تَبوك أصبحت الآن من كُبريات مدن المملكة ، وقد فصلت الحديث عنها في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» وقصة بئر تبوك اوردها المؤرخون كابن كثير في «البداية والنهاية» وغيره ممن تقدمه .

(٢) النُّبوك التي بناحية هجر ، قد تكون جمع نَبْكٍ ، وهو وصف وليس عَلَماً ، على أن ياقوتا قال : النبوك ـــ بالضم والواو ساكنة ـــ جمع النبك ، وهو جمع نَبَكَةٍ ، وهي الروابي من الرِّمال اللَّينة ، وهي أرض جَرعاء بأحساء هَجَر . انتهى . على أن النُّباك ـــ الموضع الذي ذكر البكري في «معجم ما استعجم» أنه في البَحْرين ـــ لا يزال معروفاً ، وقد أصبح هِجرةً من هُجَر قبيلة آل مُرَّة ، يقع جنوب الاحساء بنحو مئتي كيل ولكنه ليس المقصود بكلام الحازميّ ، الذي يفهم من كلام ياقوت قربه من الاحساء (وانظر الاسم في (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

(٣) نقل ياقوت ما هنا ومما زاد عن تَرْقُفَ : (وأظنه من نواحي البندنيجين ، من بلاد العراق) وأرَّخ وفاة العباس بن عبدالله التَّرْقُفيّ بسنة ٢٦٨ أو ٢٦٧ وبَنْدنيجين تعرف الآن باسم (مَنْدَلي) شرق بَعْقُوبا بنحو ٩٣ كيلاً ، بقرب الحدود العراقية الايرانية (أنظر كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» هامش ص ٨٨) .

وَأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُه ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ مَضْمُومَةٌ وَبَعْدَ القَافِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ — : اسْمُ مَوْضِعٍ وَيُقَال فيه : فُرْقُبُ أَوَّلُهُ فَاءٌ فَأَبْدِلَ الثَاءُ قَال الفَرَّاءُ : زُهَيْرٌ الفُرقُبِيُّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ القُرْآنِ مَنْسُوبٌ الى مَوضعٍ قال اللِّحْيَانِيُّ : ثَوْبٌ فُرْقُبِيٌّ وثُرْقُبِيٌّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ[1] .

١٤٣ — بَابُ تِرْيَمَ وَبِرْثُمَ

أَمَّا الأَوَّلُ — بِكَسْرِ التَّاءِ وَسُكُوْنِ الرَّاءِ بَعْدَهَا يَاءٌ مَفْتُوحَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَان — : وَادٍ بِالْحِجَازِ قَرِيبٌ مِنْ يَنْبُعَ ، قال كُثَيِّرٌ :

إِلَيْكَ تَرَامَى بَعْدَمَا قُلْتُ قَدْ بَدَتْ
جِبَالُ الشَّبَا أَوْ نَكَّبَتْ هَضْبَ تِرْيَمِ[2]

(١) لم يذكر ياقوت في «معجم البلدان» اسم (ثرقب) في موضعه من حرف الثاء ، ولكن في حرف الفاء ، وأورد ما هُنا سوى كلام اللّحياني فقد أبدله . بما نصه : (وقال الأزهريُّ : الفُرقبيَّة ثياب بيضٌ من كتّانٍ ، والقُرْقُبيَّة كذلك) .

(٢) تِرْيَمُ — الوادي الذي في الحجاز — لا يزال معروفاً ، وهو بَعيد عن يَنْبُع ، فهو في أقصى الشّمال ، حيث تنحدر فروعه من جبال حِسما نحو الغرب حتى يصب في البحر ، شمال مِيناء المُويلح ، على مقربة من مدخل خليج العقبة ، جنوب حَقْل ، بقرب خط الطول ١٥/ ٣٥° وخط العرض ٥٨/ ٢٧° .

وكرّر كُثيّر ذِكر تِرْيم ، ويُضرب المَثَل بكثرة دَومه وفي كتاب نَصر عن تِرْيَمَ : وادٍ قريب من يَنْبُع ، وقِيْل : دون مَدْيَن ، وأيضاً : موضع أظُنّهُ في بادية البصرة . انتهى .

وكون كُثيّر ذكره مع الشّبا يفهم منه أنّه يقصد موضعاً آخر غير الوادي المعروف ، والذي قِيْل : إنَّهُ دون ينبع . وفي «معجم البلدان» : تِرْيَمُ وادٍ بين المضائق وبين ينبع ، قال ابن السِّكِّيتْ : تِرْيَمُ قريب من مَدْيَن ، وأورد ياقوت شِعراً لكثيّر وللفضل بن العباس اللّهبي اضافا اليه الدَّوم .

أما البكري فأورد في رسمه شواهد من الشعر منها لكثير ، وأحال في تحديده إلى ما ذكر في رسم المُضَيَّح ، وذكر فيه : ثم تنزل تِرْيَمَ وهي لبني جشم ، ثم تنزل السّيَّ ، فقد صَحَّفَ الاسم هنا وصوابُه بُرْيم ولا يزال معروفاً من مياه حَضَنٍ ، وكان لبني جُشَم ، وهو بقرب السّيّ — رُكبة .

أما الشّبا فهو — على ما يفهم من نصوص المتقدمين — : من فروع وادي الصّفراء بقرب الأُثَيْل الذي تقدم ذكره ويجمل القول : تِرْيَمُ وادٍ شمال الحجاز في الأرض المعروفة قديماً باسم مَدْيَن ، وقد يطلق الاسم على مواضعَ أخرى منها : ما هو بين ينبع والصفراء على ما يفهم من كلام ياقوت انه بين المضائق وينبع ، ولعله يقصد المضيق المعروف الآن بنقب عليٍّ ، وهو الثنية التي منها ينزل القادم من ينبع الى وادي الحمراء — من فروع الصّفراء — المعروف قديماً باسم مُبْرِك ، وياقوت لم يذكر المضايق في موضعه مما يوقع الشّكَّ في هذا الاسم والثنية المذكورة تدعى مضيق الصفراء (أنظر «المغانم المطابة» — ٤٤٤) .

وَأَمَّا الثّاني — أوّلُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ، وَرَأَيْتُ في بَعْضِ النُّسَخِ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ مَفْتُوحَةٌ وَبَعْدَ الرّاءِ الساكنة ثاءٌ مُثَلَّثَةٌ مَضْمُومَةٌ . قَالَ الكِنْدِيُّ[1] : وَبَيْنَ أُبْلَى مِنْ قِبَلِ القِبْلَةِ جَبَلٌ يُقَال لَهُ بَرْثُمُ وَجَبَلٌ يُقَالُ لَهُ تَعَارِ ، وهُمَا جبلانِ عاليَان لا يُنْبِتَانِ شيئاً ، فِيهِمَا النَّمْرَانُ كَثِيرَة ، وفِي أَصْلِ بَرْثُمَ مَاءٌ يُقَالُ لهُ ذَنَبَان العيصِ وقال في مَوْضِع آخر : يَرْثُمُ — أوّله ياءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَان : جَبَلٌ شَامِخٌ كَبِيرٌ ، كَثِيرُ النُّمُورِ والأَرْوى ، قَلِيلُ النَّبَاتِ ، إلاّ ما كانَ من ثُمَامٍ وغَضْوَرَ ، وما أشْبَهَهُ .

١٤٤ — بَابُ تُربَةَ وَبرثَة وَبُرَيْهِ

أَمَّا الأَوَّلُ — بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِ الرّاءِ بَعْدَهَا باءٌ مَفْتُوحَةٌ أيْضاً — : وَادٍ يَقْرُبُ مِنْ

---

(١) الكلام الذي نسبه الحازمي للكندي من رسالة عرّام «أسماء جبال تهامة» والكِنْديُّ هو راوي الرسالة عنه . والاختلاف في اسم الجبل القريب من أُبلى هل هو بالباء الموحدة أو بالمثناة التحتية اختلاف قديم يظهر أنه ناشيء عن كون عرّام أملى رسالته ، ثم تداولها الرّواة بطريق الكتابة لا من طريق السماع ، وانظر ما نقل ياقوت في «معجم البلدان» رسم (برثم) و(يرثم) فهو ينطبق على جبل واحد من جبال بني سُلَيم . ومع أن أُبْلى وتَعار لا يزالان معروفين — بقرب المَهْد — معدن بني سُلَيم قديماً إلاّ أن اسم يرثم ليس معروفاً الآن — فيا أعلم .
أمّا ذنبان العيص فكذا ورد في رسالة عرام ، وسمّاه البكري ذنابة العيص فقال — فيا نقل في رسالة عرّام التي وصلت اليه وان لم يُصَرِّح بذلك — في رسم شُواحط — وبأسفل بيضان موضع يقال له العِيْص ، فيه ماء يُقال له ذِنَابَةُ العِيْص . ومما ذكر نَصْرٌ في كتابه في هذا الباب .
١ — بُرَيْم : قال : بضم الباء الموحدة وفتح الراء — : واد بالحجاز قرب مكّة ، ويروي بفتح الباء وكسر الراء في شِعْر ، ولا أدري ما هو ، وقيل : بُرَيْم لعامر بن ربيعة ، وهم شركاء بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن انتهى .
وأُضيف : بُرَيم — بضم الباء — منهل لا يزال معروفاً في وادٍ من أودية حضن الشمالية يطلق عليه الاسم ، وكان من مياه بني جشم ، وهم شركاء عامر بن ربيعة بن عُقَيل بن عامر — على ما في كتاب «بلاد العرب» ص ٧ — وحَضَن خارج عن مُسَمَّى الحجاز إذ (مَنْ رأى حَضَناً فقد أَنْجَدَ) .
وذكر نَصْرٌ أيضاً :
٢ — تَرِيْمُ — بفتح التاء وكسر الراء — قال : بالشام ، وقيل : بلد من حَضْرَمَوْت ، ويروى بالهمزة بدل التاء . انتهى .
والبلد الذي بحضرموت لا يزال معروفاً ، تحدث عنه الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وغيره وهو من مدن حضرموت الشهيرة .

مَكَّةَ عَلَى مَسَافَةِ يَوْمَيْنِ مِنْهَا يَصُبُّ إِلَى بُسْتَانِ ابْنِ عَامِرٍ ، يَسْكُنُهُ بَنُو هِلَالٍ قَالَهُ الْكِنْدِيُّ .

لَهُ ذِكْرٌ فِي أَثَرِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1] .

وَأَمَّا الثَّانِي ـــ أَوَّلُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مفتوحةٌ ثُمَّ رَاءٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ مفتوحَةٌ ـــ : مَوْضِعٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ ، لَهُ ذِكْرٌ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ[2] .

وَأَمَّا الثَّالِثُ ـــ أَوَّلُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَضْمُومَةٌ ثُمَّ رَاءٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ ـــ : نَهْرُ بُرَيْهٍ مِن أَنْهَارِ الْبَصْرَةِ فِي شَرْقِي دِجْلَةَ[3] .

١٤٥ ـــ بَابُ تُرْعَةَ وَبَرَعَةَ

أَمَّا الْأَوَّلُ ـــ بِضَمِّ التَّاءِ بَعْدَهَا رَاءٌ سَاكِنَةٌ ـــ : قَرْيَةٌ بِالشَّامِ ، قِيلَ : يُنْسَبُ إِلَيْهَا

---

(١) وَادي تُرَبة لا يزال معروفاً ، وفيه بلدة بهذا الاسم ، وأعلى هذا الوادي ينحدّر من سراة الحجاز من بلاد زهران وغامد ، ويدعى أعلاه أبِيْدَة (بِيْدَة) أنظر عنه كتاب «في سراة غامدٍ وزهران» ، وأسفله يفيض الى الخرمة ، ثم ينحدر مشرقاً ، فتحجزه رمال عِرْق سُبَيْعٍ المعروف قديماً باسم رملة بني عبدالله بن كلاب .
وهو بعيد من مكة ، ولا صلة له ببستان بن عامر ، وقول الكِنْدي الذي نقله الحازمي ورد في رسالة عَرَّام ، والكِنْدي هو راويها . وأرى الخطأ فيها ناشيء عن سقط في الكلام من أحد النساخ ، وهذا يحدث كثيراً في تحديد الأمكنة والوادي الذي ينحدر إلى البستان هو النَّخلتان ، وهما واديان ـــ كما هو معروف ـــ وهو بستان ابن مَعْمَرٍ ـــ أنظر كتاب «بلاد العرب» ص ٣٧٤ .
وعُمَر بن الخطاب رضي الله عنه أغزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسار إلى بني عامر في تُربة فبلغها .
واسم تُربة يُطْلَقُ على غير هذا الموضع ـــ أنظر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ـــ قسم شمال المملكة ـــ في منطقة حائل في الدهناء منهل مشهور بهذا الاسم ، ويظهر أنه هو الذي ذكر ياقوت عن أحد ساكني الجبلين أنه غربي سَلْمَى وأن كلمة (غربي) سبق قلم ، فهو شرق سَلْمَى بمسافة طويلة .

(٢) لم يزد ياقوت في «معجم البلدان» على ما في كتاب الحازمي عن بَرْثَة ، ولم يُصَرِّحْ بالنقل عنه ، ولم أجد ما أضيفه .

(٣) وما في «معجم البلدان» عن نهر بُرَيهٍ هو ما في كتاب الحازمي ، بدون زيادة ، ويظهر أنه الأصل ، وصاحب «مراصد الاطلاع» وصاحب «تاج العروس» لم يُضِيفَا شيئاً .

بَعْضُ الرُّواةِ[1] .

وَأَمَّا الثَّاني — أَوَّلُهُ يـاَءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ مفتُوحَةٌ ثُمَّ رَاءٌ مَفْتُوحَةٌ أَيْضاً — : مَوْضِعٌ بَيْنَ بُوَانَة والحُرَاضَةِ[2] ، في دِيَارِ فَزَارَةَ ، وَهُوَ مِنْ أَعْمَالِ والي الْمَدِينَةِ .

١٤٦ — بَابُ تَرْنَكَ وَتَرِيْكَ وَبُرَيْكٍ

أَمَّا الأَوَّلُ — بَعْدَ التَّـاءِ الْمَفْتُوحَةِ رَاءٌ سَاكِنَةٌ ، ثُمَّ نُونٌ مَفْتُوحَةٌ — : وَادٍ نَاحِيَةَ بُسْتَ لَهُ ذِكْرٌ فِي الْفُتُوحِ[3] .

وَأَمَّا الثَّانِي — بَعْدَ التَّـاءِ رَاءٌ ، مَكْسُورةٌ ثُمَّ يَـاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ — : مَوْضِعٌ بِالْيَمَنِ مُجْتَمَعُ مِيَاهٍ[4] .

وأَمَّا الثَّالِثُ أَوَّلُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ثُمَّ رَاءٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا يَـاءٌ سَاكِنَة تحتها نُقْطَتَانِ — : بَلَدٌ

---

(١) لم يَرِد ياقوت في «معجم البلدان» في تعريف تُرعة على ما هنا ونسب الكلام إلى نصر ولكنْ لم يرد في مخطوطة كتابه (يُنسب اليها بعض الرواة) فلعل ياقوتا اطلع على مخطوطة أخرى أو نقل عن الحازمي ، ولم أر في كتاب «الأنساب» في حرف التاء — للسمعاني اسما منسوباً اليها ، مع حرص السمعاني على الاستقصاء .

(٢) يَرَعَةُ التي بَيْنَ الحُراضة وبُوانَة عَرَّفَهَا نَصْر كما في كتاب الحازميّ الذي نقل نَصّ كلام نَصْرٍ في هذا الباب ولم يزد عليه سوى جملة ، (ينسب إليها) التي تقدم ذكرها والحراضة وبُوانة موضعان يقعان شمال بلاد يَنْبُع ، ولا يزالان معروفين ، ولكنها ليسا من بلاد فزارة في ذلك العهد ، بل من بلاد جُهَيْنة غرب بلاد فزارة — وانظر عن بوانة «المعجم الجغرافي للبلاد العربية» قسم شمال المملكة . وعن الحراضة مجلة «العرب» السنة الثانية ص ٨٣٣ .

(٣) قال نصر بعد أن ضبط اسم تَرْنك — بفتح التاء وسكون الراء وفتح النون — : وادٍ بين سِجِسْتان وبُسْتَ وهو إليها أقرب . ونقل ياقوت كلام نصر منسوباً إليه وقبله قال : بلد بناحية بُسْتَ له ذكر في الفتوح — أي نقل كلام الحازمي غير منسوب وأبدل (واد) بكلمة بلد .

(٤) وقال نصر عن تَرِيْك — بعد ضبطه : مجتمع مياه ومغايض في أسفل اليمن — وفي «معجم البلدان» : موضع باليمن من أسافله ، وهو مياه ومغايض ، وفيه روضة ذكرتْ في الرياض ، ولم أر لهذا الموضع ذكرا في كتاب «صفة جزيرة العرب» مع تَقَصّي مؤلفه في ذكر المواضع اليمنية .

باليَمَامَةِ يُذكر مع بِرْكٍ ، بَلَدٍ آخَرَ ، وَهُمَا مِنْ أعمالِ الْخِضْرِمَةِ ولَهُمَا ذِكْرٌ في أيّام العَرَبِ وَالأشْعَارِ[1] .

ومَوْضِعٌ أيْضاً في طَرِيْق عَدَنَ[2] .

(١) تعريف بِرْك عند نَصْر : بلد من اليمامة ثم من أعمال الخضرمة ، يُذْكَرُ مع بِرْكٍ بَلَدٌ هناك . انتهى كذا وصواب برك الأخيرة (بُرَيك) وهو واد لا يزال معروفاً . وأورد ياقوت في تعريف بِرْك الذي في اليمامة أقوالا منها : أنه لِقُشَير ولِهِزّان ولِجَرْم وأنه يصب في الجازة ، وانه يُثنى مع نَعام — وادٍ آخر — فيقال فيهما البِركان . وكل هذا صحيح ، فقشير وجَرْم كانوا من أهل فروع الوادي المتصل بجبل العارض ، وهزّان في وسطه . وبرك ونعام واديان لا يزالان معروفين ، وكذا وادي بُرَيك — الذي يذكر مع بِرْكٍ ، هو وادي الحوطة — حوطة بني تميم .

والخضرمة كانت قاعدة بلاد اليمامة ، وهذه خضرمة الخرج ، ويقال جَوّ الخضارم ، وهناك قديماً كان مَقَرُّبني الأخيضر ، ولاة اليمامة منذ منتصف القرن الثالث الهجري إلى سنة ٣١٧ — تقريباً — حين استولت القرامطة على البلاد .

(٢) وقال نصر عن برك الذي في اليمن : بين المنزل التاسع عشر والعشرين لحاج عَدَنٍ . وأضيف : بِرك هذا لا يزال معروفاً وهو وادٍ من أشهر أودية تهامة . يفيض في البحر ، وقرب مصبه بلدة على شاطىء البحر ، فيها مَرسى للسفن الشراعية ، وللمراكب البحرية الصغيرة ، شمال ميناء القَحْمَة ، وجنوب وادي حَلْي ، ومصبه في البحر بقرب خط الطول ٣١/ ٤١ْ وخط العرض ١٥/١٥ َ.

وفَرّقَ الهمداني في «صفة جزيرة العرب» بين البِرْك هذا وبَين بِرْك الغماد ، حيث حدّد الأخير في بلاد الخَنْفَريّين في سفلى المعافر في أقصى اليمن (ص ٣٦٦ ط دار اليمامة) على أن المفهوم من قول كثير :

بِوَجْهِ أخي بَني أَسَدٍ قَنَوْنا ... إلى يَبَةٍ إلى بِرْكِ الْغِمَادِ

— المفهوم من هذا البيت أن بِرْك الغماد هو البِرك الواقع في تهامة ، لا أقصى اليمن كما ذكر الهمداني — فَيَبَةُ وقَنَوْنا واديان لا يزالان معروفين بِقُرْبِ بِرْكِ تِهامة .

وأغرب البكري في «معجم ما استعجم» — ٢٤٣ — فقال عن بِرْكٍ : هو في أقاصي هَجَر ، الا أنه مُنْضَافٌ إليها ، هو بِرْكُ الْغِمَاد الذي ورد في الحديث . انتهى وكنت ظننت أن يكون تَصحفٌ عليه قول الهمداني : وفي الحديث أنّ أبا الدَّرداء قال : لَوْ أعيَتني آيَةٌ من كتاب الله عزّ وجل ، فلمْ أجد أحداً يفتحها عليّ إلا رجلٌ بِبِرك الغِمَاد لَرَحَلْتُ إليه ، وهو أقصَى حَجَر باليمن ، ذكَرَ بِرْك الْغِمَاد ثم ذكر موضعه من قصور اليمن . انتهى فأقصى حَجَر ، يسهل تصحيفها إلى أقصى هجر أو أقاصي هجر . ولكنّي رأيت ياقوتاً نقل عن عياض : بِرْكُ الغماد موضع في أقاصي هجر ، وأورد رجزاً فيه :

جَــارِيــةٌ مِنْ أشْــعَــروعَكٌ ... بَــيْــنَ غادي يَــبَــةٍ وبِــرْكِ
هَــفْــهَــافَــةُ الأعْــلَى رَدَاحُ الوِرْكِ ... في قُــطُــنٍ مِــثْــل مَــدَاكِ الــرَّهْكِ

وهذا الرَّجَزُ يَدُلُّ على أن المقصود برك تهامة حيثُ قَرَنَهُ بـ(يَبَةٍ) بصرف النظر عن تصحيف الاسم إلى (نَبَة) . وهو الذي حدّد ياقوت المسافة بينه وبين مكة بخمس ليال ، وذكر أنّ عبدالله بن جُدْعان التَّيمي القُرَشيّ دُفِنَ

١٤٧ — بَابُ تِرْمِذَ وَتَرْمُذَ وتُرْمَدَ

أَمَّا الأَوَّلُ — بِكَسْرِ التَّاءِ بَعْدَهَا رَاءٌ سَاكِنَةٌ ثُمَّ مِيمٌ مَكْسُورَةٌ وَآخِرُهُ ذَالٌ مُعْجَمَةٌ — : الْبَلْدَةُ الْمَعْرُوفَةُ ، وَرَاءَ النَّهْرِ يُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الأَئِمَّةِ وَالْحُفَّاظِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَفِيهِمْ كَثْرَةٌ[١] .

وَأَمَّا الثَّانِي — بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْمِيمِ — : مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي أَسَدٍ أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حُصَيْنَ بْنَ نَضْلَةَ .

أَخبرني أَبُو جَعْفَر أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي كِتَابِهِ أَخْبَرَنَا أَبو عَلِيٍّ الشَّافِعِيُّ أنبأنا أَحْمَدُ بْنُ إبراهيم حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ إبراهيم ، حدثنا أَبو يُونُسَ الْمَدِينِي حدثنا عَتِيقُ بْنُ يَعْقُوبَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْن عَمْرو بن حَزْمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ قَالَ : كَتَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : « هذا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ لِحُصَيْنِ بْنِ نَضْلَةَ الأَسَدِيِّ أَنَّ لَهُ تَرْمُذَ وكُتَيْفَةَ لا يُحَاقُّهُ فِيهَا أَحَدٌ » وكَتَبَ الْمُغِيرَةُ ، كذا رَأَيْتُهُ مَضْبُوطاً فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَكَذَلِكَ قَيَّدَهُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ نَاصِرٍ ، وكَانَ صَحِيحَ الضَّبْطِ ، وَقَدْ رَأَيْتُهُ أَيضاً فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ تُرْمَدَا ، أَوَّلُهُ تَاءٌ مُثَلَّثَةٌ ، وَالمِيمُ أَيضاً مَفْتُوحَةٌ وبَعْدَ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ أَلِفٌ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ عِنْدِي ، غَيرَ أَنِّي نَقَلْتُ الْكُلَّ كَمَا وَجَدْتُهُ ، وسَمِعْتُهُ والتَّحْقِيقُ فِيهِ فِي زَمانِنَا مُتَعَذِّرٌ[٢] .

= عنده ، وهو في بلاد اليمن ، عند المتقدمين . وأورد ياقوت قول الهمداني أن برك الغاد في أقصى اليمن ، فلعل هذا الاسم يطلق على موضعين أو على مواضع .

(١) ترمذ : نقل ياقوت عن السَّمْعانيُّ الاختلاف في ضبط الاسم ، هل هو بفتح التاء أوكسرها أو ضمّها وكذا في ضبط الميم وذكر أن ترمذ من أمهات المدن ، راكبة على نهر جَيْحُونَ من جانبه الشرقي ، متّصلة العمل بالصغانيان . وعَدَّ من أشهر من ينسب إلى ترمذ الامام الترمذي المحدّث المشهور محمد بن عيسى وتجد وصْفاً وتحديداً لمدينة ترمذ في كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» ٤٨٤ .

(٢) حَقاً إنَّ تَحْقِيق تَرمذَ نُطقاً ومَوضعاً لا يزال مُتَعَذِّراً مُنْذُ عَهْد المؤلِّف وكل ما يستطيع الباحثُ عَمَلَهُ الآن مُحاولة تقريب تَحْديد الموقع .

١ — فهو في بلاد بني أَسَدٍ لأنَّ المُقطَعَ منهم ، وما كان الإقطاع لأحدٍ في عهد الرسول — صلى الله عليه وسلم

وَأَمَّا الثَّالِثُ — أَوَّلُهُ ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ مَفْتُوحَةٌ والمِيمُ مَفْتُوحَةٌ أَيْضاً — : شِعْبٌ بِأَجَإٍ ، لِبَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي سَلَامَانَ ، مِنْ طَيِّءٍ وقيل : مَاءٌ[٣] .

= — على ما يظهر من الأحاديث الواردة فيه — يخرج عن بلاد القوم الذين منهم المُقْطَع . وبلاد بني أسد تقع شمال وادي الرُّمة إلى بلاد الجبلين أجإ وسَلْمى وغرباً أسافل الأودية المنحدرة من حَرَّة خيبر وحَرَّة فدك (الحائط) وشرقاً تمتدُّ على طريق الحجّ الكوفي الى الدهنا وشرقها .

٢ — ورد اسم الموضع مقروناً بموضع آخر حَدَّده صاحب كتاب «بلاد العرب» — ٧٤ — تحديداً دقيقاً واضحاً ، وهو كُتَيْفَة فقال : (وبأعلى مُبْهِل هذا جَبَلٌ يقال لهُ المُجَيْمِر ، وجبل آخر يقال له كُتَيْفَة ، وجِبَالٌ يُقَالُ لها الوَتِدات ، لبني عبدالله انتهى .

ومُبْهِلٌ هذا الوادي يُعْرَفُ الآن باسم (المَحَلاني) والعامة يسكنون الميم ، فيتوالى ساكنان ، وكُتَيْفَةُ جبل يعرف الآن باسم كُتَيْفان ، يقع في الشمال الغربي من وادي المَحْلاني ، فيما بينه وبين وادي الشُّعبَةَ ، المعروف قديماً باسم (الثَّلَبُوت) على ما حقق الأستاذ الشيخ محمد العبودي في مجلة «العرب» س ٧ ص ٢٠ إلى ٢٧ ٩ وأُضيف : إن كُتيفان جبل أسود يشاهد رأي العين من مجتمع وادي الشُّعْبَة بوادي الرُّمة ، على ضَفَّةِ وادي الشعبة ، وفي سفحه منهل يُدْعَى كُتَيْفة ، لِولدِ سُلَيْم من قبيلة حَرْب ، وتُعَدُّ كتيفة الآن من قُراهم ، وهي تبعد عن مدينة حائل نحو ١٩٩ (تسعة وتسعين ومئة كيل) في الجنوب منها

وَإِذَنْ فَإِنَّ ثَرْمُدَ المذكور في خبر الاقطاع — ينبغي أن يكون بِقُرْب كُتَيْفَة هذه ، أي على ضفة وادي الشعبة شمال قرية الحاجر الواقعة في ملتقى وادي الشعبة بوادي الرُّمة (بقرب خط الطول ٤٥/ ٤١ْ وخط العرض ٢٨/ ٢٦ْ) .

ويفهم من كلام صاحب «بلاد العرب» أن المُجَيْمِرَ وكُتَيفة والوتدات جبالٌ كلها لبني عبدالله بن غطفان .

والواقع أنَّ بلاد بني عبدالله هاؤلاء متصلة ببلاد بني أسدٍ ، بحيث لا يمكن التمييز بينهما ، وكذا بلاد بني عَبْسٍ ، فالقبيلتان بنو عبدالله وبنو عَبْسٍ انفصلتا عن قومهما غَطَفَان فجاورتا بني أسدٍ — أو بمعنى أوضح — انزاحتا عن بلاد قبيلتهما شرقاً حتى لتختلطتا ببني أسد .

ويلاحظ أن كُتَيْفَة يطلق على مواضع أخرى ، أشرت إلى بعضها في قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

وقول المؤلف أنه رأى اسم (ثرمد) بالألف فهذا اسم موضع آخر ، ذو شُهْرةٍ وذكر كثير في الأشعار ، وهو اسم قرية في الوشم واسم موضع ثانٍ على ما ذكر الأزهري في وادي الستارَيْن (وادي المياه) شمال الاحساء .

(٣) ثَرْمَدُ — الذي في جبل أجإ لا يزال معروفاً ، وهو وادٍ ينحدر من أجا صَوْبَ الشمال الشرقي ، حتَّى يَصُبَّ في مَشَار ، وفيه نخل قليل ، وأعلى ثَرْمَدَ يُدعى ثَرَامِدَ والعليَّا ورُمَيض — كلها شِعَابٌ لثرمد وفيها نَخْلٌ ، ولا سكان في ثَرْمَد ، ولا ماء ، ونخله يشرب من المطر ، ويبعد عن مدينة حائل نحو عشرين كيلا — وانظر قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» وتعريف ثرمد — الذي أورده الحازمي — ورد في كتاب نصر ، في حرف الثاء (باب ثَرْمَد وثَرْمَدَ) وقد سَمَّى الهجريُّ ثَرْمَدَ هذا ثَرْمَدَاء — بالألف الممدودة ، وقال : مثل الذي في اليمامة — يقصد البلدة التي في الوشم ، وما أراه مُصيباً .

١٤٨ — بَابُ تَصِيلٍ وَنَصِيلٍ

أَمَّا الْأَوَّلُ — بِفَتْحِ التَّاءِ بَعْدَهَا صَادٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ — : في شِعْرِ الْمُذَالِ بْنِ الْمُعْتَرِضِ :

نَحنُ مَنَعنَا مِنْ تَصِيلٍ وَأَهْلَهَا   مَشَارِبَهَا مِنْ بَعْدِ ضَمْءٍ طَوِيلِ

قَالَ السُّكَّرِيُّ : تَصِيلٌ بِئْرٌ في دِيَارِ هُذَيْلٍ .

وأمَّا الثَّاني — أَوَّلُهُ نُونٌ مَفْتُوحَةٌ وَالْبَاقي نَحْوَ الأَوَّلِ — : رِوَايَةٌ ثَانِيَةٌ في الْبَيْتِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وقال السُّكَّرِيُّ : وأَمَّا بالنُّونِ فهُوَ شعْبَةٌ من شُعَبِ الْوَادي[١] .

١٤٩ — بَابُ تَغَنٍ وَبُعْقٍ

أَمَّا الْأَوَّلُ — بَعْدَ التَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ غَيْنٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ أَيْضاً وَآخِرُهُ نُونٌ — : ذُو تَغَنٍ مَوْضِعٌ في شِعْرِ الأَغْلَبِ[٢] .

وأَمَّا الثَّاني — أَوَّلُهُ بَاءٌ مُوحَّدَةٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا عَيْنٌ مُهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ وَآخِرُهُ قَافٌ — : وَادِي الأَبْوَاءِ يُقَالُ لَهُ الْبُعْقُ ، قاله أَبو الأَشْعَثِ الْكِنْدِيُّ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَأَنَّكَ مَرْذُوعٌ بِشَسَّ مُطَرَّدٌ   يُقَارِفُهُ مِنْ عَقْدَةِ الْبُعقِ هيمُهَا[٣]

---

(١) قول السُّكَّريّ ورد في كتاب «شرح أشعار الهذليين» له — ص ٨٦٠ — ونقله ياقوت في «معجم البلدان» في بابي التّاء والنون .

وتَصِيل — بالتاء المثناة المفتوحة والصاد المهملة المكسورة بعدها مثناة تحتية ساكنة فلام — شِعْبٌ لا يزال معروفاً ، من روافد وادي السَّعْدِيَّة (يَلَمْلَم قديماً) محل إحرام حجاج اليمن ، وفي تَصِيلَ بِئْرٌ ، وسكانه فَهْمٌ ، أما نَصِيل — بالنون — فلم أعْرِفهُ ، ولا أستبعد أن يكون تَصْحِيفاً .

(٢) تَغَنٌ : لَمْ يَزِدْ ياقوت على تعريف الحازميّ ، ولمْ يَنْسِبْهُ إليه ، وأورده صاحب «التاج» منسوباً إلى نَصْرٍ ، وهو مذكور في كتابه في (باب بَعْر وبَعْر وتَغَنٍ) حرف الباء . والأغلب إذا كان العِجليُّ الرَّاجز فأكثر المواضع التي يذكرها في شرق الجزيرة ، بقرب بلاد قومه ، نواحي الكُوفة وما حَوْلَهَا .

(٣) القول بأنَّ البُعْق بقرب وادي الأَبْوَاء لِعَرَّامٍ في رسالته ، وأبو الأشْعَث الكِنديُّ هو راوي الرسالة .

والبيت : كأنَّك مَرْذُوع — لِكُثَيِّر بن عبد الرحمن ، على أنَّ البكريّ أورده في رسم (الحشا) قائلاً :

١٥٠ — باب تَقْتُدَ وتُقَيْدَ(١)

أمّا الأوّل — بعدَ التاء المفتوحة قافٌ ساكنةٌ ثم تاءٌ أُخرى مضمومةٌ وآخره دالٌ :

= (وبكنف الحشا وادٍ يقال له البُعْقُ ، وبكنفه الأيسر وادٍ يقال له شَسٌ ، وهو بلدٌ مَهْيَمَةٌ ، لا تكون به الإبل ، يأخذها الهيام ، عن نقوع به ساكنة لا تجري ، والهُيامُ حُمّى الإبل ، والحشا لِخُزاعة وضَمْرة ، أنشد السكوني :

كأنّك مَرْدُوعٌ بِشَسٍّ مُطَرَّدٌ يُقارِبُهُ من عُقْدَةِ البُعق هِيْمُها

ويلاحظ تصحيف (شسّ) و(عقدة) والسكوني هو راوي رسالة عرّام عن أبي الأشعث الكندي ، وما اورده البكريّ في تلك الرسالة . وأورد البكريُ البيت أيضاً — فيا نقل عن ابن حبيب (البُقَع) في رسم (شَسٌّ) من «معجم ما استعجم» وقال : البُقَع موضع هناك . وأورد ياقوت البيت كما أورده الحازميُّ في رسم (بَعَق) مع بقية الكلام غير منسوب إلى الحازمي ، وأورده في رسم (شَسٌّ) أيضاً ولكن ورد (النقع) لا البعق قائلاً : شَسٌّ وادٍ بعينه من أودية مُزَيْنَة ذكره كُثَيِّر ، وقال أبو بكر بن مُوسَى : شَسٌّ وادٍ عن يَسار آرة ، وقال أبو الأشعث : هو بلدٌ مَهْيَمَةٌ مَوْبَاةٌ ، لا تكون به الإبل يأخذها الهُيَام ، عن نقوع بها ساكنة لا تجري ، والنقوع المياه الواقفة التي لا تجري ، وهي من الأبواء على نِصْف مِيْلٍ — ثم أورد ثلاثة أبيات من شعر كثيّر منها الشاهدُ ، ولكن بلفظ (النقع) لا البُعْق ، وشرحه بقوله : مَرْدُوعٌ : مَنْكُوسٌ . يقارِفُهُ : يُدانيه . العُقْدَةُ : الموضع الشجير . انتهى .

والخلاصة : أن اسم الموضع مُخْتَلِفٌ فيه ، ولكنها موقعه بقرب الأبواء الوادي الذي لا يزال معروفاً . ولا أستبعد أن يكون غير بعيد عن قرية (الخُرَيْبة) حيث اتّساع الوادي واجتماع سُيُول روافده ، التي يتكون منها اجتماع المياه وركودها في ذلك المتّسع ، ويُلاحظ أنّ مياه الوادي قلّت في زماننا ، وتغيّرت طبيعة أرضه ، كغيره من كثير من بقاع الجزيرة .

(١) في كتاب نَصْر : (باب تُقَيْده ، ونُقَيْده ، ونَقْتَد)

وتعريف تَقْتُد زاد فيه نَصْرٌ : وقيل : قرية بينها وبين قَلَها (قلنها في المخطوطة) جَبَلٌ يقال له أُديمة ، والجميع من ديار سُلَيم . ولَمْ يُورِد نَصْرٌ الرَّجَز . وقد أورَدَهُ ياقوتٌ ، ونَسَبَه لأبي وجْزَةَ الفَقْعَسِيِّ وفي «التاج» قال الصاغاني : الرجز لأبي وجْزَة الفَقْعَسِيِّ ، وقيل لِجَبْر بن عبد الرحمن . وأشار إلى أن من شواهد النحويين فيه :

تذكرت تَقْتُد بَرْدَ مَائِها

في نصب (بَرْد) لأنه جعله بدلاً من تَقْتُدَ .

وأرى أنّ أبا وَجْزة صاحب الرَّجز هو يزيد بن عُبَيْد السَّعْدِيُّ الشاعر المعروف وهو من بني سُلَيم . ولكنّ أباه عُبَيْداً وقع عليه سِبَاءٌ في صِغره ، فاشتراه أحد بني سعد فانتسب فيهم ، وأُعتِق في عَهْد عُمَر بن الخطّاب ، فتزوج من مُزَيْنَة عُرْفُطَة المُزَنِيَّة ، فولدت له يَزِيدَ أبا وَجْزَةَ — أنظر «معجم ما استعجم» رسم (طلميّة) . وما للرّاجز الفَقْعَسِيّ ولِبلاد بني سَعْدٍ ؟؟ وأرى أيضاً أنّ تَقْتُدَ ليست في بلاد بني سَعْدٍ ، ولكن في أطراف بلاد مُزَيْنَةَ الجنوبية المتّصلة ببلاد بني سُلَيم — على ما يفهم من كلام عَرّامٍ — فإنه بعد أن ذكر الرُّحضية — القرية المعروفة الآن جنوب المدينة للمتجه نحو معدن بني سُلَيم (المَهْدِ) ذكر وادي ذِي رَوْلان لبني سُلَيمٍ ،

رَكِيَّةٌ في نَاحِيَةِ الحِجَازِ مِن مِيَاهِ بَنِي سَعْدِ بنِ بَكْرِ بْن هَوَازِنَ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَذَكَرَتْ تَقْتَدَ بَرْدَ مَآئِهَا وَعَتَكَ الْبَوْل عَلَى أَنْسَائِهَا[1]

وَأَمَّا الثَّاني بَعْدَ التَّاءِ الْمَضْمُومَةِ قَافٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ يَاءٌ مشدَّدَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَان مكسُورةٌ — : مَاءٌ لِبَنِي ذُهْلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

وقيل : مَآءٌ بأَعْلَى الحَزْنِ جَامِعٌ لِتَيمْ الله وبَنِي عِجْلٍ ، وقَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وقَدْ جَاءَ أَيْضاً في الشِّعْرِ ويُقَالُ فيه أيْضاً : تُقَيِّدَةُ بزِيَادَةِ هَاءٍ في آخِرِه[2] .

١٥١ — بَابُ تَنْغَةَ وَنَبْعَةَ[3]

أَمَّا الأَوَّلُ — بَعْدَ التَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ نُونٌ سَاكِنَةٌ ثُمَّ غَيْنٌ مُعْجَمَةٌ — : قَرْيَةٌ بأَرْضِ حَضْرَمُوتَ ، عِنْدَهَا وَادي بَرَهُوْتَ ، الَّذِي يُسْمَعُ مِنْهُ أَصْوَاتُ أَهْلِ النَّارِ وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِيْ الآثَارِ[4]

= وذكر فيه قُرَى ذاتَ نَخْلٍ منها قَلْها وتَقْتَدَ ، بينها وبَيْنَ قَلْهَا جَبَلٌ يُقَالُ له أُديمة — ثم ذكر بعد ذلك وادي عُرَيفطان ، وجَبَل أَبْلَى — وانظر «معجم ما استعجم» رسم (ظلم) .

وبيت الرجز الذي أورده الحازميُّ مُلَفَّقٌ ، وصوابه — كما أورد ياقوت —

حَتَّى إذا ما تَمَّ مِنْ أَظْمَائِهَا وَعَتَكَ الْبَوْلُ عَلَى أَنْسائِها
تَذَكَّرَتْ تَقْتَدَ بَرْدَ مَائِها فَبَدَّت الحاجِزَ من رِعائِهَا

(١) في كتاب نصر : (تُقَيْدَةُ ، وقيل تُقَيِّدُ — بغير هاء) وأورد نَصَّ ما أورده الحازميُّ . وقال الهجريُّ : تُقَيِّد — بالياء والتي في دار مُزَيْنَة تَقْتَدُ — : ماءٌ قُرْبَ الوَقْبا ، في محجَّة البصرة إلى مكة ، عن ثلاث من البصرة — «العرب» س ٥ ص ١٠٨٤ — وأُضِيفُ : لا يزال الموضع معروفاً ، ولكن القاف تنطق كافاً (تكيد) وهو ماء يقع شمال الوقبا (بقرب خط الطول ٣٤َ/ ٤٥ْ وخط العرض ٤٢َ/ ٢٩ْ) وانظر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (شمال المملكة) ص ٢٥٥ .

(٢) في كتاب نَصْرٍ : (باب تَلْعَة ، وتَنْعَة ، ونَبْعَة ، وبَتْعة)

(٣) تعريف تَنْعَة هو ما ورد عن نصر ، سوى (الذي يسمع منه) إلى آخر التعريف ولكِنَّ البكريَّ في «معجم ما استعجم» ضبط الاسم بكسر التَّاء وبالعين المُهْمَلة ، ونسب اليها العيزار بن جَرْول ، يروي عن سُوَيْد بْن غَفَلَة وقال : النِّسبَةُ إليها تِنْعِيٌّ — بفتح الأول والثاني .

وأمَّا الثَّاني — أوَّلُهُ نونٌ مَفتوحَةٌ ثُمَّ بَاءٌ مُوحَّدَةٌ ساكِنَةٌ بَعْدَهَا عَيْنٌ مُهْمَلَةٌ — : جَبَلٌ بعرفَاتٍ ، عِنْدَ النُّبَيْعَةِ(١) .

وأيضاً : بَلَدٌ بعُمَانَ(٢) .

وقال ياقوت في «معجم البلدان» : تِنْعَةُ — بالكسر ثم السكون والعين مُهْمَلةٌ ، وفي كتاب نصر بالغين المعجمة ، ووجدته بخط أبي منصور الجواليقيّ فيا نقله من خط ابن الفُرات بالثاء المثلثة في أوله ، والصواب عندنا تِنْعَة ،

ثم نقل عن الدارقُطنيّ أن تِنْعَةَ اسمُ رَجلٍ من حضرموت ، ينسب إليه أناس بالكوفة ، وبه سُمِّيتْ قرية بحضرموت — وساق ما ذكره الحازميُّ كاملاً — وأضاف أسماء أناس نُسِبُوا إلى قبيلة تِنْعَةَ ، أو إلى الموضع وبَرَهُوتُ وادٍ في حضرموت لا يزال معروفاً ، وفيه بئرٌ بهذا الاسم ذكرها الهمدانيُّ في «صفة جزيرة العرب» — ٢٧٠ — فقال في ذكر المناهل القديمة : وبَرَهُوتُ بئرٌ بِسُفْلَى حَضْرَمَوتَ قديمة . وأورد طرفاً من الأخبار المتعلقة بها ياقوت في «معجم البلدان» والله أعلم بصحتها .

وزار نَصْرٌ بعد ذكر تنعة التي في حضرموت : وأيضاً في ديار طيّء حيث قبر حاتم ، وقيل : بِضَمِّ الثَّاء وصُحِّفَ فقيلَ بالفاء ، وبِخَطِّ أبي الفضل : تنعة مَنْهَلٌ في بطن وادي حائل ، لبني عَدِيِّ بن أخْزَمَ ، وكان حاتمُ نَزَلَهُ . انتهى . ومع الاختلاف في ضبط هذا الاسم فإنَّ موقعه لا يزال مَجْهُولاً ، وانْ عُرِفَتْ جِهَتُهُ ، وأنه في وادي حائل وحائل هي المدينة المعروفة بمنطقة الجبلين أجا وسَلْمَى وانظر عن تنعة قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

(١) نبعة ورد في كتاب «أخبار مكة» للأزرقي — ج ٢ ص ١٩٤ الطبعة الثالثة — مُعَرَّفاً ، فنقل عن ابن عباس رضي الله عنه : (وموقف النبي صلى الله عليه وسلم عَشِيَّةَ عَرَفة بين الأجبُل النَّبعَةِ والنُّبَيْعَةِ والنَّابتِ ، وموقفه منها على النَّابت ، وهي الظِّرابُ التي تكتنفُ موضع الإمام ، والنابتُ عند النشرة التي خلف موقف الإمام ، وموقفه صلى الله عليه وسلم على ضِرْسٍ من الجبل النابت ، مُضَرَّسٍ بينَ أحْجَار هُنَاك ، نَاتِئَةٍ في الجبل الذي يقال له إلال بعرفة ، عن يسار طريق الطائف ، وعن يمين الامام . انتهى .

أمَّا تعريف نَصْرٍ لِنَبْعَة فهو : بَلَدٌ بِعُمَانَ ، وأيضاً : من جبال عرفات ، قال ابن ابي نَجِيْح : عرفاتُ النبعة والنُّبيعةُ وذاتُ النَّابت . انتهى . ونقله ياقوت .

(٢) ومثل هذا في كتاب نَصْرٍ وفي «معجم البلدان» بدون زيادة .

وما زاده نصر :

تَلْعَةُ : ناحية قريبةٌ من اليمامة . وفي «معجم البلدان» : تَلْعَةُ ماءٌ لبني سَلِيْط بْنِ يَرْبُوع ، قُرْب اليمامة ، قال جرير :

وقدْ كانَ في بَقْعَاء رِيٌّ لشَائكُمْ وتَلْعَةُ والجَوْفاءُ يَجْري غَديرُهَا

وورد اسم تَلْعَة في شعر جَرِير مَقْروناً بالنَّظِيم بقوله «معجم ما استعجم» :

وَقَفْتُ عَلَى الدِّيَارِ وَمَا ذَكَرْنا كَدَارٍ بَيْنَ تَلْعَةَ والنَّظِيمِ

١٥٢ — باب تُوْنٍ وَتُوثٍ، وبُوْنٍ ونُوقٍ(١)

أمَّا الأَوَّلُ — بِضَمِّ التَّاء وَآخِرُهُ نُونٌ — : مِن بلادَ قُهستان نَاحِية خُراسانَ ، يُنْسَب إليها أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاس التُّونِيُّ ، حَدَّثَ عن إسحاق بْنِ أَبِي إسْحَاق وغَيْرِه ، وإسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِاللهِ التُّونِيُّ خَادِمُ مَسْجِد عَقِيْل بِنَيسَابُورَ ، سَمِعَ الْحَدِيْثَ الْكَثِيْرَ وَغَيْرَهُمَا(٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي — آخِرُهُ ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوِ الأَوَّلِ — : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى مَرْوَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا بَحْرُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ بَحْرٍ التُّوْثِيُّ يُكْنَى أَبَا الْفَيْض ، مِنْ أَصْحَاب أَبِي دَاوُدَ سُلَيْمَانَ

وقد ذكر صاحب «بلاد العرب» — ٣٣٠ — ماء لبني فُقَيْم — في شرق العَرمة ، بِقُرب مُبَايض ، ليس بعيداً عن الدَّهْنَا . وأراه هو الوارد في كتاب نصْرٍ وفي شعر جرير . وفُقَيْم من بني دارم من حنظلة وسَلِيط من بني يَرْبُوع من حنظلة ، وكلهم من تميم .

وقال نَصْرٌ عَنْ بَتْعَة أوله باء مفتوحة تليها تاءٌ ساكنة عليها نقطتان — : جبل لبني نَصْر بن معاوية ، فيه قُبُور لقوم عاد . ويظهر أن أصل هذا الكلام ما جاء في كتاب «بلاد العرب» ص ١٣ : ولبني نَصْرٍ جبل يقال له بَتْعة ، زَعَمُوا أنَّ ثمَّ قُبور قَومٍ من عاد . — وفي ص ٣٠ — : وبجلدان هَضْبَةٌ سَوْداءُ يقال لها بَتْعَة ، وبها نُقُبٌ ، كل نَقِيْبٍ قَدْرَ سَاعَةٍ ، كانَتْ تُلْتَقَطُ فيه السُّيُوفُ العَادِيَّةُ ، والخرز ، يزعمون أنَّ فيه قُبُوراً لعاد ، وكانوا يُعظِّمُونَ ذلك الجَبَل انتهى .

وجِلْدَانُ أرض واسعة لا تزال معروفة ، وكانت من بلاد بني نَصْرٍ قَدِيماً على ما ذكر صاحب كتاب «بلاد العرب» — ٣٠ — : وبين لِيَّة وبِسْل بَلَدٌ يقال لَهُ جِلْدَان تَسْكُنُه بَنُو نَصْر . وأبرز جبل فيه يُدْعَى الْحَلاَة ، حَلاة جِلْدَان ، ويظهر أنها هي المذكورة في النُّصوص ، وقد أتيت هذا الجبل ، ودُرْتُ بجوانبه فلم أرَ أيَّ قَدِيْمٍ حَوْله ، ولم أُشاهد فيه نُقْباً ، ولكنني لم أَصْعَدْهُ .

(١) عِنْدَ نَصْرٍ : (بَابُ تُوْن وبُون) .

(٢) لم يَزِدْ نَصْرٌ في تَعْرِيْف تُون على القول : بالتَّاء — بَلَدٌ يُذْكَرُ مَعَ قاينَ ، من بلاد خُرَاسَان ، أمَّا ياقوت فأورَد ما ذكر الحازميُّ وزادَ (قُرْبَ قاين) ولم يذكر خراسان ، وزاد في ذكر المنسوبين إليها ، وأرَّخ وفاة أحمد بن العباس التُّوني برجب سنة ٤٥٩ ، في هراة ، ونسبه إلى قاين ، وقال عنه : حدث عن إبراهيم بن اسحاق بن محمد التوني القائني ، ولكنَّ ما في كتاب الحازمي يتفِقُ مع ما في كتاب «الأنساب» للسمعاني — ١٢/٣ وما بعدها — ففيه : تُونُ بليدةٌ عند قاين ، يقال لها تون قهستان ، خرج منها جماعة من الئمة والعلماء ، منهم أبو اسحاق إبراهيم بن محمد التوني القايني ، وكان فقيها مدرسا مناظِراً ، تفقَّه بأصفهان ، وورد خراسان ، وسكن هراة وتوفي بهراة في رجب سنة تسع وخمسين وأربع مئة ، وأحمد بن العباس التُّوني ، حدث عن إسحاق بن أبي إسحاق التوني وغيره ، فهنا خلاف بين كلام ياقوت وكلام السمعاني في المُتَوفَّي سنة ٤٥٩ وأرى الصواب ما في كتاب السمعاني ، إذ هو من أصول ياقوت .

وعن تُون وقاين أنظر كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» — ٣٩٢ — .

بْنِ مَعبدٍ السِّنجيُّ ، وَكان كَثيرَ الأَدَبِ وجَمَاعَةٌ سِوَاهُ[1] .

وَأَمَّا الثَّالِثُ — أَوَّلُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَضْمُومَةٌ وَآخِرُهُ نُونٌ أَيْضاً مضمومة — : بَلَدٌ يَمَانٍ[2] .

وأمَّا الرَّابع — أَوَّلُهُ نُونٌ أَيضاً مَضْمُومَةٌ وآخِرهُ قَافٌ وَإذَا لَمْ يُحقِّقِ التَّلبس بالنُّونِ والْوَاوِ فِيْ الكُلِّ — ساكِنَةٌ — : قَرْيَةٌ مِنْ قُرى بَلْخَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو حَامِدٍ أَحْمَدُ بْنُ قُدامَةَ بْن مُحَمَّدٍ البَلْخيُّ النُّوقيُّ حَدَّثَ عَنْ يَحيى بْن بَدْرٍ السَمْرقَنْدِيِّ ، رَوَى عَنهُ أَبُو إسْحَاق الْمُسْتَمليْ ، مَاتَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرِيْنَ وَثَلاَث مِئَةٍ[3] .

١٥٣ — بَابُ تَوَّز ، وتُوزٍ ، وَتَوْرٍ ونُوْرٍ وَنُوْد[4]

أَمَّا الأَوَّلُ — بَعْدَ التَّاءِ الْمَفتُوحَة وَاوٌ مُشَدَّدةٌ مَفْتُوحَةٌ أَيْضاً وآخِرهُ زايٌ — : مِنْ بِلاَدِ فَارِسَ ، ويُقَالُ لها أَيْضاً تَوَّجَ بالجيم ، يُنْسَبُ إليها جَمَاعَةٌ مِن أَهْلِ الْعِلْمِ ، مُحَمَّد بْنُ يَزْدَادَ التَّوزِيُّ ، حَدَّثَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَان لُوَيْن ، رَوَى عَنْهُ الطَّبرانيُّ ، وأَبُو يَعْلَى مُحَمَّدُ بْنُ الصَّلْتِ التَّوزِيُّ وَجَمَاعَةٌ سِواهُمَا[5] .

(١) قال ياقوت : تُوتُ في عِدَّة مواضع ، من قُرى بُوشَنْجَ ، وتُوتُ من قُرى اسفرايِيْنَ ، على مَنْزِلٍ إذا تَوجَّهْتَ إلى جُرْجَانَ ، ثم ذكر بَحْرَ بنَ عبدالله فيمن يُنْسَبُ إليها ، وأطال في ذكر المنسوبين إليها ، ورجع في ذلك إلى كتاب السمعاني ، فقد ذكر في «الأنساب» : ١٠٣/٣ — : توث قرية من قرى مَرْو ، على خمسة فراسخ منها ، خرجت إليها مِراراً ، وبِتُّ بها لَيالِيَ .

(٢) قال نَصْرٌ عن بُون : وبُونُ مذكور في بُوين ، بَلَدٌ يَمانٍ ، وفي (باب التُّوَيْر والبُوَيْن) قال : وأمَّا بِياءٍ مُوحَّدَةٍ وآخرة نونٌ : موضعٌ حِجَازِيٌّ ، وأَظُنُّ الذي جاء في الشعر يُرَادُ بِهِ البُون ، وهو بَلَدٌ يَمان ، وأيضاً : ماءٌ لبني قُشَيْر : انتهى .

وفي «معجم البلدان» : هُمَا بَوْنانِ البَوْنُ الأعْلى والبَوْنُ الأَسْفَلُ ، كُورَتَانِ ذَوَاتَا قُرى ، ولا يقوله أهل اليمن إلّا بالفَتْح . وانظر عن البونَيْنِ «صفة جزيرة العرب» — ٢٤٣ — ولا يزالان معروفين ، شمال صنعاء بما يقرب من مَرْحَلَة .

(٣) نُوقُ : قال ياقوت : بلفظ جَمْع ناقَةٍ : ولم يَزِدْ على ما ذكر الحازميُّ ، ولم ينسب الكلامَ إليه .

(٤) عند نَصْرٍ في حرف التاء : (باب تُورٍ ، وتُوزٍ ، وتَوَّز) .

(٥) عرَّفَ نَصْرٌ تَوَّزَ بقوله : بفتح التاء والواو وسكونها — من بلاد الأعاجم وأطال ياقوت في «معجم البلدان»

وَأَمَّا الثَّاني بَعْدَ التآء الْمَضْمُومَةِ وَاوٌ ساكِنَةٌ — : مَنْزِلٌ وَراءَ فَيْدَ فِي الْجَانِبِ الْحِجَازيِّ عَلَى جَادَّة حَاجِّ الْعِرَاق ، بِقُرْبِ سَمِيْرا وغَضْوَرَ ، جَبَلٌ هُنَاكَ قَال أبو الْمِسْوَرِ :

فَصَبَّحْتُ فِيْ السَّيْرِ أَهْلَ تُوْزِ   مَنْزِلَةً في الْقَدْرِ مِثْلَ الْكُوزِ
قَلِيْلَةَ الْمَأْدُومِ والْمَخْبُوْزِ   شَرّاً لَعَمْرِيْ مِنْ بِلاَدِ الْخُوزِ[1]

وَأَمَّا الثَّالِث — أَوَّلُهُ ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ وَاوٌ ساكِنَةٌ ، أَيضاً وآخِرُهُ رَاءٌ — : جَبَلٌ مَشْهُورٌ قُرْبَ مكَّة ، وَفِيه الْغَارُ الذي تَوَارَى فِيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْكُفَّارِ ، وَمَعَهُ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ ، رضى الله عنه ، لمَّا هَاجَرَ إلى الْمَدِيْنَة[2] .

وَأَمَّا الرَّابعُ — أَوَّلُهُ نُوْنٌ مَضْمُوْمَةٌ والْبَاقي نَحْوَ ما قَبْلَهُ — : قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَال بُخَارَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبو مُوْسَى عِمْرَانُ بْنُ عَبْدِالله النُّورِيُّ الْحَافِظُ الْبُخَارِيُّ ، رَوَى عَنْ أَحْمَدَ بْن حَفْصٍ ، ومُحَمَّدِ بن سَلاَّمٍ الْبِيكَنْدِيِّ وَحَيَّانَ بْنِ مُوْسَى ومُحَمَّد بْنِ حَفْص الْبَلْخِي ، رَوَى عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ رُفَيْدٍ ، وعَبْدُالله بْنُ مَنيح[3] .

= الكلام في تَوَّز ، وذكر ممن يُنْسَبُ إليها عبدالله بن محمد بن هارون التَوَّزِيُّ اللُّغَوِيُّ ، أخذ عن أبي عُبَيْدة والأصمعيّ وتوفي سنة ٢٣٨ (ثمان وثلاثين ومئتين) ومحمد بن يزداد ، ورد اسم أبيه في «معجم البلدان» : داود — مُصَحَّفاً — إذ ورد في «الأنساب للسمعاني» كما في كتاب الحازمي ، و«الأنساب» من مصادر ياقوت .

وعن تَوَّز (تَوَّج) انظر كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» — ٢٩٥ — وكانت على مقربة من ساحل الخليج العربي الشرقي .

(١) تُوْزُ : هُوَ أعْلَى وادي سَمِيْراء البلدة المعروفة ، يقع شرقها ، وانظر تحديد موقعه في قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» والتعريف الذي أورده الحازمي هو المذكور في كتاب نصر سوى كلمة (في الجانب الحجازي) ولا مَحَلَّ لها إذْ تُوز ليس في الحجاز بل في نَجْدٍ ، وغَضْوَرُ يقع شمال غَرْبِ تُوْزِ ولا صلة له به ، فهو في جبل رَمَّان ، وهو مَنْهَلٌ وأصبح الآن قَرْيَةً .

(٢) جبل ثَوْرٍ من أشهر جبال مكة ، في أسْفَلِها ، وبلغه عُمْرَانُها الآن .

(٣) نُور : — قال ياقوت : ضِدُّ الظُّلْمَةِ ، من قرى بُخَارَا ، ثم ذكر من ذكرهم الحازمي وقال : (روى عن أحمد بن حفص بن محمد بن سلام ، إلخ وأراه خطأً ، فما في كتاب الحازمي يتفق مع ما في «تاج العروس» — نور — ومخطوطة كتاب الحازمي قديمة الخط فيها إتقان وعناية .

وَأَمَّا الْخَامِسُ ــ آخِرُهُ دَالٌ مُهْمَلَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوَ ما قَبْلَهُ ــ : مَوْضِعٌ بِسَرَنْدِيبَ[1] ، يُقَالُ : هُنَاكَ كَانَ مَهْبِط آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ .

١٥٤ ــ بَابُ التَّهَايِمِ وَالْبَهَايِمِ[2]

أَمَّا الْأَوَّلُ ــ بِالتَّاءِ ــ : يُقَالُ لِأَرْضِ تِهَامَةَ تَهَايِم[3] .

وَأَمَّا الثَّانِي ــ أَوَّلُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوُ الْأَوَّلِ ــ : جُبَيْلاَتٌ بِحِمَى ضَرِيَّةَ كُلُّها عَلَى لَوْنٍ وَاحِدٍ[4] .

١٥٥ ــ بَابُ تَيْمَاءَ وَبِيمَا وبِنْها[5]

أَمَّا الْأَوَّلُ ــ بَعْدَ التَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ مَمْدُودٌ ــ : بَلْدَةٌ قَدِيمَةٌ عِنْدَ وَادِي الْقُرَى ، مِنْ مَنَازِلِ الْيَهُودِ ، لَهَا ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ[6] .

---

(١) ضبط ياقوت نَوْذَ ــ بفتح النون ثم السكون وذال معجمة ــ وقال : جبل بِسَرَنْدِيبَ ، عنده مَهْبَط آدم ، عليه السلام ــ وهو أخصب جبل في الأرض ، ويُقَال : أمرع من نَوْذَ ، وأَجْدَبُ مِنْ بَرَهُوتَ ، وبَرَهُوتُ وادٍ بِحَضْرَمَوْت . انتهى . وسرنديب هي جزيرة سَيْلاَن وتعرف الآن باسم (سِرِلَنكا) .

(٢) هذا الباب من كتاب نَصْر .

(٣) قال نصر : وأما بِالتَّاء فهو ما نُسِبَ إلى أَرْضِ تِهَامَة . ولعلماء اللغة كلام كثير في تعريف تِهامة وتحديد موقعها خلاصته أنها الأرض الممتدة غرب سلسلة جبال الحجاز ، على ساحل البحر ، وهي الغَوْرُ أيضاً .

(٤) وَعرَّفَ نَصْرُ الْبَهَائمَ بقوله : أَجْبُلٌ بِحِمَى ضَرِيَّةَ ، لَوْنُها واحِدٌ ، وفي كتاب «بلاد العرب» ــ ٩٥ ــ بعد ذكر جبل غَوْلٍ : والْبَهَائمُ جِبَالٌ ، وماؤها الْمُنْبَجِسُ ، بِئَارٌ في شِعْبٍ . وأورده ياقوت وأورد للراعي :

بَكَى خَشْرَمٌ لَمَّا رَآى ذَا مَعَارِكٍ ... أَتَى دُونَهُ والهضْبَ هَضْبَ الْبَهَائِمِ

وقبله قال : بَهَائِمُ ــ على وزن جَمْع بَهِيمَةٍ من الدَّوابِّ ــ جَبَلانِ بِحِمَى ضَرِيَّة ، كلاهُمَا على لَوْنٍ واحِدٍ ، كذا قال ثَعْلَبٌ .

وحمى ضَرِيَّة لا يزال موقعه معروفا ، وكذا أكثر مواضعه ، وأرى البهائم بقرب شُعَبَا ــ غَرْبَ قرية ضَرِيَّة ــ لأن صاحب كتاب «بلاد العرب» ــ ص ١٨٥ ــ ذكر الْمُنْبَجِسَ في شِعْبٍ مِنْ شُعَبَا ، وأرى هَضْبَ الْبَهَائِمِ من هَضْبِ شُعَبَا .

(٥) الْبَابُ في كتاب نَصْر هكذا : (بابُ تَيْمَاء ، وَتَيْمَا وَبِيمَا) .

(٦) عَرَّفَ نَصْرٌ تَيْمَاءَ بِمَا أَوْرَدَ الْحَازِمِيُّ ، سوى جملة (لها ذكر) إلى آخرها . ووادي القرى يقع غرب تَيْمَاء ، بَعِيداً

وأَمَّا الثَّاني ـــ أَوَّلُهُ بَـآءٌ مُوحَّدَةٌ مكسُورَةٌ ثُمَّ يَـآءٌ مَفْتُوحَةٌ تَحتَـهَا نُقْطَتَان ، مَقْصُورٌ ـــ : صُقْعٌ مِنْ بِلاَدِ الْكُفْرِ متاخِمٌ لِصَعِيْدِ مِصْرَ ، فُتِحَ في الدَّوْلةِ العَبَّاسيَّةِ[1] .

وأَمَّا الثَّالثُ ـــ : أَوَّلُهُ بَـآءٌ مُوَحَّدَةٌ أَيْضاً مكسُورَةٌ بَعْدَهَا نُونٌ سَاكِنَةٌ ثم هَـآءٌ والْـهاءُ إِذَا لَمْ تُحقَّقِ الْتَبَسَتْ بِالْمِيمْ قالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحمَّدٍ الدَّوْرِيُّ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِيْنٍ يقولُ : يَرْوِي اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قال : بَارَكَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلَّم فِيْ عَسَلِ بَنْهَا . قال الْعَبَّاسُ : قُلْتُ لِيَحْيَى : حَدَّثَكَ بِهِ عَبْدُاللهِ بنُ صَالِحٍ قَالَ : نَعَمْ قال يَحيَى : بنها[2] قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى مِصْرَ ، والنَّاس يَقُولُوْنَهَا الْيوْمَ بِفَتْحِ البَـآءِ .

١٥٦ ـــ بَابُ تِيَاسٍ وَبِيَاسٍ

أَمَّا الأَوَّلُ ـــ بَعْدَ التَّـآءِ الْمَـكْسُورَةِ يَاءٌ مَفْتُوحَةٌ تَحتَهَا نُقْطَتَان وآخِرُهُ سِيْنٌ مُهْمَلَةٌ ـــ : مَآءٌ لِلعَرَبِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ : قَالَ الأَزْهَرِيُّ : مَوْضِعٌ وَلَهُ ذِكْرٌ في أَيَّامِ الْعَرَبِ وأَشْعَارِهِمْ قال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ .

وَمِثْلُ ابْنِ عَثْمٍ إِنْ ذُحُولٌ تُذُكِّرَتْ   وقَتْلَى تِيَاسٍ عَن صَلاَحٍ تُعَرِّبُ

= عنها ، وهو لَيس وادياً بَلْ منطقة واسعة ذات أودية كثيرة ، قاعدتها الآن بلدة الْعُلا ، وتَيْمَاءُ الآنَ بَلْدَةٌ ازدهر عُمْرَانُها ـــ كغيرها من بلدان المملكة ـــ وانظر عنها كتاب «في شمال غَرْب الجزيرة» و«المعجم الجغرافي» قسم (شمال المملكة) .

(١) وعرَّف نَصْرٌ بِيَمَا كما جاء في كتاب الحازمي سوى جملة (فتح في الدولة العباسية) فقال : (فُتِحَ في أَيَّام المُعْتَضِدِ أَوْ قَبْلَها) وياقوت جَمَعَ القولَيْن ، ونسبهما إلى نَصْرٍ : (فتح في دولة بني العباس ، في أيَّام المعتضِدِ أو قُبَيْلَهَا) كذا .

(٢) بَنْهَا ـــ لا تَزَالُ معروفةً ، وأهل مِصْرَ يفتحون الْبَاء ، كما ذكر ياقوت وقَدْ أَوْرَدَ كلام ابنَ مَعِيْنٍ ، ونقل عن أبي الحسن المهلّبِي : من الفُسْطاط إلى بَنْها ١٨ ميلاً ، وهي على شعبة من النِّيل ، وأكثر عَسَلِ مِصْرَ الموصوف بالجودة مجلوب منها ومن كُوَرِتِهَا .

(٣) تَنْمَا الواردة في كتاب نَصْرٍ ، عَرَّفَهَا بقوله : بضم التَّاء يَلِيْهَا نُونٌ ساكِنَةٌ ، مَقْصُورٌ ـــ : مِنْ نَوَاحِي الطائف . وأورده ياقوت عنه ، ولم يَزِدْ . واستدركه صاحب «تاج العروس» عن نَصْرٍ . ولمْ أَرَ لهذا الموضع ذكراً سوى ما تَقَدَّمَ ، وما إخالُ الإسْمَ صَحِيحاً فيخفى على علماء اللغة الذين هم أعلم من نَصْرٍ ، وأقدم عَصْراً .

قوله تُعَرِّبُ أي تُفَسِّرُ[1] .

وأمَّا الثَّاني ــ أوَّلُهُ نُونٌ مكسورةٌ والباقي نَحْوُ الأوْلِ : [.......][2]

١٥٧ ــ بَابُ تُونِسَ وتُرْمُسَ

أمَّا الأوَّلُ ــ بَعْدَ التَّاءِ الْمَضْمُومَةِ وَاوٌ ساكِنَةٌ بَعْدَهَا نُونٌ مَكْسورةٌ وآخرهُ سِيْنٌ مُهْمَلَةٌ ــ : بَلْدَةٌ مَشْهُورةٌ فِيْ الْغَرْبِ ، يُنْسَبُ إِلَيْها خَلْقٌ كَثِيْرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ والرِّوايَةِ ، مِنْهُمْ أَبو طَاهِرٍ حَاتِمُ بْنُ عُثْمَانَ الْمعافِرِيُّ التُّونسيُّ حَدَّثَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْن زِياد ابْنِ أَنْعَمَ ، ومَالِك بْنِ أَنَس وَغَيْرِهِمَا قالهُ أَبو سَعِيد بْن يُونُس ، وجَمَاعَةٌ سِوَاهُ[3] .

وَأمَّا الثَّاني ــ بَعْدَ التَّاءِ الْمَضْمُومَةِ : رآءٌ سَاكِنَةٌ ، ثُمَّ مِيْمٌ مَضْمُومَةٌ ــ : مَوْضِعٌ فِيْ دِيار بَنِي أَسَدٍ[4] .



(١) نِياسُ : من الأسماء التي تُطلَقُ على مواضع ، حَدَّدتُ بَعْضَهَا في قسم (المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» ومنها هذا الماء الواقع بقرب طريق البصرة ، حيث تبيَّنَ لي أنه بقرب الوفراء في حدود الكويت ، وأنه الموضع الذي مات فيه العلاءُ بن الحضرميُّ .

(٢) لَمْ يَرِدْ في مخطوطة كتاب الْحَازِمِيِّ تَحْدِيْدُ نِياسٍ ــ بالنون ــ ولَمْ أَرَ اسْمَ مَوْضع بهذا الاسم .

(٣) مَدِيْنَةُ تُونِسَ أشهر من أن تُعَرَّف ، وتُوسِّعَ في الاسم فشمل بلاداً واسعةً قاعدتها تلك الْمَدِيْنَةَ .

ونونُ تونس ــ تتعاقبها الحركات الثلاث . وأطال ياقوتٌ الكلام عليها وأورد بعض أسماء مَنْ يُنْسَبُ إليها ، ولم يذكر أبا طاهر حاتِمَ بن عثمان ، ولكنَّ السَّمْعَانيَّ في كتاب «الأنساب» ذكره بنحو ما ورد في كتاب الحازمي وذكر آخرين غيره .

(٤) تُرْمُسُ ــ الوادي الذي كان معدوداً في بلاد بني أَسَدٍ ، لا يزال مَعْرُوفاً ، وقد حَدَّدْتُ مَوْقِعَهُ في قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» وهو ينطق مُعَرَّفاً ، وكذا ورد في الشعر القديم قال الْمَرَّارُ بنُ مُنْقِذٍ :

وَكَأَنَّ أَرْحُلَنَا بِجَوِّ مُخْصِبٍ بِلِوَى عُنَيْزَةَ من مَفِيض التُّرْمُسِ

وفروع وادي التُّرْمُسِ تنحَدِرُ مِنْ جَبَل حَبْشِي ، الواقع شَرْق بلدَةِ سَمِيْراء باتِّجاه الشرق ، حتى تلتقي تلك الفروع بشِعِيْبِ العُظَيْم ، ثُمَّ بِوَادِي الْغِمَارِ ، وهو أعْلَى وادي التُّرْمُسِ ، ثم يَدَعُ قَرْيَةَ الكهفةِ شمالَهُ ، مُنْعَطِفاً شمالاً ، ماراً بِمَنْهَل شَرَجٍ ، ثم يفيض بِمَرْبَخِ النفود غَرْبَ نَوَاظِرَ جمع ناظرة (يقع وادي التُّرْمُسِ بين خطي العرض ٣٠/ ٢٦ و٣٠/ ٢٧ وخطي الطول : ١٥/ ٤٢ و٤٠/ ٤٣ تقريباً) .

١٥٨ — بَابُ تَيْمَنَ وتَيْمَرَ(١)

أمّا الأوّلُ — بالنُّونِ — : موضعٌ بين تبالة وجُرشَ ، مِن مَخاليْفِ اليَمَنِ .

وأيضاً : هَضَبةٌ حَمْراءُ فِيْ دِيَارِ مُحَارِبٍ قُرْبَ الرَّبَذَة .(٢) .

وأمّا الثَّاني آخِرُهُ رَاءٌ — : قَرْيَةٌ نَاحِيَةَ الشَّام(٣) .

(للموضوع بقية)

---

(١) من أبواب كتاب نصر.

(٢) في كتاب نَصْرٍ : — عن تيمن — : هَضْبَةٌ حَمْرَاءُ لَيْسَتْ بالكبيرة ، قرب الرَّبَذَة . في ديار مُحَاربٍ . وتَيْمَنُ ذِي طَلَالٍ وَادٍ إلى جَنْبِ فَدَكٍ .

وقول نَصْرٍ هذا تَعَقَّبَهُ ياقُوتُ فقال — بعد إيراده — : والصحيحُ أنه بِعَالِيَةِ نَجْدٍ . وأُضِيفُ : تَيْمَنُ التي في ديار محارب هي التي تُضَاف إلى طَلَالٍ المَنْهَل الذي لا يزال معروفاً وهو بَعِيدٌ عن فدك (الحايط الآن) هو في أسفل وادي ذي حُسًا (حسي علياء — الحِسْي) غرب وادي الْجَرِير ، وتَيْمَنُ هَضْبَةٌ مُطِلَّةٌ على طلال ، وتُدْعَى الآن (تَيْمَا) كما تدعى الهضبة التي تُسَمَّى بِتَيْمَنَ أيضاً الواقعة بقرب ثهلان (تَيْمَا) أيضاً . وتيمن ذي طلال تقع شرق قرية تَرَبٍ بِمَيْلٍ نحو الشمال ، وتشاهد شمال قرن التَّوْبَادِ على بُعْدٍ .

(٣) تَيْمَرُ في كتاب نَصْرٍ : من قرى الشام ، وقِيْلَ : مِنْ شِقِّ الْحِجَاز ، وكذا أَوْرَدَ ياقوتُ ، وزادَ : قال امْرُؤُ الْقَيْس :

بِعَيْنَيَّ ظُعْنُ الْحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا ... لَدَى جَانِبِ الْأَفْلاجِ مِنْ بَطْنِ تَيْمَرَا

وذكر البكريُّ أنَّ تَيْمَرَ هذا موضع بِالْعَالِيَة .

وما أرى تلك الأقوال إلا من قبيل الاستنتاج من خبر رحلة امرىء القيس إلى الشام حين ذَهَب للاستعانة بقَيْصر ، وأكثر المواضع التي ذكرها في قصيدته التي وصف فيها رحيله ، واقعة في شمال الجزيرة ، ومطلعها .

سَمَى لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ ما كان أَقْصَرَا ... وحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ ظَبْيٍ فَعَرْعَرَا

ومنها :

بَكَى صَاحِبِيْ لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُوْنَهُ ... وأَيْقَنَ أنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا

وقد ذكر مواضع في مقام الوصف مثل (بيشة) و(الصفا) و(المشقّر) ولكنه أوردها مورد التشبيه بها .

على أن كلمة (تيمر) وردت في بعض روايات البيت بالقاف (قَيْمَر) مما يَدُلُّ على عدم التثبُّت من صحة الاسم .

وطن الأحباب

أحِنُّ إلى مَغْنَاكَ طَابَتْ مَرابِعُهْ وغنَّت بأكناف الرَّبيع سَواجِعُهْ
وأهفو إلى يَوْمٍ من الفَجْنِ مُونِق نسائِمُهُ فتَّانةٌ وزوابِعُهْ
بأفيائك الخضراء يا مَغْرِبَ العُلَىٰ عَرَفْتُ نعيماً طابعُ الحُسْن طَابِعُهْ
وسرَّحْتُ طرفي في جَمَالِكَ فانْتَشى به خافِق طَالَتْ دُهوراً مَواجِعُهْ
وفي وجْهِكَ المزدان بالطُّهر والشَّذَى رأَيْتُ الْهوَىٰ تُصْغي إليَّ مسامِعُهْ
أعَدْت الى قلْبي الشَّبابَ الذي مَضى وألهمتني في الشِّعْرِ ما قلَّ صَانِعُهْ
وَفيكَ بِظِلِّ الدَّوْح أشْبعْتُ نَاظِري وعادَ لِقلْبي في الرِّضا مِنكَ ضَائِعُهْ
وعُدْتُ الى مغناكَ يا مَوْطِنَ الهوى يُصَارِعُني فِيكَ الجوى ، وأُصارِعُهْ
وإنَّك في صَدْري حَنِينٌ مُخَلَّدٌ وفي العيْن حُسن ليس تَفْنَى روائِعُهْ
وَفِيكَ لِقَلْبي في الْغَرَام وَدِيعةٌ وإنَّكَ مَنْ لا تُسْتَبَاحُ وَدائِعُهْ

أيا وَطَنَ الأحباب أفديكَ مَوْطناً مَغَارِبُهُ مَحْمُودَةٌ ، ومطَالِعُه
فمِن (أطْلس) عِزَّتُهُ شامِخُ الذُّرى تُلامِسُ جَوْزاءَ السَّماءِ أصابِعُهْ
تَعَمَّمَ بالثَّلْج الطَّهُورِ ، كأنَّهُ مَليكُ الذُّرى عالي الْجَبِين ونَاصِعُهْ
إلى السَّهْل مَيَّاس الأفانين مُونِق فلِلّهِ جَانِبُه ، ولله زارِعُهْ !!
بِساطٌ على طُول الْمَدَىٰ لا تَجُوسُهُ عَواصِفُ ، أو تشكُو الأُوَامَ يوانِعُهْ
شَجَتْني رُباكَ الْخُضْرُ حتَّى وَجَدْتني أخاصَبْوةٍ تَهْفو إليْكَ نوازِعُهْ
ومَاضِيكَ في الماضِين مَجْدٌ مُؤَثَّلٌ وحَاضِرُكَ المِعْطَاءُ جَلَّتْ صَنَائِعُهْ
وَعِشْت سِيَاجاً لِلعُرُوبةِ حَامِياً وغِيْلَ أسُودٍ لا تُداسُ مَرابِعُهْ

١٥/١٠/١٣٩٩ هـ

عثمان بن سيار

☐ بلاد القصيم :

وصدر الجزء الثالث من كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» تأليف الأستاذ الجليل الشيخ محمد العبودي ، ويحوي من الأسماء ما هو مبدوء بحرف الخاء وما بعده إلى حرف الشين — نحو ٢٩٠ اسماً — في ٤٧٤ صفحة .

وهو — كأجزائه الأخرى — من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) وطبع هذا العام (١٤٠٠ هـ) بمطبعة نهضة مصر .

☐ رحلة القلصادي :

من المعروف أن علماء المغرب — الأندلس والأدنى — بزُّوا علماء المشرق بكثرة كتب الرّحلات المدونة ، واشتهروا في ذلك ، وقد نشر في هذه المجلة جانبٌ وافٍ من خلاصات بعض تلك الرحلات .

ومن أُولئك العلماء الذين رحلوا من بلادهم الأندلس للحج أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي المتوفي سنة ٨٩١ هـ فقد بدأ رحلته سنة ٨٥١ هـ مارّاً بالبلاد التونسية فمِصْر ، ومنها سافر بحراً الى جدة فبلغها في ٢٨ شعبان من السنة المذكورة . وذكر أنه أدّى فريضة الحج ووصف ما شاهده من الآثار والمعالم بإيجاز في المدينتين الكريمتين وعاد بحراً من رابغ الى العقبة ، فمصر في المحرم سنة ٨٥٢ .

وقد قام بدراسة رحلة القلصادي وتحقيقها صديقنا الأستاذ محمد أبو الأجفان ، الأستاذ بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين في الجامعة التونسية فجاءت دراسته في

نحو ثمانين صفحة ، وأصل الرحلة نحو ذلك ومثله الفهارس (٨٠ + ٨٨ + الفهارس = ٢٥٦ صفحة تتخللها صُور وخرائط وتشغل الحواشي كثيراً من صفحات الأصل . ولهذا فعمل الأستاذ أبي الأجفان يعتبر دراسة وافية لتلك الرحلة من جميع نواحيها .

وقد طبع الكتاب في مطبعة (مصنع الكتاب — الشركة التونسية للتوزيع) في تونس عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٨) طباعة حسنة .

وهو من الكتب التي أوصت (وزارة الشؤون الثقافية) في تونس بنشرها فجاء الحلقة الأولى من سلسلة (فهارس من تراثنا) .

□ مكتبة الطفل :

ويواصل الصديق الأستاذ عبد الكريم الجُهَيمان إمداد مكتبة الأطفال بفيض من القصص الملائمة لمداركهم ، فمنذ أمد صدرت له مجموعة قصصية باسم (مكتبة أشبال العرب »[1] .

ثم أصدر مجموعة أخرى بعنوان (مكتبة الطفل في الجزيرة العربية) من عشر قصص عناوينها :

١ — الرفيق الخائن — ٢ — القطاة الساحرة ، ٣ — الغول ذو السبعة الرؤوس ، ٤ — الحطّاب والكنز ، ٥ — عائشة وأم عائشة ، ٦ — بُلَيل الصيَّاح ، ٧ — شامان وعُمانات ومكيّة ، ٨ — اللقاط بن اللقاط ، ٩ — بنت الغول ، ١٠ — النبيُّ سليمان مع الغراب .

تقع القصة في أربعين صفحة ، مزيّنة بالرسوم ، مطبوعة طباعة جيّدة بحروف واضحة بالشكل الكامل ، تصدر عن (دار أشبال العرب) في الرياض وقد طبعت في بيروت وتتولى توزيعها دار الثقافة التي تولت طبعها .

---

(١) أنظر «العرب» س ١٤ ص ٤٧٥ .

□ على دَرْب الجهاد :

هذا هو عنوان الديوان الثاني من شعر الدكتور زاهر بن عواض الألمعي ، عميد شؤون المكتبات في (جامعة الإمام بن سعود الإسلامية) في الرياض ، يحوي عشرين قصيدة (حروفها نَبْضُ قلبٍ يعتصره الأَلَمُ لما عليه حال أمتنا الإسلامية) تتضح مضامينها من عناوينها ، ومنها : عودي إلى دَرْب الجهاد ، في رحاب البيت ، وحدة العرب ، رحاب القدس ، تحيَّة المغرب العَربي — في مشاعر الحجّ ، شريعة الله ، تحيّة الفهد ، سدّ أَبْها .

ويقع الديوان في ٢١٨ صفحة في طباعة جيدة ، ورقاً ، وحروفاً مكتوبة باليد بالخط الرقعيّ .

صدر هذا العام (١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م) عن مطابع الفرزدق في الرياض .

□ العوَّاد : قِمَّة وموقف

وقام الأستاذان عبد الحميد مشخص ومحمد سعيد باعشن بجمع ما نشر في رثاء الأستاذ محمد حسن عوّاد ، الذي توفي في هذا العام ، في كتاب بعنوان «العوَّاد قمَّةٌ وموقف» حوى ٤٠٨ من الصفحات ، تضمُّ مع المراثي دراسات عن آثار ذلك الأستاذ الكبير لبعض مشاهير الكتاب في بلادنا وخارجها .

وفي الكتاب ثماني لوحات تحوي صوراً للراحل العزيز في مراحل عمره المختلفة .

□ المنطقة الشرقية

وصدر الجزء الثاني من القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية (البحرين قديماً) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» تأليف حمد الجاسر ويحوي من أسماء المواضع ما هو مَبْدُوءٌ بحرف الحاء المهملة فما بعده الى حرف الشين — نحو ٥٩٧ اسما — وجاء في ٤٩٠ صفحة وفيه عشر مصورات جغرافية (خرائط) مطبوعا هذا العام (١٤٠٠هـ) بمطبعة (نهضة مصر) وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .